

سمير حسين

---

# القيصر

رواية ◀

سمير حسين، القيصر، رواية

الطبعة العربية الأولى: يوليو 2018


رقم الإيداع: 2018 / 176902

الترقيم الدولي: 0 - 44 - 7395 - 977 - 978 ISBN:


يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع،  
والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي  
والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا  
بإذن خطي من دار الهدف للنشر والتوزيع

© دار الهدف للنشر والتوزيع

عضو اتحاد الناشرين المصريين


 elhadaf.publisher2017@gmail.com

 <https://www.facebook.com/elhadaf.publisher>

 Elhadafpub2017

 elhadafpublisher

 01064405228

 01156292096

رواية



سمير حسين

# القيصر

مستوحاةً من قصص حقيقية





# الإهداء

إلى مَنْ تعلّمت منه القناعة "أبي"  
إلى مَنْ تعلّمت منها الكفاح "أمي"  
إلى أختي: "محبوبتي"  
إلى أخي: "يا ربّ يخلّص جامعته بقي"

◀ سمير حسين



# مقدمة

قبل أن أبدأ في كتابة هذه الرواية، تساءلت كثيراً.. هل أمتلك موهبة كتابة الرواية حقاً؟ هل أمتلك مصطلحات لغوية دقيقة، وقواعد نحوية صحيحة تكفيان لكتابة رواية؟ أو على الأقل هل أمتلك الحد الأدنى منهما لأشعر في كتابتها؟ وهل ما بذلته من مجهودٍ في الإعداد لها كان كافياً؟.

كانت تلك جميعاً هواجس تتصارع في خاطري وذهنِي قبل أن أكتب أولى كلماتها، ولكن دافعي لكتابة هذه الرواية كان أكبر بكثير من كل تلك الهواجس.

وتنامى هذا الدافع أكثرَ بعد البحث والاستقصاء الطويل عن أبحاثٍ وتحقيقات نُشرت في هذا الموضوع وقصص حدثت بالفعل، جميعها كانت بمثابة الدافع لي لتسليط الضوء على تلك الظاهرة السلبية التي يُخدع بها الملايين من المصريين، والتي تستنزف منهم مليارات الجنيهات.. هذه الظاهرة السلبية التي في ظاهرها دينية، ولكنها في حقيقة الأمر تجارية سياسية.

الكاتب ◀





شهداء ثورة 25 يناير  
سلاّمًا على أرواح سبقتنا، نتمنى اللماق بهم



## الفصل الأول

سيارة ملاكي سوداء اللون موديل 2007 إنتاج العام يقودها شابّ في سن الثامنة عشر، وتجاوره فتاة في نفس العمر، يحاول مداعبتها وتقيلها فتدفعه عنها بلطف، قائلة:

- بسّ بقى، أنا متضايقه.

- لا متضايقه إيه! أنا عايزك تفوّقي معايا كده علشان لسه هشقّيك بالليل.  
وفجأة، تظهر سيدة عجوز أمام السيارة التي اجتازت سرعتها المائة كيلو مترًا بالساعة أثناء عبورها لشارع طلعت حرب بوسط البلد وقت الغروب، وقبل أن يصدم الشاب السيدة العجوز بسيارته ويقتلها.. تصرخ الفتاة:

- حاسب!!

(صيف 2017)

كان ذلك هو الكابوس الذي استيقظ عليه القيصر داخل الطائرة وهو جالس في درجة "البيزنس كلاس" في وضعيّة الجلوس التي لا يتخلّى عنها غير أثناء النوم فقط؛ وهي (ظهره مستريح للخلف، ووجهه للأعلى، وصدره مفروّد، ورجلاه واحدة تعلو الأخرى)، وذلك أثناء عودته من الولايات المتحدة لمصر في عامه الثامن والعشرين بعد أن أنهى دراسته الجامعية في رقم قياسي من الزمن، وعدد الجامعات المختلفة، مهما كانت التكاليف أو عدد السنين الضائعة، فالمهمّ هو المسمّى العلمي ذو القيمة أو عديمها الذي سيتردّد على مسامع الناس.

لم يقطع صوت الطنين العابث في أذنه والصداع النصفي الذي يدكّ رأسه أغلب الوقت غير صوت تنبيه يوصي بضرورة ربط الأحزمة والتأهب للهبوط، ما أن انتهى التنبية حتى همّ الجميع بربط أحزمتهم عداه، لأنّه غالباً لا يأبه لمثل هذه التفاهات، وذلك لقناعته أن ليس لمثل هذه الأشياء الساذجة أن تنقذ حياة شخص أو تحميه في حالة وقوع أيّ خطأ أثناء الهبوط. وحقيقة الأمر لم يكن هذا هو السبب الرئيسي، بل كان دافعه الأكبر هو أنّه لا يُؤمر بشيء من أيّ شخص، حتى وإن كان ناصحاً له، فهو منذ صغره لم يُنفذ جملة واحدة بها كلمة افعل، ولكن إذا أردت منه نفس الشيء فضّعه في جملة (حتعمل إمتى)، حينها ستتتابه نشوة لا تشبه رعشة الجماع ولا تأثير المخدرات أو الكحوليات، بل متعة خاصة لا تُقارَن بأخواتها، تشعره بذاته وبتحكّمه، وسينفذ ما كنت تريده بالأساس، ولكن بشعور مختلف هو (شعور التحكّم).

دقائق وتهبط الطائرة ويبدأ الركاب في ترك أماكنهم والمغادرة، بينما ينتظر هو في مكانه حتى يفرغ الجميع من حمل أمتعتهم ثم يتوجهوا للنزول؛ لأنّه لا يتزاحم

مع أحد، ولا يقف ليبتظر أحداً لينهي إجراءات أوراقه أو ما شابه من طوابير روتينية خلقت غيره، فهو يرى أنه ليس من ملايين البشر حول العالم الذين يهدرون ما يقرب من نصف حياتهم مصطفيين كالقطيع في موسم الهجرة من أجل لا شيء.

فالحياة طبقاً لمفهومه أسمى من ذلك؛ فهي لا تعني له إلا لهواً ولعباً وتكاثراً في الأموال، أو اختصارها في جملة واحدة هي (المتعة فالمتعة، ثم المتعة تليها المتعة).

تتجه إليه المضيضة لترحب به، فتمدّ يدها للمصافحة بحرارة من مسافة بعيدة مبالغ فيها، لكنها ليست بغريبة لمستقبل السلام، فهو اعتاد على ما يسميه بالطفيليات التي ما أكثرها في حياته ويوميائه، فمنهم من يرغب في مصادقته، والآخر في وساطة، والثالثة في كسبه كصاحب أو عشيق، والأخير وهم السواد الأعظم من يرغبون في بركته.

- حمدًا لله على سلامة سيادتك يا فندم.

يبادلها المصافحة دون أن يردّ أو يهتمّ بطريقته الخاصة التي ورثها من جدّه، السلام الذي اعتادا عليه مع جميع من حولهما في عالمهما الخاصّ بهما، بأن يمدّ يده وأصابعه جميعاً مفرودة، وكفّ اليد لأسفل، وظهر اليد لأعلى وكأنّه يمدّه لطالب السلام ليقبلها، كلّ ذلك دون أن يفرد ذراعه لأقصاه.

- كابتن عادل قائد الرحلة هيبجي حالاً يسلم على سيادتك.

هكذا أخبرته المضيضة قبل أن تنصرف، ويظهر خلفها الكابتن عادل الذي أعاد ما فعلته دون أن يستزيد عنها شيئاً، ثمّ ألقى نفس الجمل الركيكة التي ستردّد على سمعه آلاف المرّات فور وصوله، والتي لا يعرف غيرها المصريون في الترحيب بأيّ شخص قادم من السفر.

- حمدًا لله على سلامة سيادتك، ويا ربّ تكون أجازة سعيدة.  
فكانت تستحقّ سلامًا باهتًا دون كلام، ثمّ ينصرف الكابتن فتأتي المضيفة  
لتلقي آخر جُمَلها في ذلك المشهد التمثيلي..  
- الركب كلّهم نزلوا سيادتك.

يقف القيصر ويتوجّه للنزول من الطائرة، وقبل أن تطأ قدمه بابها ارتدى  
نظارته الشمسية ماركة Ray Ban ليستقبل أوّل لفحة شمسٍ تلامس بشرته  
الحسّاسة، أحد أهمّ الأسباب لكوّنه كائن ليلي، ناهيك عن الألوف المنفقة على  
أفضل كريمات البشرة في العالم للحفاظ على نضارتها وجمالها.

وبمجرد وصوله عند ضابط ختم الجوازات، يقابله شخصٌ في سنّ  
الخمسين، يرتدي جاكيت بدلة رصاصيّ اللون يرقد أسفله قميصٌ أبيض دون  
رابطة عنق، وبالأسفل بنطال جينز أزرق يغلق بالكاد على الكرش الذي تدلّى منه  
القليل، ونظارة شمسية على وجهٍ أسمر ضخم يعلوه قصّة شعرٍ ميري ذات سواف  
قصيرة تخبر أيّ شخص من دون الخبرة أن صاحبها شخصٌ من ذوي الرّتب، يبدأ  
في تقديم فروض الولاء والطاعة كغيره...

- حمدًا لله على سلامة سيادتك، مع حضرتك العقيد/ أشرف موافي  
مدير أمن المطار، بعد إذن سيّاتك الباسبور.

يخرج جواز سفره المصري الذي يُعامل أفضل من نظيره الأمريكي أو  
البريطاني ويعطيه له، فيذهب به العقيد للضابط المسؤول عن ختم الباسبورات،  
ويتركه مع توصية خاصّة للانتهاء من الإجراءات بسرعة له وللحقائب، ثمّ  
يعود سريعًا ليكمل الواجب الذي أعدّه، وظلّ يرتّب له لساعات قبل وصول  
الطائرة، والذي بدأ بدعوته للانتظار في قاعة كبار الزوّار لدقائق قبل إنهاء كلّ  
الإجراءات وإحضار الحقائب.

يمرّ القيصر من جانب ضباط الجوازات وباقي ركاب الطائرة المصطفين في انتظار دورهم لختم أوراقهم، شاعراً بلذّة اعتادها، ولكنه يحبّها ويستلذّ بها رغم صغرها، ورغم إحساسه بها أكثر ممّا يمكن أن يتذكره.

لم يختلف الترحيبُ داخل قاعة كبار الزوار، بل ازداد بعصير ليمون "فريش" في سيرفيس VIP يتوسّط منضدة تعتيها رخامة من أفخر أنواع الرخام في العالم تستند على أربعة أرجل بلون ذهبي، وبجانبه موبايله من طراز IPHONE 8 بلس، والنظارة الشمسية، يجلس أمامها القيصر ناظرًا للسقف في وضعيته المعتادة على كرسي فخم ذي ظهر عالٍ ومسندٍ للأيدي يتسع لأكبر وأعرض أيدي وكفوف في العالم، وبالفعل سبقه في هذه الجلسة ملوك وأمراء ورؤساء شتى من جميع أنحاء العالم، أمّا في الداخل فقد سبقه المخلوع والمعزول وما تلاهما..

يدلف من الباب شخص في سنّ الستين مرتدياً بدلة زرقاء كاملة منمقة، أصلع الرأس إلّا من بعض الشعر الأبيض على جانبي الرأس الناعمة، مرتدياً نظارة طبية، ويبدو عليه الأهمية الشديدة متسائلاً في قرارة نفسه عن الشخص الذي ملّ من تلقّي التوصيات من رئيسه بحُسن استقباله ومعاملته، فيجد أمامه القيصر ذا الشعر البنيّ الغامق الطويل الممشط على هيئة (بوني تيل) من أعلى فقط مع جوانب خفيفة للغاية بدرجة حلاقة رقم واحد، والبشرة القمحافية، ناهيك عن حبة الخال التي تستقر فوق حاجبه الأيسر منذ طفولته، مع خط يقطع حاجبه الأيمن بفعل شفرة الحلاقة يلازمه منذ سنوات، يعتلي ذلك الوجه جسمٌ متوسط الطول والوزن، مشدودٌ نسبياً بالعضلات من تأثير الهرمونات والمكمّلات الغذائية، والقليل من التمرينات يغطيه الملابس الـ Brand وفي قدميه الحذاء السيفتي الذي لا يتخلّى عنه حتى أنّه يشاركه أحياناً لحظاته الحميمية ولياليه الجنسية كنوعٍ من العنف الذي يهواه ويتبعه في معاشراته الجنسية، بالإضافة إلى رائحة

البرفن الفرنسي التي تبقى على أثرها بالساعات في أيّ مكان يمرّ به، وحول بنصره الأيمن خاتمه البلايني الذي لا يفارقه، والمُعَدّ له خصيصًا والمحفور على فصّه الأسود المربع اسم (القيصر).

يتفوّه الرّجل بأولى كلماته، والتي قابلتها أولى كلمات القيصر التي رنّت داخل الأراضي المصرية..

- حمدًا لله على سلامة حضرتك، منوّر مطار القاهرة كلّه.

- المطار منوّر برجالته.

- مع سيادتك اللواء/ رفعت مختار، نائب رئيس المطار.

- أهلاً وسهلاً.

- أخبار صحّة مولانا إيه؟

- بخير.

يدخل العقيد وفي يده الباسبور بعد ختمه، ثمّ يعطيه لصاحبه بابتسامة مصطنعة تحمل خلفها كلّ البغض والحقد على ما لحق به في آخر زمانه بأن يقوم بنفسه لفتى من سنّ أولاده بمثل هذه الخدمات التي بالكاد يؤدّيها أمين شرطة لأيّ شخص آخر موصّى عليه من أحد المهمّين في الدولة..

- كلّ الأوراق تمام، والشنط في انتظار سيادتك.

تحكم قبضة يده الموبايل والنظارة ويقف في همّة، فيزيد اللواء الواجب

واجبًا..

- طبّ حضرتك تشرب العصير بعدين، تتفضّل..

- الواجب وصل يارفعت بيه.



ينصرف القيصر بسرعة ليخرج من ذلك الجحيم الأصغر إلى الجحيم الأكبر وهو المجتمع المصري بكل ما يحويه من ازدحام طرق وتلوث سمعي وبصري وبيئي وثقافة شعب إما حاقداً أو فاسداً للغاية أو ساذجاً للغاية.. إلى آخره ممّا يحمله القيصر من كُره لهذا المجتمع، الذي لولا إصرار جدّه لما عاد له أبداً..

ينطلق القيصر في خطوة ناشطة كخطوة قوات الصاعقة في العرض العسكري، وخلفه اللواء والعقيد يقدّم ما تبقى من فروض الولاء والطاعة التي لم يشعر اللواء أنّه أتمّها إلا حين سأله..

- مع حضرتك عربية واللّا نطلّع عربية مخصوص توصل حضرتك لأي مكان تحبه؟

- مفيش داعي، في واحد مستنيني برّه بعربية.

يقف القيصر فجأة، فيقف الاثنان، فيتكلّم في جدية مع وجهٍ ساخط..

- مفيش داعي تتعبوا نفسكوا أكثر من كده.

- إزاي بقى يا فندم! لا تعب ولا حاجة، إحنا هنوصل حضرتك لغاية باب العربية.

يردّ القيصر بلهجة أكثر حدّة لعلّهم يتركوه قبل أن يظهر بوجهه الآخر الذي لا يمتّ لشكله ولا مظهره ولا مستواه الاجتماعي بصلة.

- قلت مفيش داعي، وعموماً فرصة سعيدة.

ثمّ يمدّ يده بالسلام لينهي هذا التطفّل في التوّ واللحظة، فيسلّم العقيد مشرّثاً بالجملة التي أعدها مسبقاً لينهي بها هذه المأمورية الهامة له.

- يا ريت سيادتك تبلغ سلامنا لمولانا.

يليه اللواء بابتسامه اعتاد على اصطناعها في مثل هذه المواقف، يصاحبها بعض من الخوف..

- يا ريت تبلى سلامي لمولانا، وتبلى حضرتك إن احنا عملنا الواجب، إحنا مش قد زعل مولانا.  
- أكيد.

يرتدي نظارته، وينطلق في اتجاه الباب الرئيسي للمطار في مشيته التي تجمع ما بين الظهر الصلب والصدر الواسع، مع بختره خاصة به لم يأت بها أي عارض أزياء من قبل.

\*\*\*

يقف أمام باب المطار ثمانون كيلو جرام من اللحم الأبيض والجلد الأملس والعظام المتصلة والشرابين والأوردة التي يسري فيها ماء بارد وليس دمًا، إنه "أحمد رجب"، السنّ ثمانية وعشرون عامًا، وهو صاحب الوحيد الذي اختاره القيصر من بين العديد الذين كانوا يتمنون شرف صداقته أو مرافقته على الأقل، وذلك أثناء وجوده في فترات الدراسة في القاهرة حتى أنهى ثانويته العامة.

ولا يعلم القيصر نفسه سبب اختياره له من بين كل هؤلاء، على الرغم أنه ليس أغناهم ولا أظرفهم ولا حتى أجدعهم، لكن السبب الحقيقي أنه أكثرهم تحملاً، فهو يتحمل من القيصر طوال ما يفوق العشرة سنوات ما لا يمكن لأحد أن يتحملة من إهانات واستهزاء، وأحياناً مدًا للأيدي.

وهذا ما يحتاجه شخص مثل القيصر، شخص يشعره أنه حقاً قيصر من قياصرة روما فعلاً، فماذا سيحتاج القيصر من شخص من أسرة ثرية أو من

أسرة حاكمة، فهو لديه من الثراء والنفوذ ما يكفي لينقل الأربعين مليون مصرياً من تحت خطّ الفقر إلى أعلاه.

يخرج القيصر من باب المطار وخلفه عامل الشنط، يراه رجب فيبتسم ويتّجه إليه بلهفة رافعا ذراعيه ليحضنه قائلاً:

- الكبير وصل.

فما كان من القيصر إلا أن فاجئه بطلب، نفّذ رجب ثلاث أو أربع مرّات من قبل بضيق لم يعتدّه إلا في هذا الفعل، ولكنه لم يتوقّع أن يطلبه القيصر في أوّل لقاء بينهم منذ فتره تخطّت السنة.

مدّ القيصر يده في وضعيّة سلامه المعتاد، ولكن ليس ليتلقّاها رجب بيده، بل ليقبّلها.

فيرتبك لثوانٍ من أثر الصدمة، ولكن سرعان ما استعاد عقله، وقرّر أن يتلّعها كالمرّات السابقة، وأيضاً كالأخريات القادمة.

قبّلها سريعاً، فجاءت كلمه الاستحسان والرضا من صاحب اليد المقبّلة..

- That's My Boy

ثمّ فتح ذراعيه لرجب لينول شرف احتضانه، فما من الآخر إلا أن فعلها في طرفه عين، ليغطّي بسرعة على ما حدث، وقبل أن يلاحظ أيّ شخص في المكان قبلة الولاء والطاعة..

- حمدًا لله على السلامة يا صاحبي.

- واحشني يا زفت.

- لسه بتحبّني زيّ ما انت؟

القيصر للعامل في جُملة مقتضبة دون أن ينظر له:

- حطّ الشنط في العربية .

يبدأ رجب في أولى أسئلته التي لم يغيّرْها في أولى لقاءاته بالقيصر بعد عودته من الخارج

- أخبار أمريكا إيه؟ لسه البنات جامدين!

- من أجمد لأجمد، بعدين منا يا كلب قلتك تيجي وانت اللي مرضتش!!

- غصب عني والله..

ينتهي العامل من وضع الحقائق بهمة عالية لينال أكثر ما يمكن أن يناله من شخص رأى استقبالا له لم يره لكثير من قبله، حيث وضعها في سيارة رجب ماركة كيا سيراتو 2015 بنّية اللون.

- أيّ خدمه تاني يا سعادة الباشا؟

يمدّ القيصر يده في جيبه، ويخرج رزمة من الدولارات تتعدّى الخمسة آلاف دولار، يخرج رجب بعض الفكة من فئة العشرينات لعله يتمكن من أن يدفع أيّ مبلغ ولو تافه حتى لمرة واحدة في وجود القيصر، لكن هيهات له أن يفعل ذلك في وجود القيصر.

- إستنى أنا معايا فكة .

- ششششششششش.....

- إستنى بس .

يحاول رجب إعطاء العامل عشرين جنيهاً، فيمنعه القيصر، ويعطي للعامل ورقة بـ 100 دولار، مع إشارة يد كمن يهشّ ذبابة.

- روح..

ينصرف العامل وهو ينظر للورقة بتعجب، يوازيها دهشة من رجب أيضاً قائلاً:

- ميت دولار علشان زقّلك الشنط من جوّه لحدّ هنا!! دي الناس بتديله  
عشرين تلاتين جنيهه بيزقطط!!

- إنت واللي زيّك تدّوله عشرين تلاتين جنيهه علشان ده مقامكوا، إنّما أنا  
القيصر، مقامي 1800 جنيهه، ازكب يلا مترغيش كثير.

تتصاعد في الهواء دخان أولى سيجارات القيصر ماركة The Stradi-  
varius Churchill من الحجم الصغير، ذلك المزيج السّاحر بين التبغ  
المكسيكي، والدومينيكي الملفوفين بأوراق الهابانو، ممّا جعله من أغلى  
أنواع السّيجار في العالم، وأقربهم لمزاج القيصر، راقداً داخل علبه من الفضة  
الخالصة أعدت خصيصاً له وعليها توقيع CEASER منحوتاً يعلوه رسمه تاج  
ملكي، والتي لا تُفارق قرينتها القدّاحة الموقّعة هي الأخرى، وعليها نفس  
رسمه التاج.

بدأ القيصر متسائلاً:

- أخبار النّسوان إيه؟

- نسوان! إنت اللي يسمعك كده لا يقول إنك اتعلمت في مدارس أجنبي  
ولا عشت في أمريكا سنين واتعلمت هناك!

- بعشق قلّة الأدب المصرية، وكلام الحوارى والشوارع، زمان كان في  
طريق المدرسة الإنترنتناشيونال بتاعتي مدرسه حكومية كده، كنت أسيب العيال  
ولاد الدّوات اللي معايا وولاد الوزرا وأروح أتصاحب على العيال الشّمامين  
والشّوارعية اللي في المدرسة الثانية، بسّ بصراحة اللي اتعلمته معاهم كان لا  
يمكن هتعلّمه في أيّ مكان تاني، ولا مع أيّ حد تاني.

- بسّ انت المرّة دي زيارة وهترجع تاني.. واللّا هتستقرّ بقى.

- لا خلاص هستقرّ، فين بقالي عشر سنين برّه، كمّلت تعليمي واتخرّجت،  
وكمّلت كمان بعدها كام سنة، كفاية كده.

- ما انت الليّ طوّلت زيادة عن اللزوم، دي مكانتش حادثة دي الليّ  
موتّلك فيها واحدة بالعربيّة وانت...

فجأة ينفعل القيصر ويقاطعه:

- إنت إيه الليّ خلّاك تتكلّم في موضوع زيّ ده اتقفل من زمان؟!!

- أنا مقصدش حاجة والله، أنا بسّ كان قصدي إنّ ماكنش في داعي لكلّ  
السنين دي، كان ممكن سنة.. سنتين.. ويكون الموضوع انتهى، وترجع.

- وحياتك كان ممكن من غير ما اتحرّك من بيتنا خطوة واحدة  
الموضوع كلّه ينتهي، ولا حدّ كان يقدر يعملّي حاجة، لا عيلة الليّ ماتت  
ولا التّخين في البلد، لولا بسّ إنّ جدّي يخاف عليّ من أقلّ شيء في الدنيا  
مهما كان صغير، حتى لو كان قعادي هنا أيامها كان بسّ هيحسّسني بقلق  
بسيط، أو حتى يخلّيني أحلم بكابوس وانا نايم.

- علشان كده فضّل يبعدك عنه عشر سنين على الرّغم إنّه ييموت فيك.

- وانا كمان بموت فيه.. أنا الوحيد الليّ هو بيحبّه في الدّنيا كلّها، وهو  
كمان الوحيد الليّ أنا بحبّه في الدنيا كلّها.

- طاب وانا؟

- إنت تافه.

- طبّ التّافه يطلع على أنهى شقّة.

يفكّر القيصر قليلاً لكثرة ما يمتلكه من شقق في القاهرة الكبرى فقط، ثمّ يقرّر:

- اطلع على الليّ في المهندسين.

\*\*\*

- اسمعوا وعوا عباد الله، اعلموا أنّ من دخل في عهدي فهو آمن، ألا ومن مات على حبي فهو آمن، ألا ومن كان في قلبه قدر ذرّة من حبّ لي فهو آمن، ألا وإني إمام أهل الحبّ ولا فخر، فمن صدق في حبيّ فله الحسنى وزيادة، وله الجنة، يغفر الله له وأبويه، ويهون الله عليه سكرات الموت، ويرفع عنه عذاب القبر، ويؤمّن من أهوال يوم القيامة، وتُقتضى له جميع حوائجه بفضل من الله، ألا إنّه قد أفاء الله عليّ فأنا الوليّ الصالح صاحب الأسماء ولا فخر، أنا الغياث فاستغيثوا بي إلى الله يا عباد الله فإنّ الله حفيّ بي، ألا وأنا من رحمة الله إليكم فاتّبِعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم، ألا وأنا المصباح المنير فاستدلّوا بنوري أدلكم على طريق الله، وآخذ بنواصيكم إليه، ألا وأنا الرّبّان فالتحقوا بسفيتي سفينة النجاة أوصلكم لشاطئ الرحمن الرحيم ولا فخر، ألا وأنا باب الأمل وباب الرجاء، عندي يتوب العصاة، ويعود إلى الله المقصرون، ويتزوّد من نوري المتقون، تُمنح عندي الولايات، وتُرفع عندي الدرجات، وتزل عندي العثرات، فأقبلوا إليّ عباد الله بجدّ واجتهاد.

كانت تلك كلمات مولانا الشيخ (أبو هاشم) البالغ من العمر سبعةً وسبعين عامًا في خطبته المقتضبة التي يلقيها من داخل مسجده في إحدى القرى في أول جمعة من كلّ شهر عربيّ دون أن يصعد على المنبر، صاحب الطريقة الهاشمية ذو الوجه الأبيض الذي يدلّ على الورع، وعلامة الصلاة التي بعضها من كثرة السجود وأغلبها من المبالغة في السجود لإظهارها، والذقن البيضاء القصيرة المحددة فقط.. وذو الجلباب الأبيض الناصع البياض، والذي تعتليه عباءة دائمةً والطاوية البيضاء أيضًا.

وبمجرد انتهاء مولانا من خطبته التي ألهمت حماسَ مريديه بسرعة النار في الهشيم، بدئوا في هتاف وتهليل فاق مشجعي منتخب مصر في تهليلهم على هدف "أبو تريكة" في نهائيّ أمم أفريقيا 2010، في جمل مثل..

- الله يفتح عليك يا مولانا، الله يباركلنا في عمرك، مدديا مولانا مدد، مرة تانية عشان خاطر إمامنا العظيم الكريم الحبيب سيدنا الشيخ عبد الحسيب. بعد أن رأى مولانا تأثير كلماته على أتباعه قرّر أن يغلق الستار في أوج السوكسية، وبدأ في التحرك ليصعد إلى شقته، فبدا كأنما ضرب بعصاه فانشق المسجد المدجج بالمريدين، فانلق له طريق ضيق يصطف الناس على جانبيه مُتَهافتين لينالوا أقصى ما يتمنون، وهو قبله ليده اليمنى التي لا تفارقها مسبحة والده العتيقة أبداً، والتي اصفرّت وتقرّشت من مرور أكثر من نصف قرن عليها. بعد أن ختم على يد مولانا عددٌ لا يستطيع حصره من القُبلات، دلف إلى مقام سيدي (عبد الحسيب) الذي ولد في 20 يونيو عام 1914، والذي يغلق يوم الخميس من بعد العشاء، ولا يتم فتحه إلا في اليوم التالي بعد صلاة الجمعة بعد أن يقرأ له مولانا الفاتحة.

وهذا المقام هو مقامٌ فخم وعال، يتوسّط حجرة واسعة مليئة بالأنوار البيضاء ولا يعلوها شيء، فمن ذا الذي يجروّ على أن يكونَ فوق مولانا وسيدنا وشيخنا (عبد الحسيب)..

والمقام محاطٌ بسور حديد فولاذي لامع من جميع الزوايا إلا مسافة مترين موصلتين بحبل لا يجروّ أحدٌ على عبوره إلا مولانا..

ويقف الحارسُ الذي تحوّل من صفةً إلى اسم (السنّ 50 سنة)، وهو أشدّ المريدين للشيخ "أبو هاشم" في القرية؛ لذلك نال شرف حراسة المقام منذ خمسة عشر عاماً، ولا يفارقه إلا في أشدّ الظروف، ويبقى بدلاً منه أحد أشدّ المريدين أيضاً، الذي من الممكن أن يُفدي المقام بحياته.

يتوسّط هذا المقام المسجد الذي بني بجوار المقام منذ خمسة وثلاثين عاماً على الطراز القديم جداً ذي الشبايبك العالية.



ومنزل قديم عمره خمسون عامًا، وارتفاعه ثلاثة أدوار، لونه أصفر، مرتفع السقف، درجات سلّمه عالية ومتعبة، سور السلم من الحديد، ويعلوه طبقة من الخشب الذي اغمق لونه عمّا كان منذ عشرات السنين، شبابيكه وأبوابه طويلة، ولونها بني.

الدور الأوّل كمخزن وتحضير الطعام، ويأكل فيها السائلون وأبناء السبيل وعامة الناس من خلال باب جانبي، أما الدور الثاني فللعزائم الأكثر أهمية والناس الأعلى شأنًا، أما الدّور الثالث فهو الذي يسكن فيه مولانا، ويعقد فيه اللقاءات الهامة، ويُقابل فيه أكبر وأهمّ الشخصيات المعروفة والمرموقة وذات المناصب، سواء في الداخل أو الخارج.. وهذا الدّور مُحرّم على من دون هؤلاء.

بعد أن انتهى مولانا من قراءة الفاتحة، وأمر بفتح المقام، مرّ من الباب الذي يفصل بين المقام والمنزل وهمّ ليصعد السلم مستندًا على سوره بيده اليسرى، وفي الأخرى توأمته المسبحة، ليصل للدور الثالث الذي يسكن فيه، وذلك مرورًا من الباب الحديدي الموجود في منتصف السلم ما بين الدور الثاني والثالث، ويفصل بين الدور الثالث وباقي المنزل.

شقة مولانا عبارة عن صالة واسعة، بها منضدة سفرة، وغرفة نومه، وغرفة نوم القيصر التي تُنظّف طوال العشرة أعوام السابقة دون أن ينام فيها القيصر أكثر من ثلاث مرّات، وآخرهما كانت منذ ستّ سنوات، غرفة الصالون والتي يتمّ فيها استقبال الضيوف الأهمّ لدى مولانا، ومطبخ، وحمام (بقعدة بلدي) فمولانا استطاع أن يساير العصر في معظم أشيائه المتطورة من سيارة حديثة وموبايل يتعامل معه بالكاد وتكييف، وغيره؛ عدا الجلوس على قعدة الحّمّام الإفرنجي، فهو لا يعرف كيف يقضي الناس حاجتهم وهمّ جالسون، وكان برأيه أنّ هذا الوضع أشبه بطفل صغير يقضي حاجته على نفسه، أو شيخ كهل

مسنّ وصل إلى حدّ التبول اللاإرادي وهو جالس، وكانت هذه أكثر عقبة تطارده إذا سافر خارج منزله سواء داخل مصر أو خارجها.

وأخيرًا غرفة مولانا الخاصة التي يقيم فيها شعائره الخاصة، وتسمّى (الخلوة) والتي لا يجزؤ أحدٌ على الاقتراب منها أو دخولها، سواء كان مولانا فيها أو لا، حتى أنه يقوم هو بتنظيفها.

دخل مولانا الشقة، وجلس في غرفة الصالون على كرسيه الخاص ذي الظهر العالي، والذي يعلوه خنجر أثري داخل جرابه البني الغامق مُعلّقًا على الحائط حيث يتخطّى تاريخه الأربعة عشر قرنًا، هذا الكرسي خاصّ بمولانا فقط ويختلف عن طقم الصالون المغطّى بكسوة بيضاء يبرز منها خيطان سميكان، تبدأ من أسفل قدم الكرسي مرورًا بمسانده، وانتهاءً بالقدم الموازية باللون النيتي.

تبعه خادمه الذي لا يكاد يفارقه، ويُدعى عباس، السنّ أربعون عامًا، متوسط الطول ونحيف الجسم، ويغلب على شعره اللون الأبيض، يرتدي داخل القرية الجلباب البلدي، وخارجها يرتدي القميص والبنطلون المهترئين نسبيًا،

ويحاول أتباع مولانا في صفته التي يتقنها من خبرة السبعة عقود التي تخطّأها وهي إجادته للهِجة الفلاحي في القرية، والهِجة القاهرية مع الأشخاص المهمّين، ولا يخلو الأمر من بعض الجُمَل الخليجية البسيطة..

- منصور بيه عضو مجلس الشعب عايز يقابل فضيلتك.

ينظر له مولانا نظرة حادة تسبّب له رعشة في كلّ مرة يلقيها له مولانا، وهو غير رائق المزاج، ولا يتبعها بردّ،

فمولانا له هيبة، وحوله هالة يحسده عليها الجميع، فهو عندما يتكلّم يُسمع وإذا حذر أخاف وإن صمت عمّ صمته على المكان بمنّ فيه، ورث معظمها

القيصر وأضاف لها، ولكنّه وجّهها إلى ما يميل ويعشق وهو النساء.. الحريم.. البنات.. الجنس الآخر، وكلّ مترادفات هذه الكلمة.

يستجمع عباس قواه وكلّ ما يملك من جرأة ليزيد جُملةً أخرى على مولانا في هذه الحالة..

- ده بقاله شهر عاوز يقابل فضيلتك، وفضيلتك مش فاضي.

ينظر له مولانا نظرة أخرى زادت لديه الأدرينالين المتدفّق نتيجة النظرة الأولى، وتبعها إيماءة رأس بمعنى (دخّله)

فيخرج عباس ويحلّ محلّه منصور مبتسمًا ابتسامه عريضة، معظمها مصطنعة، وفي يده حقيبته الجلدية التي لا تكاد تفارقه، ثمّ يسلم على مولانا بحرارة شديدة مع انحناءة..

- إزّي صحّة فضيلتك يا مولانا؟

- بخير.

- أنا بقالى يجي شهر عاوز أقابل فضيلتك، وفضيلتك مش فاضي.

- علشان كده يا ريت تدخل في الموضوع يا سيادة النايب.

- وهو كذلك يا مولانا.

يفتح منصور حقيبته الخاصة، وكانت محتوياتها كأغلب محتويات حقائب الخمسمائة وخمسة وخمسين زميلًا له، والتي يعلوها عددٌ لا حصر له من طلبات ناخبه، والتي لها فائدتان أولهما أنه لا يرفض طلبًا لأحد من أبناء دائرته ومن أعطوه صوتهم وثقتهم، والثاني والأهم هو أنّه في كلّ مرة يلتفّ حوله الناس ليتقدّموا بطلبات أو يتمنوا منه خدمات، يفتح لهم الحقيبة ويريهم ويشهدهم على كمّ الطلبات التي بحوزته، والتي لا يستطيع أن يرفض طلبًا لأبناء دائرته الأحبّاء..

يمسك بهم جميعاً في قبضة واحدة، ثم يلقيهم بجانبه في سلّة المهملات كمصير الطلبات السابقة والقادمة أيضاً، ثم يخرج بعدها ملفاً أخضر، به ثلاث ورقات عبارة عن كشوف أسماء..

- دول ثلاث كشوف، واحد للحربية، وواحد للشرطة، وواحد للجوية..  
ثم تغيّرت نبرته للسخرية قائلاً:

- راجعهم كده فضيلتك ليكون فيهم حدّ عيلته فيها إخوان والّا سلفيين والّا حدّ في عيلته عليه قضايا جنائية والّا حاجة..

- مش مهمّ، التحريات اللي بتطلع عنهم في إيدينا، المهمّ إنّ المبلغ السنة دي هيزيد عشرين ألف عن السنة اللي فاتت.

- ليه بسّ يا مولانا، دي لسّه زائدة السنة اللي فاتت عشر تلاف عن السنة اللي قبلها!!

- والسنة الجاية هتزيد ثلاثين عن السنة دي، مش همّا اللي عايزين يبقى عندهم سلّطة ونفوذ، ويبقى ليهم ضهر يتسندوا عليه، خلاص.. كييف السلّطة يشتريله معلقة.  
- أمرك يا مولانا.

- الفلوس تبقى عندي في أقلّ من شهر علشان تلحق تروح لأماكنها بالأسامي قبل بدء التقديمات.

بلسان تثاقل من فعل الإحراج يطلب النائب بخجل:

- لو تسمحلي بسّ فضيلتك، أأجل الفلوس شوية بسّ.

يشير له مولانا بسبّابته اليسرى تجاه لوحة زيتية لديك يعود ريشه للون البني، معلقة على الحائط المقابل لهما قائلاً:  
- لو صاح الديك شكك أدّيك.

## الفصل الثاني

ينام القيصر عارياً تماماً إلا من (البوكسر) فقط، داخل شقته في المهندسين، ولا يوقظه إلا رنة الموبايل، فيستيقظ في مزاج سيء لعدم كفايته من النوم، وبمجرد رده على الموبايل وسماع صوت مولانا يتحوّل للنقيض..

- واحشني قوي قوي قوي يا مولانا.

- وصلت بالسلامة إمتى؟

- من خمس ساعات كده.

- هتجيلي إمتى؟

- شوية كده، أتبسط مع صحابي شوية وآجي.

- وسّخ براحتك، وانا هنصّف وراك، وبعدين تعالالي، علشان عايزك

ضروري.

تبعث هذه المزحة ابتساماً للقيصر ختم بها المكالمه بجملة:

- حاضر يا مولانا.

- مع السلامة يا حبيبي.

يغلق القيصر الموبايل ويرميه، ثمّ يمسكه مرة أخرى، ويتّصل بـ رجب..

- إيه يا زفت! إنت فين؟

- أنا في البيت وهنزل على بالليل كده أروح على شقة البريتا، عارفها؟

- آه، خلاص هعدّي عليك هناك، يلاً في داهية.

يغلق الخطّ ويلقي بالموبايل جانباً، ويعاود النوم مرّة أخرى.. ليصل بعد خمس ساعات بسيارة رجب أمام عمارة في الدقي، بها شقة تدار للقمار.

ينظر من داخل السيارة للعمارة ليتأكّد هل أصاب الهدف بهذه السرعة من أول مرّة بعد هذه السنوات أم خائته ذاكرته الجغرافية.. وبعد أن تأكّد أنّ ذاكرته مازالت تستحقّ الرقية الشرعية خوفاً عليها من الحسد، ينزل من السيارة، ويتّجه ناحية باب العمارة.

بعد أن عبر خمسة أدوار بواسطة المصعد ووصل للدور السادس، وقف أمام باب شقة يتقدّمه باب حديدي، وذلك لتصعيب المهمة على من يُريد اقتحام المكان سواء من الشرطة أو غيرها.

قرع القيصر الجرس عدّة مرّات تكفي لإيقاظ أهل الكهف، ففتّح الباب من قبل شخصٍ ضخم لا يعلو فروة رأسه أيّ من الشعر، هو جارد الشقة والمسئول عن منع أيّ مشادّات في الداخل، ومتحدث بصوت جهّوري، يخيف أيّ شاب (سيس) ممّن يتردّدون على ذلك المكان عدا شخص كالقيصر.

- عايز مين؟

بالداخل كان هناك العديد من الشباب والبنات، منهم من يشرب الخمر، وبعضهم يتعاطى مخدرات، والآخر يتحرش بفتاته.. يبحث القيصر بعينه عن رجب فيجدّه عند البار يشرب كأساً، وأشبه بمنّ يجلس بكواليس مزاد علني تباع فيه ممتلكاته.. يأتي القيصر من خلفه ويصفعه على كتفه..

- بتعمل إيه؟
- قيصر!!
- ما لك يله؟
- خسرت كل فلوسي على الترابيزة.
- علشان حمار، وانت بتعمل إيه دلوقت، بتشرب علشان تنسى!!
- مستني لما يخلصوا الدور علشان أنزل الدور الجاي.
- ويحطوا عليك تاني!!
- طب أعمل إيه طيب؟

ينظر القيصر للترابيزة ويرى من عليها، ويجد ثلاثة بهم شخص يجلس على رأس الترابيزة ترسم على وجهه نشوة النصر، ويبدو أنه بارع في هذه اللعبة، بل أيضًا هي مصدر دخله التي يعيش عليها..

- تعالى.

يتّجه إلى الترابيزة وخلفه رجب، وعند وصوله للترابيزة يكون قد انتهوا للتوّ من الدور القائم، والشخص المسيطر يحتفل بنصره حيث تجلجل ضحكاته قائلاً:

- خلصت يا حلويين، تخسروا.

يجلس رجب على رأس الترابيزة أمام الشخص الرابع، فيخبر القيصر الجميع:

- أنا نازل الدور ده.

فيخس الشخص الرابع حقّه ويستهنأ به:

- وانت مين بقى؟!

- أنا واحد معاه فلوس كتير وعايز يخسرها!!

- بسّ مفيش مكان.

- لأ فيه.

يتّجه ناحية رجب ويدفعه ويجلس مكانه، فيرمقه الشخص بنظرة تحدّ وغضب:

- ماشي.

ويبدأ في توزيع الورق، فيقاطعه القيصر:

- استنى.

يخرج القيصر علبة سجائره ويشعل سيجارة، ثمّ يستأنف كلامه:

- وزّع.

يردّ عليه الشخص بكأس من الخمرة شربه دفعه واحدة، بدأ بعده في توزيع الأوراق وهو ناظر للقيصر في تحدّ، فيستقبل القيصر الورق في ثقة، ويبدأ الدور.

أثناء اللعب يرفع القيصر الرهان ليحجر الجميع على الرهان بكلّ ما معهم، وبعد مرور وقت طويل من الشدّ والجذب وزيادة التوتر والقلق يبدأ كلّ شخص في إظهار أوراقه وآخرهم القيصر الذي تأخّر لدقيقة كاملة ليحبس الجميع أنفاسهم ويظهر على وجهه علامات الغضب، ليتأكد خصمه أنّه فاز بأكبر رهان له في حياته، وفجأة يلقي القيصر أوراقه والتي تحتوي على ثلاث ورقات من البنات تجعله يتفوّق عليهم جميعاً ويربح كلّ الرهانات، مع ضحكة سخرية.

- Three Bitches

ثمّ ينظر لهم:

- Bitches

يفرح رجب وينظر لأعلى مع قبض كفيّ يديه وجذب يديه لأسفل صائحاً:

- Yeeeees



يغضب الجميع، وعلى رأسهم الشخص الرابع سابقاً الذي ضرب بكفه  
الكأس وأوقعه على الأرض فانكسر،

يأمر القيصر رجب بلمّ الفلوس، فيستجيب ويبدأ بأخذ جميع النقود  
الموجودة على الترابيزة، يقف القيصر، فيتبعه الشخص بوقفة غاضبة:

- رايح فين؟

- إنت مال أمك رايح على فين!

- مينفعش تكسب دور وتمشي.

- وانا عايز امشي.

يتّجه ناحيته الشخص ويضع يده على النقود:

- يبقى مش هتاخذ الفلوس دي.

ينظر له القيصر ثوان، ثم يفاجئ الجميع بكسره لزجاجة خمرة، ثم دفع الشخص

تجاه الحائط ووضع سنّ الزجاجة أمام عين الشخص بمليمترات..

- إيه رأيك لو أخذق لك عينك دلوقتٍ وتعيش بقيه عمرك بعاهة!! عينك

قصاد الفلوس دي، قلت إيه؟

يتجمّد الجميع في أماكنهم من ذهولهم تجاه ردّ فعل القيصر المفاجئ مع

شخصيه كهذه من الواضح عليها أنها ليست بالسهلة أو الضعيفة. وكان الوضع

لا يحتاج لتفكير للرد، فما كان منه إلا أن يومئ رأسه بنعم، فدفعه القيصر، ووقف

الجارد حائلاً بينهما، تزامناً مع جمع رجب لكلّ النقود.. ألقى القيصر نظرةً عامة

للمكان، ثم اتّجه إلى باب الشقة، وخلفه رجب.

\*\*\*

بدأت أولى نسمات الصيف تعبث بوجهه القيصر حين خرج من باب العمارة وخلفه رجب متحدثاً في هاتفه، بعد أن وصلاً إلى السيارة كان قد انتهى من مكالمته قائلاً:

- هات أنا أسوق علشان انت ممعكش رخص.

- رخص إيه!! إنت أهبل.. اركب.

بعد أن تخطت الساعه منتصف الليل بدقائق كانا في شارع جامعة الدول متجهين ناحية كوستا كافيه، يخبره رجب بمفاجأة من وجهة نظره:

- مظبطلك بقى ليلة بمناسبة رجوعك من السفر، هتدعيلي.

- كل الليالي اللي ظبطهالي كانت زيّ وشك.

- اشتري مني المرة دي، مظبطلك جوز بنات وتك..

- والتتف دول هاي كلاس واللا مدورينها.

- هتفرق؟

- آه طبعاً هتفرق، أنا التتفة بالنسبالي يا إمّا تكون هاي كلاس، يا إمّا تكون

ببرشامتها.

- نفسي أعرف إيه مزاجك في الحكاية دي.

- يا حمار، إنت لو قصادك إزاتين مية، واحدة ببرشامتها وواحدة

مشروب منها قبل كده، هتختار أنهي؟

- اللي ببرشمتها.

- أديك قلت.

- نظرية برضه.

- نظرية صحيحة.

بسّ عارف برضه.. البطيخة اللّي متفتحتش اتهرت تأفّيش  
ثمّ ينفجر ضاحكًا قبل أن يسأل:

- المهمّ معاك حشيش؟

- لأ، بسّ هنعدّي على التوكيل نجيب كام إزازه.

كان ذلك الرّد أوّل ما أغضب القيصر بحقّ منذ عودته

- منا قتلتك ميت مرّة إنّ وانا في مصر ببقى عايز حشيش، ما الخمرة  
والماريجوانا زهقان منهم في أمريكا، أنا هنا عايز الكيف البلدي المحلي، ما  
وجدنا عليه آباءنا وأجدادنا

- خلاص خلاص، بعد كده هتلاقي معايا حشيش على طول.

يشير رجب بيده ناحية بتتين في أوائل العشرينيات الأكبر سنًا وخبرةً يعتلي  
رأسها حجابٌ أبيض يتدلّى من مقدمته خصلات شعرها الشّقراء بفعل ماء  
الأكسجين، أمّا الأخرى فغير محجبة، بمجرد النظر إليهم يتسنى لأيّ هاوٍ أن  
يعرف مدى تدنّي مستواهم الاجتماعي، بل ومن المحدثين في عالم الدعارة،  
ولكنهم نظرًا لخبرة رجب المحدودة مفاجأةً للقيصر احتفالاً بعودته، أمّا للآخر  
فكانتا بالنسبة إليه أقلّ من أن تُترجم ملامحهما عبر شبكيته أو قرنيته لتتكوّن لهما  
صورة ليراهما أساسًا..

- أهوم، هنروح بيهم فين، المهندسين؟

- إنت أهبل، عايز بنات شوارع زيّ دول يدخلوا شقة القيصر، هناخداهم  
عندك في أيّ داهية.

- بسّ أنا الشقة اللّي في الدقي مش جاهزة قوي.

- إنجز، هنروح فين واللا ارجع.

- خلاص خلاص، أدخل عليهم.

يقترّب منهّنّ القيصر ببطء، صافعًا ذات الحجاب على مؤخرتها، فتصرخ متصدّعة المفاجأة، ولكنها مفاجأة معتادة تنتظرها في كلّ مرّة تنزل إلى الشارع لتصطاد زبونًا لها.. بدا القيصر هادئًا حين أمرهم:

- اركبوا يا أوزر

ينظرا داخل السيارة فيريا رجب، فيناديهما:

- تعالوا.

ثم يُبدّل مكانه ويركب بالخلف ومعه الصغرى، تاركًا الأخرى ذات الإمكانات الأضخم بالأعلى والأسفل بجانب القيصر في الأمام علّها تستطيع أن تُشبع ولو القليل من الكثير الذي يمتلكه ويحترفه.

تبقى لهذه السهرة آخر ما ينقصها وهو المرور على توكيل الخمور لشراء ما سيجعل كلّاً منهم يفعل ما لم يفعل ويرى ما لم يرى، وذلك من تأثير السكر خاصّةً لمثلهم من غير معتاديه، عدا قيصرهم.

يستوقفه رجب عن القيادة قائلاً:

- التوكيل أهو.

ليقف القيصر وينزل رجب متّجهًا لمحلّ الخمور، ثمّ تبدأ البنت المجاورة للقيصر في عملها مبكرًا:

- إنت اسمك إيه بقى؟

يشير لها القيصر بيده بمعنى (استّئي)، ويمسك الموبايل ولا يردّد.. أضافت مداعبة لشعره في نهاية الرأس:

- أنا اسمي ماهي، انت بقى اسمك إيه؟ هاه.. إيه؟

كانت من النوع الكلاسيكي المعتاد في أفلام الثمانينيات التي تعلّمت منها هذه الضائعة وأشباهاها هذه المهنة، بطريقتها الساذجة المملة، لذلك ما كان من القيصر إلا أن صاح فيها بغضب:

- ما خلاص يا روح امك بقي، إنت هتصاحبيني .

ترفع يدها من عليه بسرعة وفزع يفوقا من يرفع يده عن سلك عارٍ بقوة  
220 فولت، ثم يعمّ الصمت،

يأتي رجب ومعه كيس به عدّة زجاجات من الخمرة، ويركب لينطلق  
القيصر للمحطة النهائية وهي شقة رجب،

يخرج رجب قطعة حشيش صغيرة تكفي لسيجارتين، ويعطيها للقيصر:

- صباح الفل يا كبير .

- جييتها منين دي؟

- الراجل بتاع التوكيل مسى عليّا بيها.. أصل أنا كسبت الشهر ده جائزة

الزبون المثالي

يضحك الجميع على هذه الدعابة السخيفة لتكون بداية لإذابة الجليد بينهم.  
بدا القيصر مُقتصدًا على عكس طبيعته تمامًا، ورأى أنّ صناعة جويتان من تلك القطعة البنية ذات الرائحة النفاذة ستحتاج لوقت غير أنّها لن تجدي ولن تحرك مزاجه قيد أنملة، فمدّ أصابعه ناحية حجاب الساقطة ليسحب بخفّة يد دبوس ثبته في منتصف قطعة الحشيش بعد أن سخّنها بولاعته ومطّها بورقة سوليفان من علبة السجائر الخاصة برجب لتأخذ شكلاً طويلاً، ثم غرز الدبوس بجواره ليتوسّط سقف السيارة، وأشعل تلك القطعة من الجانبين، ثم أغلق جميع منافذ الهواء تمامًا.

وبعد أن بدأ دمه ورتناه في استقبال حبيب غائب منذ سنين، لم يُرد أن يقطع ذلك اللقاء الدافئ فقرّر أن يصل إلى الشقة من أبعد الطرق، وقرّر أن يُعلي مزاجه وموضعه على الأرض معاً، ويعتلي الطريق الدائري، ويسير ببطء كما استنزف ذلك الدخان الأزرق بخاصية التصوير البطيء.

انتهت الهدية بعد أن تحوّلت لدخان أزرق يملأ السيارة التي تحوّلت كغرفة بخار في نادٍ صحّي، حينها تفاجأ بكمين أمني على مسافة سبع سيارات أو أكثر، لم يهتمّ بعددهم، يشلّ حركة الدائري.. بدأ القلق على الجميع عداه، وصكّت البنت المجاورة لرجب صدرها بقول:

- يا نهار اسود!!! لجنة.

أعقبها رجب:

- افتح الإزاز كلّه علشان الدخان ده يروح بسرعة.

فما كان من القيصر غير..

- ششششششش.

رجب ملحاً:

- الكمين شكله رخم.

تلته البنت المجاورة للقيصر:

- أنا مسجّلة.

بابتسامه سخريه ولسان ثقاقل متعمداً بتأثير الحبيب والمقرب والصديق

(الحشيش)

- متخافيش يا شاطرة، الحكومة مش عايزاك إنتِ، الحكومة بتكافح الإرهاب!

يدخل القيصر على الكمين بثقة قائد ذي بأس يمرّ على أفراده ليرى سير العمل ويعاقب مَنْ تسوّّل له نفسه التسبب أو الإهمال..

- يالهوري..

آخر ما أطلقته البنتان قبل أن يتلعا لسانهما لباقي الليلة، وعمّ القلق على الجميع، إلّا قائد السيارة المجنون الذي يقودهم جميعاً إلى ما لا يقلّ عن بضعة سنين لا بأس بها داخل السجن.

بمجرد نظر الضابط صاحب النسر إلى السيارة من بعيد، علم أنه وجد قضية تجعل الوقوف طيلة الساعات السابقة واللاحقة لها جدوى، فقرر إيقافها وتفحص مَنْ بداخلها بنظرة، فأدرك أن خبرة السنين لم تخنه..

- أهلاً... الرّخص والبطايق.

لكنّه بالرغم من كلّ سنوات الخبرة، فلم يتخيّل أنه سيسمع مثل ما سمع ليلتها من ذلك القيصر:

- ممعيش رخصة ولا بطاقة.

- حلو!!

لم يصدّق الضابط ما داعب أنفه من رائحة، على الرغم من معرفته الوثيقة لها دون أدنى شك، ولكنّ هنا، وأمامه في الكمين!! هذا ما جعله متسائلاً:

- إيه الريحة دي؟

- حشيش.

يتفاجئ الضابط بهذا الرّدّ الذي لم تسمعه أذناه أو أذن أيّ ممّن سبقه..

- وفي خمره ورا كمان.

- كمان!!

- والبّت دي مسجّلة.

- كفاية كده كفاية، انزلي، ده انتو ليلتكوا سودا..

- مش فاضي للأسف، افتحلي الطريق علشان امشي .  
لم يستطع الضابط تحمّل كلّ ذلك الهذيان، فقد وقع تحت يده العديد من  
السكرارى أو شاربي الحشيش أو مستشقي الهيروين، ولكن بمجرد رؤيتهم له  
يعود لهم عقلهم الذاهب ..

- إنت مبرشم يله، إنت بتقول إيه!؟

آخر جملة تحمل هدوءًا غير معتاد من القيصر ..

- كلمة زيادة هدوسك تحت عجل العربية.

تضاربت كلّ ردود الأفعال داخل رأس صاحب البدلة الميري، على  
الرغم من خبرة الأربعة عشر عامًا مع التعامل مع أقذر أنواع البشر، وأكثرهم  
إجرامًا، ولكن ما قبله هذه الليلة لم يكن مثلما رأى أو حتى سمع عنه، فلم  
يكنّ منه إلا أن تفوّه بطلب واحد:

- طب اطلع ورايا على القسم.

حينها كان الأمر وصل لغريمه إلى حدّ التحدي ..

- اطلع.

وأمسك بمصباحه السحري ليستحضر أحدَ ماردية، تحرك الضابط في سيارة  
الشرطة الملاكي، وخلفه القيصر وخلفهم البوكس، وقبل أن يجتاز مسافة عشرة كيلو  
مترات فقط يستقبل رسالة على اللاسلكي الخاصّ به، بدأها:

- أمر سيادتك.

فكانت من مديره ومدير كلّ من يعلوه ويتبعه في المحافظة بأكملها،  
وكانت فحواها بلهجة غاضبة:

- إيه اللي انت بتعمله ده!! الله يخربيت أهلك.

- خير سعادتك.



- خير إيه وزفت إيه!! إنت عارف مين اللي انت واخده ده، إنت عارف مين اللي كان بيكلمني دلوقت، إنت هتودّي نفسك وتودّينا في ستين داهية، هاتهم وتعالى على المديرية حالاً.

انتهت الرسالة، وأيقن سامعها انتهاء مستقبله في المباحث، فإذا كانت أمّه تدعو له بكامل إخلاصها، يمكن أن يكون له مستقبل آخر في الدفاع المدني أو مباحث الكهرباء.

ولكن عند وصوله لمديرية الأمن ورؤيته لنائب مدير الأمن منتظرًا بنفسه، بدأ يفكر فيما يمكن أن يستغل وقت فراغه بعد خروجه من الخدمة مبكرًا.

تقف جميع السيارات أمام باب المديرية، ويتّجه نائب مدير الأمن إلى سيارة القيصر متحدثًا إليه من الشباك:

- آسفين حضرتك على سوء التفاهم اللي حصل ده، اتفضّل حضرتك نعمل الواجب.

- لأ، أنا الواجب بتاعي هيتعمل مع الضابط ده، ولو الواجب اللي هيتعمل معاه معجبنيش، الواجب هيتردّ فيك انت.

يسكت العميد ثوانٍ لبيتلع تلك التهديدات، ثمّ ينهى الحوار حتى لا يسمع أكثر من ذلك:

- تحت أمرك.

تجمّعت علامات التعجّب الموجودة بالعالم على وجه رفقاء السيارة أثناء نظرهم للقيصر أثناء المحادثة، وقبل أن ينطلق القيصر ينظر لرجب في المرأة الداخلية:

- مش قتلتك كلّ الليالي اللي ظبطّھالي كانت زيّ وشك.

ثمّ ينهي سهرته الأولى في مصر، والتي أعدّها له رجب بأن يبصق في وجهه من خلال المرأة.

## الفصل الثالث

يقف مولانا أمام مقام الشيخ عبد الحسيب رافعاً يده مرّدداً فاتحة الكتاب، بينما المسجد نصفه ممتلئ وقرآن الجمعة الثانية من الشهر العربي يُقرأ في الراديو. يهَلّ عليهم مولانا فيُقبل مريدوه على تقبيل يده، والقلة ممّن ليسوا من مريديه يحاولون الانشغال بأي شيء، حتى لا يراهم ويغضب عليهم.

يصل مولانا إلى مكان الإمام ويصلي ركعتين تحية للمسجد، وبعدها يجلس مكانه ووجهه للمصلين، ثم يرفع أذان الجمعة.

يتوجّه شيخ يرتدي العمامة الأزهرية ويقف أمام المنبر، فلا يجروء أحد أن يعتلي المنبر ومولانا أبوهاشم يجلس بالأسفل.

يشير الخطيب بيده لمولانا بمعنى (تفضّل لتخطب أنت)، فيردّ عليه بهزة رأس مع إشارة بيده معناها (تفضّل)

فيشرع الخطيب في خطبته بإيجاز إلى أن انتهى وأقيمت الصلاة، وتقدّم مولانا ليؤمّ المصلين، فإنّ أقصى ما استطاع أن يحصله في الدين والقرآن هو بضع آيات يكرّرها في معظم صلواته الجهرية، والتي كان يتجنّب إمامتها معظم الأوقات، على عكس الفروض التي لا تحتاج إلى قراءة وترتيل وإمام بالاحكام والتي لم يكن ليفوتها.

انتهت الركعتان فالتفت مولانا بسرعة، ورمى الخطيب بنظرة حادة، ذكرته أنه نسي شيئاً هاماً جداً، أهم ما في يوم الجمعة، وهو حث المصلين بالتبرع للمسجد من أجل الفقراء والمساكين وأبناء السبيل، فيضطر كل من يخرج من المسجد بالتبرع في صندوق التبرعات الموجود على باب المسجد، والذي يقف بجانبه شخص يرى من يضع كثيراً ومن يخرج قليلاً، ويعرف ويسجل في ذاكرته من يحاول التهرب ومن لا يقتنع بهذه التبرعات.

وبالرغم من أن معظم الناس تتذمر وتتأفف بسبب هذه التبرعات الأسبوعية شبه الإجبارية، ولكن لا أحد يقدر على التفوه بشرط كلمة.

\*\*\*

رباط الحذاء السيفتي هو آخر ما ينقص القيصر ليكمل هيئته استعداداً للخروج أثناء حديثه لرجب في الموبايل دون أن يمسكه بيده، بل واضعه بين أذنه وكتفه..

- اجهز يله، أنا هعدّي عليك دلوقت، اخرس خالص، إياك حسك عينك تقولي على حاجة نعملها أو مكان نروحه تاني، يلا في داهية.

ثم يرفع رأسه فيقع الموبايل بجانبه.

بعد نصف الساعة، يقف رجب في الشارع منتظراً، فيفاجأ بقدوم القيصر بالسيارة محاولاً دهسه ليخيفه

فيففز من مكانه بشكل مضحك، ليضحك صاحبه بشدة، فيحاول المفزوع أن يغطّي على ما حدث وعلى منظره المضحك..

- كده هتموتني، أهون عليك؟

- كلب وراح، اركب.



تحول الحديث داخل السيارة نوعاً ما إلى الجدية عندما سأل القيصر:

- قضيت الهيرو والحشيش اللي قتلتك عليهم؟

- لسه.

كان ذلك الردّ هو آخر ما يريد سماعه، فأكثر ما يغضبه هو أن يريد شيئاً ما وخصوصاً كيف فلا يجده عند طلبه فوراً.

- لــــيه؟؟!

- منا كلّمتم الراجل قاللي مش فاضي ساعتها.

- طب كنت احجز من قبلها، ما ده اللي ناقص آخذ ميعاد من الديلر قبل

ما اروحل، وسكّته إيه الرّمة ده؟

- في المقطم، اطلع وانا هدلك على الطريق.

قمة المقطم شبه مظلمة إلا من نور سيارة جيب تنتهي من الشراء من الديلر الذي يتعدى طوله المائة والتسعين سنتيمتراً، ووزنه أكثر من مائة كيلو جرام، يغطّي صلعة رأسه على طريقة عصام كاريكا، مرتدياً تي شيرت ضيق أخضر وبنطلون (باجي) زيتي اللون، سانداً على دراجته النارية (Race) موديل هوندا.. والذي من الواضح أن مهنته القديمة كانت جاردًا، وتركها نظرًا لعدم قدرته على سدّ حاجتها من تمرين أو مصاريف المكملات والهرمونات ليظلّ بهذه الضخامة، ناهيك عن عدم القدرة على مواجهة المخاطر أو المشاكل في بعض الأحيان، والأهمّ هي تلك العلامة المضيئة الموازية لأنفه التي تعدّت التسع غرز التي تلقّاها في مشاجرة بين شباب أثناء إحدى حفلات الغناء لمطربة لبنانية في مصر.

أوقف القيصر السيارة على مسافة ثلاثين مترًا، حيث أشار رجب بيده

ناحية الديلر:

- أهوا ده، استنّي انت هنزل أقصّي منه وارجعلك.  
- إيّاك بسّ مایسگکش.

نزل وتوجّه ناحية الضخم في خطوات متوترة ناتجة عن ظلام المكان وشراسة البائع، حاول أن يتظاهر بالثبات والثقة لدقائق قليلة إلى أن انتهى وعاد للسيارة دون أن يتحقّق ممّا بحوزته، ولكنه حاول ألاّ يظهر ذلك للقيصر حين أعطاه تذاكر الهيروين ونصف أوقية الحشيش من شباك السيارة وباغته بالحديث مسرعاً:

- إيه رأيك في الإصطف، أعلى حاجة معاه.

تفحص صاحب الخبرة المشتريات، وفي أقلّ من دقيقة، ونتيجة لخبرة السنين ظهرت النتيجة..

- أعلى حاجة إيه يا مغفل إنت، إنت عشت طول عمرك تشرب إيه، زفت!!  
ده انت لو قعدت عمرك كله تشرب زفت كان زمانك بتفهم في المخدرات أكثر من كده.

يفتح الباب بغضب وينزل:

- تعالی ورايا نرجعله القرف ده.

اتّجه ناحية الديلر في خطواتٍ سريعة وناشطة، وكلّ علامات الغضب مرسومة على وجهه، وخلفه رجب متردداً يحاول تهدئته:

- أنا بقول الإصطف ده كويس، والمرّة الجايّة نجيب من حتة تانية.

- تانية إيه! إنت هتقلّق، امشي.

تلك كانت عادة ذلك البائع، النّصب على الشباب (الفرافير) وزبائن المرّة الواحدة بأن يعطيهم أصنافاً مغشوشة، معتمداً على قوّته وضخامته وملامحه

المخيفة.. أمّا زبائنه الدّائمون فيبقي لهم على البضاعة الأصلية، وكان ذلك النّصب هو ما يدرّ له دخلاً عاليًا.

يصل إلى الرجل ويرفع المخدرات أمام وجه الديلر متحدثًا بحدّة:

- أنا عايز أرجع المخدرات دي.

- ليه يا شاطر ما لها، صلاحيتها منتهية!

- لأ، أمك شدت الهيروين وشربت الحشيش، وحطتلك بدالهم سكر

بودرة ولبان دكر!!

يخرج الرجل مسدسه صائحًا:

- إنت بتقول إيه يله!؟

كان ذلك أقصى ما يمكن أن يفعله، فهو طيلة حياته لم يكن صاحب القلب الميت أو الشخص الغير معني بحياته، بل كان يعتمد على ضخامته وصوته الجهور اللذين ينهيان المشكلة من قبل أن تبدأ.

ولكن هذه المرّة كان تصوره خاطئًا مع الشخص الذي لا يهتزّ للشكل أو حتى لسلاح، فكان الردّ من القيصر:

- نعم يا روح امك، إنت فاكرونا عيلين إيموز جاينين نقضي منك، ده أنا اللي شربته في حياتي يسطلك انت وبلدك واللي جابوك، ده أنا أدفك هنا.

فقد صاحب السلاح حاسة النطق لبرهة، أو حتى لمّ شتات أفكاره، فكان للقيصر هيبة وقوة شخصية غريبة تفرض سطوتها على أيّ شخص وفي أيّ موقف، فانششرت كلّ ردود الأفعال في حلق النصاب إلا أسهلها..

- خلاص، فلوسك أهّي.

يفتح حقييته المعلقة على كتفه على شكل (كروس) ليعيد للقيصر ماله  
مرة أخرى، فيرقمه صاحبه بنظرة إعجاب تفوق نظرة عاشقات المسلسلات  
التركي عند رؤية مهند وجهاً لوجه.

\*\*\*

يصلا أمام صالة ديسكو، وبمجرد دخولهم يقابلهم أحد الجارادات  
ليرحب بالمهم:

- الباشا الكبير قوي، اتفضل، تحب سيادتك تنفضل هنا؟

- لا أنا هقعدع البار أشرب كاس.

يتجه إلى البار وخلفه قرينه، ويجلسا ثم يبدأ رجل الخزنة بطلب من

البارمان

- رَم، وده هاتله بيرة علشان أكثر من كده بيطّوح، ههههههه، شايف الأماكن

اللي فيها حريم نضيفه، مش الأشكال الضالة اللي انت بتعرفها!

- ليه! عمري ما جبتلك حاجة وعجبتك؟

- عمرك.

يجول القيصر ببصره في المكان هنا وهناك، ثم يشير تجاه إحدى

الموجودات التي تجلس مع شابين أحدهما يضرب كأسه بتوأمه الذي بيدها،

والآخر يملأ بصره بكل ما يؤمّله خياله لديها منذ ظهور علامات البلوغ عليه

وحتى الآن..

- كلهم زي ال Bitch اللي قاعدة هناك دي.

- هو انت على طول ظنك كده في كل البنات؟

انفجر ضاحكاً ردّاً على هذه السذاجة التي تصل للغباء:

- يعني واحدة قاعدة الساعة واحدة بالليل مع شباب في ديسكو وبتسكر تبقى إيه؟! يا بني زمن البنات المؤدبة والمحترمة بَح، زمان كنت تقول للواحدة من دول في الجامعة مُمكن تديني قلم وشّها يحمر، النهارده تقول للواحدة ممكن تديني قلم تقولك أديهولك فين.

- وانت مفيش حاجة عمرها استعصت عليك.

- أنا عمر ما في واحدة عجبتي إلا أمّا جيبتها تحتي.

شيء ما في الخلفية وراء صاحبه خطف نظر رجب وأجبره على التركيز معه فهمّ بالسؤال:

- عمرك؟

- عمري.

- متأكد؟

- Sure

بابتسامة صفراء مع هزّة رأس مشيراً تجاه امرأة في الخلفية:

- طب تقدر على واحدة زيّ دي؟

ينظر خلفه فيرى ظهر امرأة كان كفيلاً بإثارة هرمون التستستيرون لديه، وضخّ الدماء في بعض الأماكن، لأنها من النوع المفضل والسنّ الأقرب لمزاجه، وهو حوالي 30 عامًا.

بشعرها الكستنائي الأقرب للبيّ، وبشرة لا هي سمراء ولا هي هافان، لم يصل لها كثير من المخلوقات على هذا الكوكب عدا رايا اللبنانية التي انفصلت



عن والديها في سنّ العشرين بحثًا عن الشهرة والأضواء سواء كانت أضواء التمثيل، الغناء، الإعلانات، أو حتى الظهور كموديل للكليبات، لكنها لم تتخطَّ حتى الخطوة الأولى في جميع تلك الطرق؛ أولاً بسبب قرارها الابتعاد عن كل تلك المجالات، قرارًا لا رجعة فيه بسبب نجاحها من مكيدة لتصوير فيلم جنسي لها عن طريق مخرج كليبات يحمل نفس جنسيتها، ثانيًا لأنها صاحبة مبدأ، مبدأ لا يُمْتُّ للشرف بصلة ولكنه مبدأ وله شعبيه وأنصار، كان مبدؤها هو أن تفعل معك ما تريد وأكثر شريطة الإعجاب أو لآ بك وليس سلطتك أو مالك فقط، فللأسف كل من أراد أن يُقيم علاقة معها أو أن ترافقه أو تكون مصدر متعته الاحتياطي حين يفرغ من أعماله التجارية وقراراته السياسية، إمّا من أصحاب الستة أو السبعة عقود وإمّا من حاملي الأمراض المزمنة، وآخرهم لا يجيد غير المشاهدة فقط.

والصنف الآخر هم أبناء تلك الطبقة، ولا يتعدّوا من وجهة نظرها سوى شباب تافه لا يشغله إلا أن يباري بها أصدقاءه الأكثر تفاهة منه أو أن يكون مضحوكًا عليه بما يراه من أفلام 18+ ويريد فعل ما يدور بخياله المريض معها، ورفضها لهؤلاء وأقرانهم جعلها لا تمتلك سوى شقة عادية وسيارة متواضعة بلبنان، حتى أنها حين قدمها إلى مصر وإقامتها لأكثر من أسبوع لا تستطيع تحمل الإقامة في فندق من أصحاب الخمس نجومات ممّا يضطرّها للمبيت عند صديقتها الأقرب في مصر مروة، على العكس ممّن بدأن معها ذلك الطريق منذ عشرة أعوام مضت وفي نصف مستواها في الجمال والإمكانات الجسدية، بعضهن الآن يمتلكن طائرات خاصة، ومن هنّ في مرتبة أقلّ يسكنّ قصورًا، ويتنقلن ما بين كفيلهن في الخليج أو لبنان أو مصر وما بين أوروبا وأمريكا، ولولا ذلك المبدأ السخيف لكانت رايا تشارك الحكم في بيروت أو ضمن العائلة المالكة في إحدى دول البترول، أو من سيدات المجتمع في مصر.

داخل الديسكو ترتدي (بنطلون جينز أزرق وفيست كت، وتحتة بدي كت حمالات أبيض، وحذاء أزرق ذا كعب عالٍ جدًا، يمنحها طولاً أكثر ممّا لديها) تتحدّث مع شريكها المصرية مروة، التي حضرت لدنيانا منذ ثمانية وعشرين عامًا، وأقسمت أنها لن تتخطاهم لعشرة سنين قادمة على الأقلّ، بيضاء البشرة، سوداء الشعر، متوسطة الطول، ترتدي ملابس أقرب لمُحدّثتها، ولكن لا تجرؤ على منافستها في الإثارة.

تعرفًا على بعضهما البعض منذ ثلاث سنوات في آخر عرض أزياء لمروة كعارضة أزياء، لئنهي بذلك العرض مسيرة فشل قدّمت الغالي والنفيس لتحافظ على تلك المهنة، وبالرغم من كلّ ما قدّمته لم تستطع أن تستمرّ بها أكثر من سنتين، وذلك عكس كلّ ما سمعته في أحضان مصمّمي الأزياء ومنظّمي تلك الديفيليهات، وهي مطوقة بذراعيهم بعد لقاء التعرّي.

كلّ منهما أكملت الأخرى، تحضر رايا أشيك الفساتين السواريه، وأحدث وأسخن الملابس الداخلية بالأجل من لبنان، ومروة تدعو معارفها من سيدات وفتيات الطبقة الراقية إلى شقتها في مدينة نصر التي تركتها لها والدتها صاحبة الكوافير الشهير The Beauty Woman قبل أن تنتقل إلى منزلها الجديد بالتجمع الخامس بصحبة زوجها الرابع بعد والدها الذي توفي وهي في مرحلة المراهقة، ثمّ زيجتان عابرتان استطاعت من خلالهما تأمين حياتها بالكاد من خلال مشروعها في عالم التجميل، وبعد خمسة أو ستة أيام تكون الشريكتان حصلاً ما يقرب من سبعين ألف جنيه أو أكثر، يتبقّى لهم بعد ثمن المبيعات الأصلي ومصاريف الطيران وضيافة رواد البيت ما يقرب من عشرين ألفاً من الورقة المصرية، وبتكرار ذلك كلّ ثلاثة أسابيع أو كلّ شهر، يصبح الدخل مُيسراً للمعيشة، ولكن غير راضٍ لإمكانات رايا العظيمة، ولا لغرور وطمع مروة، بل كان الأمر لمجاراة الحياة ومتطلبات المعيشة فقط، إلى أن تحين الفرصة التي لن تتوانى إحداهن في قنصها.

## - Fucken Shied

ذلك هو ردّ القيصر على ذلك الصاروخ من طراز جراد، وأتبعه بتفريغ محتويات الكأس بداخل جوفه جملة واحدة ليبدأ مباراة جديدة، بدأ رفيقه متسائلاً بسؤال يعلم إجابته مسبقاً:

- ناوي على إيه؟

- دي لازم تنضمّ لـ Ceaser World Record

استفزّه ليشعل حماسه ليحرز هدفه سريعاً، وهي صديقة البطلة صاحبة الدور الثاني..

- هتقدر عليها؟

## - Fuck You

اتّجهتا ناحية (شيزلونج) أمامه منضدة وجلستا، فتبعهما الصياد وصاحبه، واستقرّا في مواجهتهما لا يفصل بينهما إلا بست للرقص. يبدأ الأوّل في لفت نظرها من خلال النظر إليها في ثقة، فما كان منها إلاّ التّكشير في وجهه، فعلم أنها بدأت تستجيب له، فانتقل للخطوة الثانية ليشير لها بكأسه، ولكن دون ردّ هذه المرّة.. فظنّ عديم الخبرة أنّه أخفق فضحك ضحكة سخرية:

- نفّضتلك يا معلم.

- اخرس يا تافه، روح.....

ثمّ مال على أذنه ليخبره بشيء يفعله، لكنه كان غريباً على المُتلقي الذي تفاجأ..

- إنت بتقول إيه؟

- نفّذ اللّي بقولك عليه، ملكش دعوة.

- إنت حرّ.

يتّجه رجب إلى الادي جي مان، ويهمس في أذنه ويأخذ منه شيئاً ليعود مرّة أخرى ويعطيه لصاحب الأمر، ليعاود النظر لها مرّة أخرى.

لم تكن مروة بخبرة ولا بصبر شريكها؛ لذلك بادرتها بالسؤال:

- شايغه المُرّ اللّي هناك ده؟

- آه.

- مرّكز معاك قوي.

- واخده بالي.

- طب إيه؟! الواد شكله ثقيل قوي، ده غير مزازته.

- اتقلي على الرزّ لّمّا يستوي، مش بتقولوا كده عندكوا؟

- طب إوعي الرزّ يشيط منك.

- عيب.

تنظر صاحبة الخبرة بعينها ناحية القيصر فلا تجده، فتبدأ بالبحث عنه بعينها.

تبدأ أغنية Ass Like That ويظهر القيصر من خلفها واضعاً يده داخل

عروسة من القماش كمثيلتها في كليب تلك الأغنية لـ Eminem

تنظر بجانبها وتجد العروسة أمام عينها فتبتسم رغم تفاجئها، يقف

القيصر أمامها ويبدأ في غناء الأغنية التي تفصح عن كلّ شعوره في جملة

I Never Seen Ass Like That

دون ابتسامة منها تنظر له مع رفع إحدى حاجبيها لتيقنها أن هذه الأغنية

ليست صدفة، وأن هذه الجملة هي شعوره الآن، وأنه وجب الردّ على تلك

الواقحة، فهمست هي الأخرى في أذن صديقتها، فتتجه صديقتها هي الأخرى

إلى الادي جي مان..

بعد أن انتهى القيصر من غناء الأغنية، وجلس في مكانه تبدأ أغنية

## The Pussycat Dolls "Hush Hush"

ثم تقف وترقص بمفردها وتغنيها أمامه وتؤكد على المقطع الذي يقول ا

Don't Want You

وعند تكرار المقطع يقف القيصر ويشدّها بعنف ويرقص معها، فتعجب

بقوّته وجرأته.

وفي نهاية الأغنية يحملها بين يديه ويتّجه بها إلى ركن ال - VIP الذي

خُصص حيث لا يراهم أحد، يضعها القيصر من يده وهي تبتسم ليمدّ كفوف

السّلام مُتحمّزاً لبداية مباراة لذيذة وممتعة أكثر من الكلاسيكو ذاته..

- القيصر

تتعجّب قليلاً من الاسم كحال كلّ من وقع على سمعه لأول مرة، حتى

أنها تأكّدت من عدم حدوث خطأ متسائلة:

- سيزار.

- سيزار yeah

- رايا.

- رايا، Beautiful Name، إنتِ لبنانية؟

- أيوه.

- لبنان، I Like It

- I Like Egypt Too

- So We Have Not Any Problems

تظهر أسنانهما الناصعة البياض بسبب ضحكاتهما، ثم تمسك الجميلة رأسها شاكية:

- إمامم، أنا صدّعت بسبب الدوشة العالية دي.

- أنا عندي العلاج.

علاجه كان يتلخّص في رفيق، رافقه لأوّل مرة من أرض الولايات إلى قاهرة المعز (المدواخ) وهو عبارة عن أنبوب خشبي مُفرغ يشبه الغليون، ولكن أصغر حجماً وفي مقدمته شبه كرة مُفرغة لوضع التبغ بها، لكن ذلك السلاح دون ذخيرة لا يُجدي نفعاً، فهمّ صاحب براءة ذلك الاختراع في مصر بإخراج الرفيق الثاني له في رحلته، وهي ورقة من السلوفان كانت قبل ذلك تحفظ السجائر داخل علبة من ماركة المارلبورو، فتح الورقة بحرص أب عطوف على رضيعه فظهر ذلك السحر الأخضر القادم من الأراضي المكسيكية صاحب القبول الواسع في الولايات المُتحدة وهي الماريجوانا التي أفرغ منها بشكل مباشر من السلوفانة إلى فوهة المدواخ مقدار سبعة جرامات حتى امتلأت، ثم أعاد الضيف الغالي إلى مرقدته مرة أخرى، قبل أن ينظر لرايا متسائلاً:

- عمرك دوختِ قبل كده؟

- إيه اللّي في إيدك ده، Chemical ؟

- No Chemical No Physical Its Natural

ده مدواخ، واللّي جوّاه ده اعتبريه زيّ تيكيت يقدر يودّينا أيّ مكان في العالم إحنا عايزينه، ولو مش عاجبك أيّ مكان ع الكوكب، ممكن يودّينا لما وراء الطبيعة. يمدّ يده بمدواخه السحري قائلاً بصوت يشبه فحيح الأفاعي:

- Lets Do It

فتلتقطه منه دون أيّ اعتراض أو استفسار، ولعلّ السبب في ذلك شخصيته النادرة، وهيبته الجليلة التي تتضح لك بمجرد وقوفك أمامه، ولا يخلو الأمر أيضًا من غريزة الإنسان التي تحمل حبّ الاستطلاع والفضول.

مدّ هو يده بقداّحته الخاصة ليشعل الحرب بينهما فبدأت هي بسحب أنفاس صغيرة حتى تتعرف على ذلك النبات الأخضر شيئًا فشيئًا، ولم تكن تلك طريقة شرب المدواخ فهو يُستخدم بشكل أسرع من ذلك فاضطر لاستعجالها بأغنية لزياد الرحباني قريبة لقلبه ومزاجه الشخصي، وكانت تليق بالزمان والمكان والظرف نظرًا لكونها لبنانية أيضًا فبدأ يغني لها:

- دورها دور دور واعطيني شحطة، قبل ما تيجي تيجي تيجينا الشرطة  
دورها دور دور، دورها دور دور، دورها دور دور ما بدي إصحي  
مع آخر نفس صغير لها أثارت الأغنية ضحكاتها، فبدأت بالسعال حتى  
كاد أن ينزلق المدواخ من يدها، فالتقطه القيصر كبطل بيسبول يلتقط كرتة  
فعدّل على أدائها قائلاً:

- الدوخة مبتقاش كده، اتعلمي.  
فسحب شهيقًا طويلًا لينهي على كلّ السبعة جرّامات دفعة واحدة،  
واللائي لم يتأثرن بمداعبة الجميلة لهنّ  
ينظر القيصر لأعلى مُنتشياً ليُخلد تلك اللحظة بجملة:

## - What Fuck

فكانت تلك المرّة الأولى التي يستقبل فيه القيصر ضيفته الماريجوانا داخل مصر، فهو مُعتاد عليها في الخارج، أمّا شريكته فكانت تلك المرّة الأولى التي يداعب شعابها الهوائية أيّ دُخان غير دخان السجائر، فكان أقصى ما لديها هو التعود على بعض كؤوس الخمر.

يتسرّب لأذنيهما كلمات أغنية Usher Yeah فيتجها معاً إلى البست ويرقصا عليها معاً، وبفضل تأثير المُكيف تقوم رايا أثناء الرقص بنزع تي شيرت القيصر ويقي بالفانلة الداخلية، ليلحقها هو الآخر بنزع الفيست الخاص بها الذي يظهر أكثر ممّا يستر وتبقى بالبدي الحمالات الأبيض حتى انتهت الأغنية بحضن عميق لا يصدر عن اثنين عمر العلاقة بينهما دقائق معدودة، إنما يصدر من نشوة المُخدّر الذي يتخطّى حاجز الزمان والمكان.

يخرج الصياد واضعاً يده على وسط فريسته، مستندة برأسها على كتفه وخلفهم صاحباً الأدوار الثانوية، وبسبب حالة الغثيان التي كانت تعاني منها نجمة الليلة لم يدع لهما القائد الاختيار فسرعان ما توجه بهم جميعاً إلى سيارة رجب بحجّة أنه لا يستطيع ترك الشقيقة اللبنانية بهذه الحالة، حتى أنهم تركوا سيارة مروة عند الديسكو

ليجدوا أنفسهم خلال ثوان رفقاء السيارة الواحدة.. القائد على عجلة القيادة، وبجواره الحالة الإنسانية التي يفعل كلّ ذلك من أجلها، وبالخلف راكبا الدرجة الثانية.

الصمت سيّد الموقف، والجميع في ثبات عميق، ومازالت رأس رايا لم تفارق كتف القيصر أثناء القيادة، ولم يكسر حدة الصمت غير سؤال من القائد لبنت بلده..

- متعرفناش؟

- مارو.

- مارو، اسم جميل، ده جاي من مروة، صح؟

Exactly



بدون أية مناسبة يتدخل مسلوب الإرادة في الحديث:  
- وأنا أحمد.

لذلك وجب إحراجه من صاحبه:

- ما تقولها على الاسم اللّي بندهلك بيه على طول واللّا مكسوف؟  
اسمه رجب.

تتساءل مروة:

- رجب واللّا أحمد؟

يوضّح لها صاحب الخلاف:

- لأ أحمد رجب، بسّ صحابي بيندهولي رجب على طول.

تتساءل رايا بصوت يشبه العائد من تأثير بنج كلي:

- إحنا رايحين فين؟

بهدهوء أجابها القيصر:

- عندي.

- عندك فين؟

- في شقتي في المهندسين.

- ليه؟

- مينفعش أسيبك وانت في الحالة دي.

تغمض عينيها مرّة أخرى لتفارقهم وتعود لعالم الخيالات التي فرّت منه  
لثوانٍ فقط.

\*\*\*

باب شقة بلون بني كان كل ما يفصل بين العالم الخارجي وأحد عوالم القيصر، تلك الشقة التي ترك تصميمها وديكوراتها لأكبر مكتب ديكورات ليصممها على أحدث صيحة، عدا مكان واحد فيها صمم بألوانه وديكوراته وأثائه بإشراف كامل لمالكه.

تساءلت رايا عن المكان كأنها لم تكن معهم منذ أن خرجوا من الديسكو:

- إحنافين؟

أجاب صاحب الأرض على مضيفته:

- في شقتي.

ثم أمر ثلاثتهم ورابعهم

- ادخلوا انتوا على الصومعة وانا جايلكوا.

وبعد أن انصرفوا للدخل وأغلق الباب لينعزلوا تمامًا عمّا خارجه..

- أنا تعبانة قوي، ومش قادرة أقف على رجلي.

- متخافيش أنا هفوّك، تعالي معايا.

صدى الصوت داخل الحمام زاد من رهبة رايا بعدما بدأت تبهت أمامها الألوان وتتداخل الأصوات، ويصبح ثقل لسانها كفيل أفريقي ممّن يوزنوا بالأطنان.

بدأ الطبيب المختص في مثل هذه الأمور تحديدًا ببدء الكشف على الحالة الطارئة التي صادفته عشرات المرّات من الشباب والشابات، ولكن لم تهزّ له شعرة من قبل مع أيّ شاب وصل لأيّ مرحلة من مراحل الجرعة الزائدة حتى ولو كان على شفا الموت.

- ما لك؟! حاسه بيايه؟
- مش قادرة أفق على رجلياً، وبطني وجعاني، ودماغي عمّاله تلفّ.
- إنت أول مرة تدوخي؟
- تومى رأسها بنعم.
- طيب ليه شدّيت كلّ الدوخات دي لِمَا هي أول مرّة؟
- لم تجد الردّ لهذا السؤال لأنها هي ذاتها لا تعلم ما الذي جعلها تطيعه في كلّ هذه الأمور حتى وصلاً معاً داخل حمام قرب الفجر.. فجأة تظهر علامات التعجّب على وجه القيصر متسائلاً:
- إيه اللي في بوثك ده؟
- إيه اللي بوئي؟
- افتحي كده لما أشوف إيه ده.
- إيه في إيه؟!!
- تفتح فمها، فيضع القيصر إصبعه فتتقيأ داخل الحوض، ويمسك رأسها ملماً شعرها بيده، وبعد أن انتهت من التقيؤ، يغسل لها وجهها ويجفّفه بحنيّة فردوس محمد أو أمينة رزق في أفلام الأبيض والأسود، ثمّ ينظر لها ليرى نتيجة العملية التي أجراها..
- دلوقتٍ أحسن؟
- لا تستطيع غير أن تومى رأسها بنعم.
- قمر حتى وانتِ مأفورة.
- فتبتسم ابتسامة مليئة بتعب الليلة الماضية.

بالرغم من زيارة القيصر لأجمل أماكن العالم كجزر الباهما أو الكناري أو لاس فيجاس التي لا تعرف النوم إلا أنه تظل تلك الصومعة هي المكان المفضّل له، الإجابة التي حيرت الجميع أنه كيف لمكانٍ بسيط كهذا وفي شقة وليست فيلا أو قصرًا، وفي المهندسين وليس القطامية أو الرحاب تكون عند صاحبها أفضل ممّا شاهده في باقي العالم؛

الإجابة ببساطة أن الصومعة هي نتاج لخيالات القيصر ظلّت تراوده منذ الصغر، بعضها من أفلام أبيض وأسود والبعض الآخر من حكايات سمعها من مجالس لمن تخطوا سنّ المعاش، وأكمل الباقي من خياله الخاص، وحينما حانت له الفرصة وانفصل عن جدّه بعدما اشترى له تلك الشقة قرّر أن يحول هذه الخيالات إلى حقيقة، فكانت الصومعة التي صمّمها على الطراز القديم طراز الخمسينيات والستينيات.. (فكانت عبارة عن جلسة أرضي على شكل مربع ناقص ضلع، مكونة من شلت ومساند، وفي الوسط أكثر من جوزة غاب "فالجوزة الغاب هي المفضلة له، وليست الشيشة" هذه الجوزة داخل دائرة تدور 360 درجة.

حتى حوائطها لونها يختلف عن باقي ألوان الشقة حيث جعلها، ومن أول يوم، تبدو كأن دهانها يعود لمنتصف القرن الماضي، كأنّ من قام بطلائها افتقدناه منذ عقود، وكان اللون أقرب للبني الباهت، وكانت مساحتها 11 مترًا مربعًا، مقتطعة من الصالة، تحوطها الحوائط من ثلاثة اتجاهات، والاتّجاه الرابع الذي يطلّ على الصالة يفصل بينها وبين الصومعة أحبال من الزجاج المقوّى المحلاة والملونة تتدلّى من السقف إلى الأرض تحجب الرؤية تمامًا عن باقي الشقة كشيبتها في الأفلام القديمة، لتعزلك تمامًا عن باقي كوكب الأرض، بل باقي المجرّة بأكملها) وصل هرمون التستستيرون لأعلى مستوى له حين كانت المسافة بين شفتي رجب ومارو بضعة سنتيمترات لحظة دخول القيصر ساندًا رايًا مقاطعًا تلك اللحظة بقوله:

- هوّده الفرق اللّبي بيني وبينك.

يفزع الاثنان ويتعدا عن بعضهما، بادرت مارو للتشويش على ما حدث  
بالاطمئنان على زميلتها:

- إنتِ كويّسة دلوقتِ واللّ لسّه تعبانة؟

ليأتي الردّ الحادّ من الأكثر حدّة:

- هي بقت كويّسة، بس إنتِ اللّبي شكلك تعبانة.

ثمّ يجلس وبجانبه الحالة التي خرجت فوراً من العمليات تسند رأسها على  
كتفه، يأمر رجب بما يجيد فعله وهو (التخديم على القاعدة)..

قوم هات كام إزازه من التلاجة.

ليأتي بسرعة البرق بثمانية زجاجات من البيرة، يفتح واحدة ويعطيها  
لصاحب الأمر، والأخرى يعطيها للأثنى التي تبقت له وتبقى لها، أما الزجاجه  
الثالثه فكانت من نصيبه، والرابعه لم تكن من نصيب رايا بعدما أومتت رأسها  
بلا حين مد القيصر يده بها

## الفصل الرابع

كان شتاء العام 1968 هو الأكثر برودة في النصف الثاني من القرن الماضي، وذات ليلة يدخل مولانا منزله الذي يعيش فيه إلى الحين، ولكن كان على غير هذا الحال، فقد كان لا يتعدى الطابق الواحد ومبني من الطين ومتهاك من الداخل والخارج، الحشرات تسعى للحفاظ على بقائها بالبحث هنا وهناك عن أي طعام أو ما تبقى منه، والسؤال كيف وأصحاب المنزل أنفسهم لا يوجد لهم ما يضمن لهم البقاء لغد!!

الحمام الذي يتوارى من بداخله بملاءة معلقة بدلاً من الباب يخرج منه الشيخ عبد الحسيب وتتساقط قطرات الماء من بين شعر يديه الكثيف بعد أن توضع وهم بالتوجه لرفع أذان الفجر في المسجد الذي لم يفوت في جماعته فرضاً واحداً من الفروض الخمس منذ أن وطأت قدمه إلى تلك القرية للعيش بها، ومع الوقت وبسبب انتظامه الدائم غير المنقطع أبداً حتى في أقسى درجات الحرارة ارتفاعاً وانخفاضاً أصبح مقيم شعائر لمسجد القرية، ولم يفكر يوماً في التقدم لإمامة المصلين حيث كان يعتبر إقامة الشعائر هي خير وسيلة للتقرب إلى الله، وليس من يدخلوا المسجد عند إقامة الصلاة ويتنافسوا على إمامة المصلين، والأمر الذي يضيق له صدره أكثر من أي شيء هو تهافتهم على ذلك في الصلوات السرية، أما في أخواتها الجهرية يتوارى معظمهم عن الأنظار.



والسبب الآخر في رفضه لعدم تقدّمه لهذا الأمر هو اقتناعه وإيمانه بأنّها فعلاً مسئولية، لا توكل لكل من رغب فيها، واقتناعه أنه ليس أكثر من شخص يعبد الله قدر المستطاع، ولا يملك من التمكن في القراءة والعلم والفقه ما يمكنه من ذلك.

يدخل مولانا من باب المنزل يترنح من فرط السكر سواء كان بسبب الحشيش أو أردأ وأرخص أنواع الخمور، أو ما يجده أمامه في جلساته؛ لأنّه لم يكن يوماً من المشتركين بجزءٍ من النقود بسبب فقره المدقع، ولكنه كان دوماً من المشاركين بالمجهود سواء مجهود البحث عن الكيف هنا أو هناك، أو مجهود الرصّ واللفّ، وفي الحقيقة هذا كان مصدر دخله المحدود للغاية حيث كان يختلس من المبلغ الذي يتمّ جمعه من أبناء الجلسة، بالإضافة إلى ما يقطععه لنفسه من الحشيش، ومع الوقت يصبح معه قدر قرش أو اثنين يقوم ببيعه لأصحاب المزاج من أصدقاء الجلسة، مولانا ووالده كانا أكبر دليل على المثل الشعبي (يخلق من ضره العالم فاسد)، فكان عدد البشر الذي تقدّم بالشكوى لوالده من سوء أدبه وتصرفاته معهم أكثر ممّا يعدّ أو يُحصى، وكان ذلك السبب الرئيسي لرحيل الشيخ عبد الحسيب من قريته التي ولد فيها إلى سكنه الجديد، أمّا عنه هو فلم يختلف اثنان على تقواه وطيبته وقربه الشديد من الله، حتى وصل الأمر لمن يعرفوه بأنه في بعض الأحيان يصفوه بصاحب بركات أو أمارات، تشبيهات كتلك كانت كفيلاً بأن تثير غضبه وعصبيّته التي لم تظهر من قبل، فهو لا يحبّ التفاخر بالإيمان ولا بالكلام عن الخرافات التي تسمّى أمارات أو بركات.

يراه الوالد ويحاول تهدئة الأمور المتوترة دائماً بينهم..

- توك لسه راجع يا أبو هاشم.

- لا.. أني لسه مرجعتش.

فيسأله سؤالاً لم يملّ منه أبداً، كذلك الإصرار على نفس الردّ من قبل الابن:  
- مش ناوي تفرّحني مرّة واحدة في حياتك، وتيجي تصلّي الفجر معايا.  
- خدنا على جناحك يا مولانا، همّا يعني اللّي صلّوا خدوا إيه!  
ثمّ ينصرف من أمامه إلى غرفته.

\*\*\*

ارتخت الأعصاب داخل الصومعة، وخارت القوى من فرط الشراب، فأصبحوا كملاكم وصل للجولة الثانية عشرة أمام مايك تايسون، فجلس القيصر ممدّداً رجليه، ورايا نائمة بجواره تاركةً رأسها على فخذه، وأمامه رفيقه ورفيقتها ممدّدي الأرجل، وجميعهم في حالة سكون.

قطع ذلك السكون سؤالاً من رايا لم يكن في موضعه ولا وقته، ولكنّ يمكنك توقع أيّ شيء من شخص تحت تأثير المخدر.

- هو احنا ممكن ندخل الجنة؟

أثار السؤال ضحكاً من سمعه عداه، بل كان ردّه مثيراً للدهشة أكثر من السؤال ذاته..

- ليه لأ!! ساعات بحسّ إنّ الدنيا دي عبارة عن تمثيلية، وإنّ يوم القيامة هيتقالنا إنّ ده كان هزار، وكلكوا هتدخلوا الجنة، المذنب وغير المذنب، الحرامي والشريف، الزاني والعفيف.

لم يستوعب رجب الإجابة، فاستوضح أكثر:

- إزاي الكلام ده، إزاي كله يبقى زيّ بعضه، والوحش يبقى زيّ الحلو!  
فطرح القيصر سؤالاً أكثر تعقيداً:

- وهو ليه ربّنا يخلقنا من غير ما نكون عايزين نتخلق!



لم يختلف ردّ الفعل عند مارو كمن يجاورها..

- يعني إيه؟

ليأتي الشرح المفصل من مفتي الصومعة بعد أن رجع بظهره للخلف، ومدّ يديه بمحاذاة كتفه ليريحها على مساند الظهر، ثمّ نظر للسقف وأفاض..

- يعني ليه ربّنا يخلقنا من غير رغبتنا، وإزّاي ربنا يخلقنا من غير رغبتنا،

وبعد كده يكون مقرّر لينا من قبل ما نتولد إننا ندخل النار مثلاً، بما إني مخترتش

إني آجي الدنيا إذاً محدش يحاسبني على أفعالي فيها بعد ما يجبني غضب

عني، وبما إني مش ضامن في الآخرة هدخل الجنة واللّا النار، فيبقى عصفور

في اليد، أعيش متع الدنيا كلها من أكل وشرب ولبس وجنس وفسح وعريبات

وفلل وقصور وخمرة وسلطة وكلّ المتع اللّي في الدنيا، وبرضه في النهاية

هطالب بحقي إني أدخل الجنة مدام ما اخترتش إني آجي الدنيا من الأساس.

وبعد سبع أو ثمان ساعات لم يستطع حسابهم، يستيقظ القيصر بعد أن

تعرّى من أعلى كعادته قبل النوم، وعلى بعد عدّة أمتار ينام رجب كأهل الكهف.

بالكاد يستطيع القيصر رفع رأسه المتناقل بفعل أحداث ومُغيبات عقل الليلة

الماضية، تقع عيناه على صدره فيجد آثاراً لأحمر شفاه لم يحسن قراءتها، فاتّجه

إلى الحّمّام ووقف أمام المرأة ليقوم بفكّ رموز حجر رشيد، فكانت الترجمة ترمز

إلى رقم الهاتف المحمول الخاص برايا مكتوباً بشكل رأسي من أعلى إلى أسفل،

وبجواره قبلة ناحية اليسار أعلى القلب.

يشير إلى الرقم بأصبعه ويقروؤه نزولاً إلى أسفل فيجد عشرة أرقام، أمّا الرقم

الحادي عشر فكان متوارياً عن الأنظار أسفل صرّة البطن بمقدار شبر، فيتسم

إعجاباً منه بتلك المداعبة التي تعود براءة اختراعها لمن ستزيد من أرقامه القياسية.

\*\*\*

داخل غرفة الخلوة تتناثر الأوراق هنا وهناك حيث يطلع مولانا، على بعض الأوراق المهمة كحسابات البنوك أو حصصه في بعض الشركات وغيرها..

لم يكن كل ذلك النفوذ وتلك الثروة من فراغ، فعلى الرغم من كونه لم يحصل على شهادة غير أنه يقرأ ويكتب، أو حتى امتلك حرفة أو صنعة، لكنه كان من أذكي الأشخاص التي يمكن أن تقابلها خلال حياتك، شخص استطاع أن يستفيد من أى حدث مر به جيداً كان أو سيئاً!

ومن أكبر الدلائل على ذلك أنه استطاع أن يقنع أتباعه ومريديه وكل من حوله بأن يوم 20 يونيه الذى ولد فيه والده الشيخ عبد الحسيب يوافق فى الشهور العربية يوم ميلاد النبى، وهذه كانت أولى أمارات الشيخ عبد الحسيب التى جعلت له مريدين، بل وصل الأمر أنه شبه يُتم (القيصر) ابن ولده الوحيد الذى توفى وترك ابنه ذا الثلاثة أعوام ثم لحقته زوجته بعدها بثلاث سنوات، وبدأ بعدها تولى مسئولية الحفيد كاملة!

حقاً إنه مولانا!

ينتهى مولانا من التفكير والبحث فى الأوراق فيضعها داخل حقيبة مؤمنة بأرقام سرية، أحضرها له حفيده خصيصاً من الولايات المتحدة، ثم يضعها بداخل خزانة خلف برواز كبير مُعلق على الحائط، ويخرج من الغرفة، ويتأكد من صوت إحكام كالون الغرفة ثلاث تكات متتالية، ويتبعها إغلاق القفل الغير قابل للكسر أو السرقة!

وبمجرد أن يلتفت يقابله عباس بلهفة:

- فى باشا كبير أوى ولا رئيس جمهوريه مستنى سعادتك من بدرى..  
دخلناه أوضة الصالون واتحايلنا عليه يشرب حاجه مرضيش أبداً.

يفكر مولانا لثوان فى من يكون ذلك من الكبار الكثر الذى يعرفهم، لياتى الرد فى هدوء:

- طيب روح انت!

بالفعل كان بالداخل أحد أكبر رجال الأعمال المصريين، وهو جلال الوكيل الذى اجتاز الاثنتين والستين منذ شهرين..

جلال الوكيل هو اسم على مسمى، فهو الوكيل الوحيد لقطع الغيار الصينى، والتي جنت له دولارات بعدد سكان الصين وتضاعفت تلك الأوراق الخضراء بعد انضمامه للحزب الوطنى، وتولى وزارة النقل والمواصلات لمدة عامين وكّل خلالهما لشركاته وشركات عائلة الوكيل مشاريع بالأمر المباشر، أنعشت حساباته وحساباتهم فى الباهاما وسنغافورة وتايلاند بآلاف الملايين..

يدخل مولانا مرحبًا بتحية لائقة بضيفه الغالى..

- ايه النور ده كله، البلد كلها نورت.

يقف جلال بتريث بعض الشىء ليرد المجاملة:

- منورة بفضيلتك يا مولانا.

بعد سلام رؤساء بالأيدى فقط دون أحضان أو قبلات أو مبالغة زائفة،

يشير مولانا ناحية الكرسي:

- اتفضل!

بعد الجلوس وطلب فنجانين من القهوة، من بن برازيلي رقم واحد فى العالم يُهدى لمولانا من صاحب أكبر محل مصوغات فى المركز التابع له، ويقدم فقط للضيوف أمثال جلال الوكيل من طبقة رجال الأعمال أو من طبقة الحكومة كوزير، أو من أشقائنا العرب كسفير مثلاً!

- عاش من شافك يا جلال بيه .
- أنا فعلا بقالى فتره كبيره بره مصر .
- يبقى أكيد بترتب لمشروع كبير هتبدأه .
- سبحان الله يا مولانا، طول عمرك صاحب كرامات وبتفهمها وهى طاييره، علشان كده أنا مش هطول عليك .
- وانا بحب اللي يدخل فى الموضوع على طول .
- ثوان من الصمت لشد فتيل قبلة الزياره ..
- أكبر مدينه سياحيه فى الشرق الاوسط كله ..
- داخل معايا فيها اكبر رجل أعمال فى الإمارات، وملياردير أمريكانى ..
- مدينه بحالها، مش قريه حتى ؟
- لأ، مدينه مره واحده .
- ودى هتجيبولها مُلاك تملأها منين دى ؟
- البلد مفيهاش أكثر من الأعبيا يا مولانا، إنت ما بتشوفش إعلانات التلفزيون فى رمضان ولا إيه، كلها إحجز فيلتك إحجز شاليهك ؟
- عندك حق، البلد كلها بقيت يا إما إحجز فيلتك يا اما إتبرع للمرضى، مفيش فى النص ههههههه .
- المشروع ده هحط فيه أكثر من ثلاث تربع الفلوس اللي عملتها فى حياتى، وهدخل فيه شريك بنسبه 40 % أنا وولادى الاتنين، هو ده المشروع اللي هيخلينى أسيبهم وأنا مطمئن عليهم، قولت ايه ؟
- المطلوب ؟
- 15000 فدان .

عشرون ثانية كانت كافية لمولانا لإتمام عملية حسائية يعجز 99٪ من حملة  
بكالوريوس التجارة شعبة محاسبة لإنجازها دون وسيلة مساعدة.

- إنت عايز 45 كيلو متر مره واحده؟!

- اه، وأنا تحت أمرك.

تطلب الأمر لاتكاء الظهر ونفس عميق للرد على شبك ليك الذى  
أطلقها عفريت المصباح.

- بس الموضوع ده محتاج تفكير.

- فكر براحتك، بس أهم حاجة كل شىء يمشى رسمى وقانونى، وانا

مستعد لأى تكاليف.

جاء الرد سريعا كومضة برق فى ظلام ليلة شتاء، جعلت أمر العفريت  
يتقدم فى الكرسى للأمام ليطلب أمنية العمر:

- إنت عندك كام ولد؟

- اتنين.

- اعتبرهم تلاته وخذ (القيصر) معاك.

جحوظ سريع فى عين جلال من أثر المفاجأة، ثم يعود لحالته الطبيعية..

- مش كتير يا مولانا؟

- هو ده المشروع اللى يحلم له بيه طول عمرى، هو ده المشروع اللى

هيعيشه ملك طول حياته هو وأولاده وسلساله لحد يوم الدين.

- ما اللى عنده يا مولانا يعيشه ملك طول عمره، اللى عنده برضه ما

يخلصش.

- وما له، البحر يحب الزيادة.

ذلك المثل هو الأحب والأقرب لقلب مولانا في سلسلة الأمثال الشعبية التي تعد بالمئات.

ليأتى الرد طبقاً للمثل الآخر المحبب لجلال الوكيل وهو (إن سرقت اسرق جمل).

- يبقى مش هدفع فى المتر أكثر من 10 جنيه، والباقي على حضرتك..

حضرتك بقى، تدفع فيه 10 جنيه تدفع فيه 1000 جنيه، مليس دعوه.

- يبقى (القيصر) هيبقى شريك معاكو مدى الحياة بنسبة 10%، ولو المشروع اتباع أو اتصنفي لو بعد 100 سنة، هيقاله نفس النسبه من تمن بيع المشروع أو تصفية أصوله الثابته أو المتداوله.

- متفقين.

- متفقين.

لم يكن مولانا من خريجي الكليات أو المعاهد، لكى يتعلم أو يستوعب بعض المفاهيم المحاسبية، أو يجيد العمليات الحسابية، إنما تعلم ذلك على يد من أجادوها وكانوا من مرتاديها، ممن تعامل معهم فى الحياه على مدار ما يقرب من نصف قرن من الزمان، وأعانه على ذلك ذكاءه الفطرى فى تعلم الحياه وقراءة الأشخاص والقدرة على تحقيق ما يتمنى بألف طريقة.

كانت تلك جميعا سمات مشتركة ورثتها الجينات إلى (القيصر) حفيده الوحيد، وطبقاً لنظرية تطور الأجيال فقد تطورت تلك المميزات لديه، فقد كانت هيبته وقدرته على الإقناع وجاذبيته وفلسفته تفوق جميعها نظيرتها عند مولانا فى ذلك السن.

\*\*\*

فوطه بيضاء من القطن فقط ما تستر (القيصر) من تحت الصرة إلى أسفل  
الركبة عند خروجه بعد الاستحمام، حين أمسك بهاتفه المحمول واتصل برايا.

- تحياتى لمن ملكت حياتى .

- تحياتى لأحمد راجل شفته فى حياتى .

- عارف .

- ياه، دى ثقه ولا غرور؟

- تو، دى حقيقه، المهم هشوفيك النهارده ومتقوليش مش هينفع أشوفك

أو مش هينفع أجيلك البيت تانى والكلام الفاشل اللى الستات بتقوله ده، إحنا  
اكبر من كده.

- مش بقولك إنت أحمد واحد شفته فى حياتى .

- وانا مش قتللك إن دى حقيقه، المهم، هاتى مارو وتعالى .

بطريقه تبدو كمزحه، لكنها تعبر عن رغبتها الحقيقية:

- لازم مارو؟

- للأسف آه، علشان رجب هينطلنا فى السهره .

تحاول سريعاً إدراك لحظه الإحراج تلك بضحكه جذابه:

- على فكره أنا بهزر .

ليأتى الرد مع ابتسامه ساخرة:

- منا عارف، مستنيكى .

ثم تنزل قبلة الوداع على التتر مع جمله:

- باى!

## الفصل الخامس

سيارة جيب حمراء موديل 2000 تمشى فى طريق ترابى ضيق، وعلى جانبه مساحات شاسعة من الأراضى الزراعية

يجلس داخل السيارة فؤاد ابن خالة مولانا الأكبر، والذي يبلغ من العمر الخامسة والستين، حيث إن جد مولانا للأم كان له ابنتان تزوجت الكبرى من الشيخ عبد الحسيب، أما الصغرى تزوجت من شخص فقير أيضا، لكن كان لديه بعض الأساليب الملتوية التي يكتسب منها فى الحياة، حتى إنه حقق من ورائها أموالا جيدة، وتملك بعض الأراضى والمواشى..

فى ذلك الحين كان مولانا يعانى من الفقر الشديد مع والده، وكان يحقد على أولاد خالته الثلاثة فؤاد وصبحتى الذى يصغره بخمس سنوات وأكثر من كانت تعايه بفقره وحرمانه، كانت هانم أختهم الوحيدة والتي تصغر فؤاد بعشر سنوات، وما زاد احتقارهم له إلا حقدًا عليهم ورغبة فى الغنى بأية طريقة، ومخالفة أوامر والده الذى طالما نظر إليه كأنما يرى أسباب فقره وحرمانه، متجسدا فيه بسبب عدم حبه للمال أو السعى للحصول عليه بأى مسلك كان، كما يفعل زوج خالته.



بجوار السائق ينظر فؤاد إلى أراضي مولانا على جانبي الطريق، والتي تعد بالأفدنة والتي تحتاج إلى ما يزيد عن ربع الساعة بالسيارة لعبورها، هذا بخلاف ما يمتلكه أيضًا من أراضٍ أخرى لا يعرف سكان قريته أنها تعود له، فلم يكن يحتاج كبيرهم إلى إمضاء عقود وتسجيلها لإثبات ملكيته لجميع الأراضى، فيكفى دفع القيمة للبائع مع مراعاته لها والاهتمام بها، وتوصيل خيرها لمولانا بعد انتهاء الموسم، دون الحاجة إلى إجراءات قانونية حتى لا يلفت نظر أهل القرية الذى طالما تفادى كلامهم عليه لن ينجو من حقدهم عليه.

يتحدث فؤاد فى قرارة نفسه:

- ياه على الزمن، الزمن اللى يخلى ابو هاشم ابن عبد الحسيب اللى مكنش لاقى ياكل هو وابوه وكانوا بيقضوا نص عشايم نوم، يخليه بقى عنده كل الأراضى والفلوس دى، ومش كده وبس، لأ يبقى واصل كمان عند كبارات البلد كلهم، والكل بيتمنى رضاه، ولا نظره واحده منه، ويخلينى أنا اللى كنت مبرضاش اسلم عليه زمان وبقرف من ريحته، يخيلنى أنا اللى بتمحك فيه اليومين دول، وبتتهز أى فرصه علشان أزوره، ملعون أبوك يا زمن.

فى منزل مولانا يتبدل الحال للتقيض، حيث يدخل فؤاد على مولانا فى غرفة الصالون وعلى وجهه ابتسامة عريضة مصطنعة:

- السلام عليكم ورحمه الله وبركاته، ازاي صحتك يا مولانا.

يرد مولانا بابتسامة باردة غير مصطنعة، تعبر عما بداخله تجاهه والذى لم يتبدل يومًا.

- الحمد لله، وانتو، إقعد.

يجلس بجوار مولاه ليشعر بالقرب منه ولو فى الجلسة فقط.

- إحنا كلنا بخير طول ما انت بخير، وعائشين بيركتك.

- عارف، وأكيد جاي النهار ده تطلب منى طلب ولا تعزمنى على حاجه تخصصكو.

لم يهدر مولانا فرصه ليعبث بكرامة فؤاد وإخوته، ويهينهم بتوريات لا تقدر على الرد عليها لأنها فى ظاهرها لا تبدو إهانة..

- بسم الله ما شاء الله يا مولانا، طول عمرك بتعرف الواحد عايز يقول ايه من قبل ما يقول.

- تقدر تقول انى حافظك زى كف إيدى، وعارف إنك مبتجيلش هنا غير لما تكون عايزنى فى مصلحة ليك، بس أنا موافق.

يبدل فؤاد الكثير من المجهود ليكظم غيظه من سيل الإهانات الساقط من قمة تعلقو قمة إفروست.

- ما احنا مش عائشين غير بخيرك، وتحت جناحك، وفى النهايه احنا قرايب.

- هو ده اللي أنا عايزك تتنك حاطه قدام عينيك ومتنساهوش أبداً..

إنكو عائشين فى خيرى وتحت جناحى، وسبيك من حكايه قريبي دى.

- عموما يا مولانا أنا مش عايز أعطلك، أنا كنت جاي استئذنىك نكتب كتاب هاشم ابن هانم الصغير فى الجامع عندك وتشرفنا بحضورك.

- هههههههه هاشم، طول عمرك ناصح انت واخواتك، وبصراحه ضحكتنى، علشان كده أنا موافق، وهحضر كتب الكتاب كمان، وهدعيه.

ثم يميل تجاهه ليخرج نقطه من بحر ماضى يبغضه:  
- وهدعيلك انت كمان.

\*\*\*

يد رايا ذات التاتو الساحر تفرع جرس شقة القيصر، لكن دون جدوى، بعد أن ظنت أن الجرس معطل قررت طرق الباب بقوه فانفتح، تنظر بالداخل لترى أى أحد أو يتسلل لأذنها أى صوت ولم يحدث، فقررت الرحيل ثم أفنعتها مارو بالعدول عن ذلك القرار حتى تستنفدا آخر محاوله..

تخطت باب الشقة وخلفها مارو، حيث تمشيان بترقب وبطء بسبب أن الشقة شبه مظلمة..

وبعد عدة خطوات مع صوت موسيقى تصويرية، من ألحان عقلهما الباطن تشبه أفلام الرعب تصلان إلى الصالة فيظهر فجأة، من قلب الظلام مهرج صغير على عجلة ذات ثلاثة إطارات يتجه نحوهما..

كان صريخهما يكفى لإيقاظ أموات المهندسين جميعا قبل أحيائهم، وحتى لا يحدث ذلك أضاء رجب الأنوار بسرعة وظهر (القيصر) ليسكتهم، وقبل أن تصلا إلى باب الشقة هرولة، يغلقه (القيصر) ويمسك برايته لتدفعه قدر ما استطاعت..

- أنا همشى ومش هاجى هنا تانى أبداً.

- طيب إستنى بس هقولك.

- تعيد المحاوله مرة أخرى..

- هقولك بس.

تزداد الرعدة فى أطرافها مع برودة كسقيع يناير، فيحيط وجهها بكفيه  
ويقربها إلى صدره:

- إهدى بس، أنا كنت بهزر معاكى.
- حرام عليك أنا مش قادره أتلم على أعصابى.
- طيب تعالى وانا هنسيكى الخضه دى.
- الصومعة هى المكان القادر على أن ينسيها أى شىء، يجلسون على  
أرضها كثنائين فيبدأ (القيصر) المداعبة:
- هاتلى يا رجب طاسة الخضه من جوه علشان رايتى.
- بيدها الناعمة ذات الأظافر الطويلة الملونة ترد عليه بضربة على يده:
- يا رخم، أنا مخصماك ومش هكلمك تانى.
- انا أقدر يا بيبى!
- تثبت مارو حضورها فى تلك الجلسة بقولها:
- شفت يا جوجو اللى حصلى؟
- مالك يا حبيب قلبى؟
- لتعود الكلمة مرة أخرى لصاحبة الليلة:
- شايف صوابعى تلجت إزاي؟
- ورينى كده.
- يتحسس (القيصر) أناملها بيده ليستشعر برودتها فعلا:
- اه فعلا دول متلجين، بس متقلقيش، أنا دلوقتى هسخرلك صوابعك،  
وكف إيدك، وكوعك، وكتفك...

يقاطعه صديقه هادم اللذات:

- قيصر.

تصدر زجرة من داخله فى شكل: ممممم!

ليأتى سؤاله للقيصر:

- أرس حجاره على أدنا بس؟

- لأ! عمل حسابنا كلنا.

تؤكد مارو تلك المرة على أن لها رأيا مخالفا وليست مسلوقة الإرادة،

كمحاولة للفت أنظار البطل وليس صاحب الدور الثانى:

- لأ أنا مش هشرب!

ليأتى الرد من الشخص الغير مقصود صاحب الدور الثانى:

- مش عايزه تشربى ليه، ده لا هو مضر بالصحة ولا هو حرام.

تدخل مارو فى جدال وإن كان عقيماً:

- لا مضر بالصحة ولا حرام، ده على اساس ايه بقى؟

- مش عارف، (القيصر) هو اللى مفهمنى كده من زمان!

ولم تأت الفتوى من المشرع إلا بعدما سألت الحسنة:

- إزاي بقى مش مضر بالصحة؟

- هو مش الحشيش ده أساسه نبات بيتزرع فى الأرض؟

- اه.

- طيب، فى حاجه بتزرع وبتطلع بإرادة اللى خلقها علشان تضر الإنسان؟

- لأ.

- اديكى اقتعتى، هو بس الدخان اللى بيتعب الصدر شويه، ومفيش حلاوه من غير نار.

جاء سؤال وجيه من مارو ليثبت وجودها حقيقةً لا مجازاً:

- أمال ليه الدوله بتمنعه؟

- علشان مبتستفدش من وراه، وحياتك الحكومه لو كانت بتستفيد من وراه زى بيع الخمره لكانت صرحت بيه، ما سألتيش نفسك هى ليه الحكومه بتصرح ببيع الخمره والحشيش لأ.

- ليه؟

- علشان الخمره بتتباع تحت عين الحكومه وبتتصنع فى مصانع بتدفع كهربا للحكومه وبتدفع ضرايب للحكومه، انما الحشيش بيتزرع وبتتصنع وبتتباع من غير ما الحكومه تستفيد بحاجه، وهى دى المشكله ما بين الحكومه وتجار المخدرات، مش لأنه بيأذى الناس والكلام ده لأن الخمره بتأذى وتضر أكثر منه.

قبل أن تقنع مارو فعلا بوجهة نظر المفوه بادرت رجب بسؤال لم يكن هو المقصود بالإجابة عليه:

- طيب أنا هعديلك دى، بس إزاي بقى مش حرام؟

- والله دى فتوى مولانا هو مسئول عنها.

- مولانا مين؟

- مولانا الشيخ قيصر، انتى متعرفيش ولا ايه؟

- معرفش ايه؟

- متعرفيش ان (القيصر) ده هو مفتى الشله بتاعتنا؟

تتعجب رايا:

- لا والله!

- أمال، ده كان حافظ قرآن وأحاديث وفقه، وواحد الإبتدائيه من الأزهر!

- كل ده!

بغير تواضع زائف يجيبها (القيصر):

- وأكثر من كده، بس ده كان زمان!

- ده انت صاحب بركات بقى!

- ومسيرك هتجربى البركه بتاعتى!

\*\*\*

إذا كنت من قدامى سكان قرية سيدى عبد الحسيب، فعلى الرغم من فقرها وبعدها عن العاصمة، فأنت بالتأكيد سعدت برؤية معظم مشاهير مصر من ممثلين ومطربين وصحفيين وإعلاميين، بل تخطى الأمر إلى بعض الراقصات المعتزلات، ولن تنسى الليلة الكبيرة لمولد سيدنا الشيخ عبد الحسيب التى أحيوها لسنوات محمد رشدى، بجلبابه الأبيض الناصع، ومحمد ثروت بقميصه وبنطاله من نفس لون سابقتهم، ومحمد الكحلاوى وكوراله من الأولاد والبنات..

باختصار إن أردت أن تخبر كم رأيت من صفوة بلدنا، فالأيسر أن تذكر من منهم لم يزرّ مولانا وليس العكس..

وبالتأكيد كان من أوائل الزائرين لمولانا كل عام قبل حلول المولد، نفس الثلاثي الذي يتكون من الصحفي حامد عزب رئيس تحرير سابق لأحد أكبر الصحف القومية، وثنائهم محمد العسال من نجوم الغناء فى الثمانينات قبل أن يعتزل بسبب عدم قدرته على مجاراة تطور الأغانى والوسط الفنى مع حلول الألفية الثالثة، أما ثالثهم وأشهرهم هى عزة فاضل صاحبة أجرأ الأدوار وأسخن المايوهات التى عرفتها السينما فترة السبعينات، والتى كانت ولا زالت بطله أحلام مراهقين كثر، حتى بعدما بعدت عن الأضواء بعدما ارتدت الحجاب ثم عادت على استحياء بعد غياب طويل!

كانوا جميعا من مدمنى زيارة الأضرحة فى ربوع مصر بشكل عام، وضريح الشيخ عبد الحسيب بشكل خاص، وخصوصا جلسة الصالون فى حضرة مولانا المحببة إلى قلوبهم بشدة!

يبدأ مولانا مرحبا بهم وبقدومهم المستمر الغير منقطع.

- والله يا جماعه إنتو مشرفنى.

يبدأ المفوه صاحب القلم المرن متعدد الانكسار:

- والله يا مولانا احنا اللي بنتشرف بزيارتك من وقت للتانى.

يليه صوت المطرب سابقا والمبتهل حاليا الذى يبدأ ابتهاله ب:

- هتصدقنى يا مولانا لو قلتلك: إنى بعد زيارة فضيلتك هنا وصلاة ركعتين جار المقام، بعد ما بروح كده بحس بروحانيات غريبه كده، وبحس بشرحة صدر كده ليها العجب!

يزيد رئيس التحرير السابق من الشعر بيتا:



- بصراحه القاعده جار المقام تحت متوصفش الواحد بيدخل يصلى ركعتين بيبقى مش عايز يمشى، ناقص يبقى من أهل السبيل.

على الرغم من سخافة تلك النكته إلا إنها أثارت ضحك الحضور، فهم أشخاص اعتادوا على التظاهر وادعاء المشاعر أمام الجميع خاصة من فى قامه ومستوى مولانا!

بشفاه غليظة من أثر الحقن وبما تبقى لها من أنوثة مزيفة، يأتى دور الفنانة فى الحوار فى ذلك المشهد العبثى:

- أنا اللي نفسى ادخل المقام مره واشوفه من قريب، بس للأسف الزحمه بقى وكده هى اللي بتمنعنى.

- ده احنا نفضيه علشان خاطر حضرتك.

- طول عمرك أبو الذوق كله.

سؤال محير لدى العسال تردد كثيرا ليسأله:

- انا كل ما ازور فضيلتك أبص للخنجر ده واسرح، بصراحه شكله اكر من رائع، كان نفسى أسأل فضيلتك ايه قصه الخنجر ده، بس كنت بتخرج فى الحقيقه!

يقشعر جسد مولانا بمجرد تذكر تاريخ ذلك الخنجر المبارك:

- الخنجر ده يا سيدى بتاع جد جد جد جدى، كان وارثه من جده اللي كان وارثه من سيدنا النبى عليه الصلاة والسلام.

كان ذلك آخر ما يتوقعون أن يسمعهو لذلك يظهر عليهم هول المفاجأة:

- الله أكبر، ماشاء الله، ياااه بجد!

- يعنى ده من ريحة سيدنا النبى عليه الصلاة والسلام؟!

- وكان معاه فى كل غزواته!

يعبر كل منهم بالطريقة التى يفهمها ويجيدها، فعزتهم لم تكن تعرف أفضل من لغة الأرقام:

- ما شاء الله، ده أثر لا يقدر بتمن!

أما كاتبهم فكان عاشقا للأضواء:

- أنا لازم اتصور معاه، واكتب عنه فصل كامل فى كتابى الجاى!

لم يكن أبدا ليخيب ظن مولانا فيه منذ أن عرفه فى سن مبكرة، حين كان كاتباً بالقطعة فى جورنال معارض اسما فقط، حين نال شرف إجراء أول حوار صحفى مع مولانا، وفى نهاية الحوار طلب توصية صغيرة لتثبيته فقط، وكان ذلك أقصى ما يتمناه، ولم يكن يعلم أن تلك التوصية وذاك الحوار سيكونان سبباً فى صعوده سلم الصحافة بسرعة الضوء، وللأمانة ظل حافظاً للجميل طوال ثلاثين عاماً فلم يخلُ شهر من خبر حصرى، عن حياة مولانا أو بركات وأمارات له، ناهيك عن التسويق لتلك المعجزات أثناء زيارته لدويلات البترول..

فاستحق المفاجأة التى أعدت مسبقاً له:

- إنت بقى يا عزب ليك عندى مفاجأة العمر، بس عايزك تمسك أعصابك كده كويس!

يخرج مولانا شهادة مبروزة من داخل حقيبة ترقد بجوار قدمه:

- أنا لما بحثت فى جذور عيلتك من الأب والأم، لاقيت إن شجرة عيلة الوالدة، يعود جذورها لنسل سيدنا النبى عليه الصلاة والسلام، ودى شهادة بكدة مختومة وممضية من نقابة الأشراف كمان..

يعطيه مولانا الشهادة كمن يسلم الميدالية الذهبية لبطل أوليمبي!  
- أهو، الشريف / حامد عزب هلال، وتحت أهو شجرة العيلة بالكامل!  
فكان شعور الشريف لحظتها، يفوق شعور بطل حطم الأرقام القياسية  
التاريخية لجميع الألعاب فى سباق واحد..  
أما عن قيمة تلك الشهادة لمولانا، لا تتعدى قيمة ساعة أو رابطة عنق جيدة  
بعض الشىء، تهديها لزميل دراستك فى عيد ميلاده، فكان يستخرجها ببساطة أكثر  
من استخراج مواطن عادى لقيد عائلى من السجل المدنى.  
أما عن خنجره الأثرى فكان مولانا بارعا فى افتعال وتأليف قصص  
وأساطير حوله، وحول الشيخ عبد الحسيب، وإن كانت فى بادئ الأمر لا يفتنع  
بها الكثيرون، ولكن رهانه الرابع دائما كان على الزمن وضعف ذاكرة البشر،  
فمع مرور الوقت يرحل البشر وتبقى الكذبة، وبمرور عقد أو اثنين على الأكثر  
تصبح حقيقة تتوارثها الأجيال لمئات السنين بعدها.

## الفصل السادس

ثلاث ساعات من التمرين أسبوعياً كن كافيًا، لإعطاء جسمه شكلاً ضخماً نسبياً مع بعض الشحوم.. لا تظهر إلا حين يتعرق، بل كان بمقدوره أن يصبح كأبطال ال Fitness طبقاً لخامة جسمه وجيناته، ولا سيما أيضاً قدرته المالىه، لكن سببه فى اختيار هذا الشكل يرجع إلى سببين أولهما: عدم استعداده لبذل مجهود كبير وعدد ساعات أكثر فى التمرين وتسخير حياته من نوم وأكل معين لأجل جسده، إنما جسده هو من يقوم بخدمته فيما يريد، ثانياً: عدم محبة الجنس الناعم لجسم الرجل الذى لا يدع مكاناً للشحوم فيه، بالإضافة إلى أن تلك النسب للعضلات والدهون التى يحتوى عليها بنيانه كشبيبتها فى جسم ممثل الأفلام الإباحية المفضل له.

يبدأ أولى تمريناته فى مصر فى ناديه المفضل Gym Golds المعادى، وكانت صافرة البداية داخل حمام النادى أمام المرأة حين ملاء السرنجة بثلاثة سنتيمترات، من أقوى أنواع الهرمونات التى تعطى ضخامة بأقل مجهود وتمرين واخترق بها الناحيه اليمنى من العضل!

بعدها يخرج من الحمام مرتدياً (تشرت كت وشورت قصير أسود وكوتشى أبيض) عازلاً نفسه عن العالم بموسيقى الميتال، عن طريق السماعات



الضخمة التى غطت أذنيه بالكامل فكادت ذبذباتها تخترق طبلة أذنه، ولا سيما قناع التمرين الذى يجعله أشبه بفرد القوات الخاصة الذى يساعده على رفع كفاءة نفسه فى التمرين!

فينهال على الأجهزة كأسد لديه سُعار يهاجم هذه الزرافة وتلك الغزالة ويتركها قبل الاكتفاء منها، وبعد أن تخطى الساعة التى يتشاءم إذا تعداها، استقر على جهاز البطن لينهى أولى أيامه بعد العودة للتمرين، ما إن يستقر على الجهاز حتى تصدر الاهتزازات من هاتفه الذى يرقد بجيبه ليرى اسم Raya

- Honey

- صباح شريف يا مولانا.
- يااااا قلبى، مولانا طالعه منك تهوس.
- انت فين؟
- فى الجيم.
- قدامك كتير؟
- لأ خلصت.
- وبعدين هتعمل ايه؟
- بعد الجيم مبعملش إلا حاجه واحده بس.
- إيه هى؟
- باكل اى حاجه بتيجى قصادى.
- ده أنا اخاف اقابلك بعدها بقى ههههههه.
- إنتى متتكليش، انتى الواحد يحلى بيكى هههههههه.

- بجد هتعمل ايه؟

- هخلص واطبط نفسي وأعدى عليكى نروح تنغدى، اوك؟

- اوك.

- Bye

- Bye

يكمل الأربع مجموعات الأخيرة بحماس وقوة، استعدادا لأول لقاء  
يجمع بينهم منفردين دون تطفل من أحد!

\*\*\*

مع دقائق الساعة الثامنة يدق كعب حذاء رايا بهو مطعم فندق -Mari  
otte بفستانها الأسود الكلاسيكى، الذى يرسم جسدها المثير ذا المنحنيات  
الشاهقة، يزين اللون الموف شفيتها وأظافرها ليطفى عليها رونقا خاصا بها،  
لا يشبه غيره لدى باقى الحسنات، بدون اتفاق مسبق على نوع ملابس تلك  
السهرة، وبتوارد أفكار تلقائى يظهر (القيصر) ببدلة سوداء تعلقو قميصا ناصع  
البياض دون رابطة عنق، ومن المرات النادرة جدا التى يتخلى فيها عن الحذاء  
الضخم ويلجأ لحذاء كلاسيك أسود..

أصابع يده الغليظة ذات الأظافر المقلمة بعنايه ودقة، تحيط بأصابع نحيفة  
وطويلة، عليها بعض الرسومات التى لا يفهمها إلا مالكتهم!

بمجرد أن يراه أحد نادلى المكان يقابله بترحاب شديد يصل إلى المبالغة:

- أهلا وسهلا سعادة الباشا، بقالنا كثير مشفناش سعادتك!

بيرود اعتاد عليه فى الرد على تلك الطبقة من الخدم أو السكرتاريه فى  
الشركات أو مكاتب السياحة.

- إزيك، الناس كلها تمام؟

عاملان آخران لم يقل ترحابهما، بل أضافوا إليه ترحابا بالسيدة الجميلة، مما ولد لديها قشعريرة أسفل الظهر لم تعرف لذتها من قبل، لأنها لم تنعم بهذا الكم من الاهتمام ولو لمرة، حتى فكرت أن تطبع قبلة على خد صاحب الفضل فى تلك اللذة، بعد سؤاله من النادل:

- مش كنت بلغتنا سيادتك كنا حجزنا لسيادتك ترابيزه، تحب تقعد فين سيادتك؟  
- مكان بعيد عن الناس.

- إتفضل سيادتك!

يقع اختيار (القيصر) على منضدة، تم حجزها مسبقاً ووضعت عليها لافتة  
Reserved، لكن دون أن يلاحظها

وبعد أن لوح بيده لضيفته لتفضل بالجلوس أشارت هى للافتة قائلة:  
- دى محجوزه.

لم يستغرق الأمر إلا ثوانى من التفكير، قبل أن يقبض هو على تلك  
اللافتة بأطراف سبابته والوسطى، ويلقيها خلفه قائلاً دون أى مراعاة للمكان  
أو للقائمين عليه:

- كده مبيقتش محجوزه.

هذا المكان شبه منفرد جعل خصيصا للفنانين لعدم إزعاجهم من قبل  
المعجبين، أو لكبار المسؤولين ورجال الأعمال الراغبين فى اقتناص مواعيد غرامية  
أولية، يجب أن تكون فى مكان عام قبل أن تتطور إلى مكان خاص..

يسحب الكابتن الكرسي للسيدة أولاً كما هو متعارف عليه فى آداب  
الفندقة، ثم يسحبه للقيصر، وبعدها ينصرف..

يستمر (القيصر) فى النظر لعين رايا بتركيز لمدة دقيقة، بعد أن اتخذ وضعية الجلوس المعتادة، بأن يكون ساندًا ظهره إلى الخلف ورجلا تعلق الأخرى! يوجه لها أولى كلماته التى كانت بصدق وعن اقتناع شخصى دون مجاملة: - فى ست أو بنت بتبقى مثيره، وبتبقى عارفه إنها مثيره، وبتبقى عارفه إن الرجاله عارفه إنها مثيره، إنتى الست دى!

بخجل حقيقى مع احمرار فى الخدين، لم تعتدّ عليهما رايا ولم تشعر بهما من قبل إلا بادعاء منها فى مواقف ما:

- دى معاكسه؟

غمزة عين مع صوت من ضم الشفتين:

- (تؤ) دى حقيقه.

تبدأ رايا فى تغيير وجهة الحوار لاتجاه آخر، كانت تنويه من قبل تلك المحادثة، وهى معرفة أكبر كم من المعلومات والسمات الشخصية لهذا (القيصر) ذى الهالة الغريبة والشخصية الغامضة:

- واضح إنك زبون قديم اوى هنا.

- أنا جيت هنا مره واحده بس من أكثر من سنه.

- مره واحده من اكثر من سنه، وكلهم فاكرينك وبيرحبوا بيك كده، ليه؟

- هتعرفى ليه لوحذك، المهم هتاكلى إيه أنا ميت من الجوع؟!

ترفع الأطباق من أمامهم، والتى كانت منذ عشرين دقيقة تحتوى على أفضل ستيك فينواز، وكوردن بلو تم طهيهما من قبل الشيف العمومى بنفسه ك (Special Order) لذلك الضيف الخاص، ويأخذ مكانهما فنجالا من القهوة المظبوط ليحسن من مزاجه، وفى مواجهته كوب من العصير الطبيعى لضيفة الشرف!



يسمع الكابتن الجملة التي انتظرها منذ أن دخل (القيصر):

- حضر الشيك واول ما اشار لك توجيهه!

يطبع أحمر شفاه رايا على سيجارتها من ماركة Winston، فيبارزها (القيصر) بواحدة من سجائره الخاصة..

ثم يشعل لها سيجارتها، ثم يشعل لنفسه ويأخذ نفسا عميقا، ويرشف رشفة أولى من الفنجال ويتلذذ بأحد ملذاته فى الحياة، وهى غداء دسم بعد تمرينة شاقة يتبعه فنجال قهوة بن زياده مع سيجار!

ترد له رايا نفس النظرات السابقة، ولكن بتمعن أكثر دون أن ترمش، فيداعبها قائلا:

- ايه، عايزه ترسميلى بورترية؟

سؤال مع رغبة ملحة منها فى معرفة الإجابة فعلا:

- انت مين، انت ايه؟

يأتى الرد على غير المتوقع، فكان أكثر ما تتوقعه أو ما يجنح به خيالها: إنه ابن أحد كبار رجال الأعمال فى مصر أو ابن أحد كبار رجال النظام:

- أنا القيصر، شخص برتبة رئيس جمهورية، أو بمعنى أصح حفيد رئيس جمهورية.

شخص مش اللى بيطلبه بيلاقيه توّ، اللى بيتخيله فى خياله بيلاقيه.

شخص عمل كل حاجه فى الدنيا.

أنا فى مرة فكرت أنا إيه اللى لسه معمليتوش فى حياتى علشان أعمله..

- ولاقيت ايه؟

- بجد لاقيت انى عملت كل حاجه، ملقيتش حاجه جديده ممكن أعملها.

- طيب هتعمل ايه فى حياتك اللي جايله، ما انت عملت كل حاجه؟  
- لآ، أكيد فى حاجات لسه هتظهر، أنواع خمور مثلا، أنواع Drugs،  
أنواع عربيات هتظهر، أشكال ستات هتظهر جديده، يعنى مثلا ست تظهر  
بتلاته نظام مثلا ههههههه.

- هههههههههه، على كده انت غنى أوى كده؟  
تحول (القيصر) لفيلسوف عظيم أو طيبب نفسى عالمى ونظر خلفها فى  
الخلاء وبدأ فى تفسير كلامه:

- بصى، الموضوع مش موضوع عندى فلوس أد إيه، الموضوع إن مصدر  
الفلوس عندى مبيوقفش!

- مبيوقفش إزاي يعنى، عندك آبار بترول؟  
- صدقيني آبار البترول بيجيلها وقت وتنبذ، إنما آبار مولانا مبتبندش أبداً.  
- أبداً؟

- أبداً!

- طيب الثورتين اللي حصلوا دول مأثروش فيكو؟  
- الإيه؟

- الثورتين.

- الإيه تانى؟

- الثورتين، إيه الغلط فى اللي بقوله؟

تلك كانت أطرف نكته سمعها فى حياته منذ ولادته، نكته أثاره ضحكاته  
لدرجة أنها وصلت لكل نزل المطعم ووجهت الأنظار إليه مما أشعر رايا  
ببعض الحرج!

- ثورتين، يا حبيبتي احنا مياثرش علينا ميت ثورة سياسية، هما آخرهم ايه، عايزين يشيلوا حاكم، عايزين يغيروا نظام، كل ده ولا يفرق معنا فى حاجة ولا يآثر علينا One Percent

إحنا اللي يآثر علينا بجد ويمحينا من الدنيا كلها..

ثورة العلم، ثورة الفكر!

ثوره مبتدورش على أساسيات الحياه لسه (عيش، حرية، عدالة اجتماعية) وبتطالب بيها فى القرن الواحد والعشرين..

وعايزه تعرفى أنا ليه مطمئن وعارف إن اليوم ده مش هيجى..

وهيفضل جدى وانا وولادى وولاد ولادى وسلسالنا عايشين ملوك..

علشان احنا النهار ده واحنا فى الالفية التالته، الشريط بتاع 99 فى الميه من القنوات الفضائيه الرخيصه بيعلن عن اعلانات (سحر وأعمال وربط وجلب ومس)، وبأرقام التليفونات والعناوين..

وبدل ما كانت زمان مخالفه للقانون والحوارات دى كلها ماشيه شمال، بقت النهار ده على عينك يا تاجر..

وعايزه تعرفى ايه اللي مطمئنى اكثر واكثر..

ان اكثر ناس بيحجروا ورا الخرافات دى، سيدات المجتمع ورجال الأعمال والفنانين ودكاتره الجامعه ومدعى الثقافه..

علشان كده احنا عايشين مطمئنين اوى فى البلد دى، ولو خيرونا بينها وبين احسن بلد فى الدنيا مش هنسيبها..

مش حبا فيها لأ، بس اللي زينا ملوش عيش براها..

البلد دى بلد الأغنيا فى الفرح، وبلد الفقرا فى الحزن..

وقت الفرح لما نكسب ماتش ولا حاجه تلاقى الأغنيا أول ناس نازله  
تزيط وترقص، وفي الحزن لما يكون فى أحداث شغب ولا مظاهرات تلاقى  
كل واحد منهم واخذ طيارته الخاصه وعلى بره..  
الخلاصه، البلد دى مبيعدش فيها غير متفجع أو مضحوك عليه أو محبوس  
فيها ومش عارف يسيبها!

- ده انت طلعت فيلسوف كبير بقى وانا معرفش!

- مش مسأله فيلسوف.

But Always Remember

Nobody Dies Virgin

Life Fucks Everyone

ثوان من الصمت ثم يسحب آخر نفس من السيجار، ثم يطفأها داخل  
الطفايه قائلاً:

- يلا بينا نشوف هنقضى سهرتنا فين، بلا بلد بلا وجع دماغ!

بفعل احتكاك إصبعى الوسطى والإبهام ليد (القيصر) اليمنى، يصدر  
صوت كان بمثابة جرس إنذار حريق جعل الكابتن يحضر سريعاً، يفتح العلبة  
ويخرج الشيك ويقربه من (القيصر) ليرى المبلغ!

لا ينظر للشيك ولا يعيره اهتماماً أصلاً، ويخرج من جيبه كمية نقود فئة  
الـ 200 جنيه..

يعد عشرة ورقات ويلقيها داخل العلبة..

- الباقي للى فى المطبخ!

- تحت أمر سعادتك.

- وانت عايز التبس بتاعك احمر ولا اخضر؟

بيتسم الكابتن وعيناه ناحية الأرض مصطنعا الخجل:

- اللي تشوفه سعادتك.

- قول متتكسفش.

- اللي تشوفه يا سعادة الباشا.

- شكلك كده عايزه اخضر، خد!

كميه من الدولارات تخرج من جيب آخر لدى الحاوى ثم يلقي بواحدة من التي تعادل 1800 جنيه مصرى:

- دى للرجال!

يمسكها بلهفه وشكر أعجبا (القيصر) مما دفعه لإلقاء واحده أخرى لينتشى بلحظه لذه أخرى:

- ودى ليك.

يلحقها الرجل أسرع من سابقتها قبل أن يراه زملاؤه حتى يستطيع إخفاءها عنهم، ثم ينحنى فى شكر وثناء ثم ينصرف

يمد يده للحسنا لينصرفا، فيجدها مذهوله مما رأته ومن دفعه بقشيشا أضعاف قيمة الفاتورة نفسها التي لم تصل إلى 1500 جنيها.

- أهو أنا دلوقتى عرفت هما ليه عمرهم ما هينسوك طول حياتهم!

\*\*\*

زيارات مولانا لمديرية الأمن التابع لها لم تكن بالشىء المعتاد، فالمعتاد هو زيارة اللواء حسين عصمت مدير الأمن لمولانا فى منزله، فحينما تطرق قدم مولانا أرض المديرية يكون للشىء الضرورى أو الطارئ، ووقتها يدعو جميعهم من أصغرهم لأكبرهم أن تمر تلك الزيارة بدون مشكلات!

تقرع يد العسكرى الملازم لباب مكتب مدير الأمن، ثم يفتح الباب أمام مولانا ليدخل بطلته ووقاره، فيقف اللواء ليستقبله بترحاب شديد:

- يا أهلا يا مولانا، المديرية نورت!

- منوره برجالتها، يا عصمت بيه.

- إتفضل هنا يا مولانا علشان تبقى قاعده ودى.

يتجهان إلى صالون جلد أسود سميك وضخم مقابل للمكتب.

- تشرب ايه يا مولانا؟

- واحنا كنا كالنا ايه نشرب عليه مايه.

يضحك اللواء بصدق على سرعة البديهة، والرد الذكى الذى ينم عن خفة ظل تظهر فى أضييق الحدود:

- بعدين انت يوم ما تعزمنى على حاجه، تعزمنى على حاجه فى المديرية، فلوس الداخليه لو دخلت بطن الواحد تقلبها، طاب إعزمنى فى مطعم ولا فندق.

- بس كده انت تؤمر يا مولانا، إختار المكان والزمان وانا تحت امرك.

- هيحصل بس مش دلوقت، إنت عارف أنا جايلك ليه؟

- أكيد بخصوص المولد، حضرتك مبتشرفناش هنا من السنه للسنه إلا علشان نرتب للمولد.

- مضبوط، بس السنه دى بقى غير أى سنه، السنه دى هيكون فيها ناس مهمين اوى!

- أهم من اللى بييجوا كل سنه، ده بسم الله ما شاء الله، كل سنه بييجى أكبر رجال أعمال فى البلد وأشهر الفنانين ورجال سياسه، ورؤساء أحزاب ووزرا من الحكومه، وعمرنا ما قصرنا.

يصرح مولانا بما سيجعل الأمر أكثر أهمية ذلك العام والذي لم يتكرر  
من قبل:

- ضيف على دول مناديب ملوك وأمراء من الخليج، وسفرا الدول منهم..
- الموضوع كبير، وانا مش عايز اى هرجله ولا تخييط..
- يعنى الأمن يبقى ميه فى الميه والطرق تتحول وتبقى على أد الضيوف بس..
- ده غير إنها لازم تبقى كلها متسفلته ومرتزينه!
- بس موضوع السفلته والتزيين ده هيتكلف.
- حساب كل ده عندى، وبزياده..
- عصمت، أنا بقدر الرجاله اللى بتتعب معايا، وهو يوم، ولازم يعدى!
- يا مولانا أنا عينيا ليك وحضرتك عارف.
- أنا عارف.
- متقلقش يا مولانا، كل شىء هيبقى تمام.
- والمدارس المجاروه كلها هتفتح للوافدين من المحافظات اللى ببيجوا  
من أول يوم..
- والناس الأعلى هيتفتح لهم نُزل مركز الشباب..
- بس الرجاله...
- من غير ما تكمل، الرجاله اللى هتتعب هتتقدر.
- يميل مولانا ناحيته وتتحول نبرة الصوت الى التهديد:
- واللى هتقصر هتتكدر، وحركه الترقيات جايه ورجالة المديره وانت  
أولهم هتتقدروا على أد تعبكم معايا، وانت عارف اللى خدموا هنا قبلك  
وسدوا إتقدروا إزاي ومسكو مناصب ايه بعد كده.

- تمام يا مولانا.
- عايز تقول حاجه تانى قبل ما امشى؟
- هو حاجه بسيطة بس، مكنتش عايز أشغل حضرتك بيها.
- أى حاجه عندك قولها دلوقتى يا عصمت، أنا مش عايز أشغل بالى بحاجه فى الأيام الجايه.
- تجار الصاغه.
- ما لهم؟
- بقالهم شهرين متأخرين فى الدفع، والرجال هنا واخده على خاطرهم وانا ماسكهم بالعافيه، ولما بيتسرق لهم محلين تلاته بيعرفو ان الله حق وبيرجعوا يعيطوا، ولا هو الكمين اللى متبتلهم ده متبت لهم كده، ولا الرجاله اللى بتحميهم دى...
- يقطع مولانا تلك الشكوى التى تدخل فيها أكثر من مرة، بسبب تقصير أحد الطرفين سواء ضابطى المديرية بسبب تقصيرهم فى منع سرقات محلات الذهب الموجودة بالصاغة، أو أصحاب تلك المحلات المتأخرين فى دفع الشهريه المتعارف عليها منذ عشرات السنين وتوارثوها بينهم:
- خلاص يا عصمت، أنا هكلمهم أخليهم بيعتولك المتأخر ويتنظموا من هنا ورايح، حاجه تانى؟
- علشان مش عايزك تفتحنى فى أى مواضيع الفتره اللى جايه كلها.
- متشكر يا مولانا، ومتحملش هم الأيام اللى جايه، حضرتك عارف عصمت طول عمره سداد.
- حذارى يا عصمت، حذارى!



يخرج مولانا من باب مديرية الأمن متوجها الى سيارته البيضاء الـ Land Crusier موديل 2012 ذات الخطوط البنية المنقوشة على الجانبين، يمشى بجانبه ضابط برتبة عقيد يتكلم بالقرب من أذنه، لكن دون اهتمام من المستمع حتى يصل إلى سيارته فينهي العقيد حديثه:

- وآسف اذا كنت هتعب فضيلتك.

فكان الرد المعتاد من مولانا لإنهاء أى شكوى لا يود حلها:

- لا أبداً لا تعب ولا حاحه.

يقوم عباس بفتح الباب الخلفى ليركب مولانا، ويسرع عباس بالقفز فى المقعد الأمامى بجانب السائق..

يعظم له العميد قائلاً:

- مع ألف سلامه يا مولانا.

يهز مولانا رأسه دون اهتمام، ثم تنطلق السيارة خارج أسوار المديرية، وفى الطريق يجرى مكالمة مع (القيصر) يُوكل له خلالها مأمورية تسببت له فى إزعاج:

- عايزك تشوفلى مشكله المصنع ده ايه، ولا أقفله أحسن وارتاح من

صداعه؟!

تروح العاشر من رمضان وتخلصنى من الصداع ده..

هخلى المدير بيعتلك عريية المصنع.

بعد دقائق قليلة صف طويل من السيارات المنتظرة بسبب أحد كمائن

الشرطة، من بعيد يتساءل عباس:

- إيه الوقفه دى؟

لتأتى الإجابة من السائق:

- الظاهر فيه كمين هو اللى معطل الدنيا.

فيأتى الأمر من مولانا:

- إدخال من الجنب!

تدخل السيارة من يمين الصف وتتجه إلى الكمين، ليتفاجأ بها الضابط  
المسئول عن الكمين صاحب رتبة الرائد وهي تقترب منه والكشافات مضيئة،  
ليصبح بغضب قبل أن يتأكد من معالم السيارة:

- رايح فين يا ابني انت، اطفى الكشافات دى.

ينزل عباس مسرعا من السيارة ويتجه الى الضابط..

ججوار الكمين تقع عين مولانا على ميكروباص قديم من طراز El-  
tramco بجانب الطريق، وبجواره بعض الراكبين ويقوم بعض الأمناء  
والمخبرين بتفتشهم..

يصل عباس للضابط ويمتص غضبه وانفعاله بمجرد قوله:

- يا سعادة الباشا دى عربية مولانا الشيخ أبو هاشم.

ليتحول الرائد لحمل وديع قائلا:

- آه، طيب عدى!

ثم يأمر معاونيه بفتح الطريق، يركب عباس السيارة وتنطلق..

فى حين أن مولانا كان غارقا فى التفكير فى منظر المشتبه بهم الواقعين

تحت التفتيش!

## الفصل السابع

سخط مولانا على ظروفه وحياته عموماً لم يكن بسبب فقره فقط، بل ما ضاعف كرهه لما حوله وخلق لديه إرادة من حديد يستحيل خدشها حتى، في أن يكون ذا نفوذ وأموال طائلة، هو ما حدث في تلك الليلة الممطرة كاحلة السواد من شتاء عام 1968.

يخرج مولانا بعد أن تجاوز عمره منتصف العشرينات بثلاث سنوات، ومعه ثلاثة فلاحين في نفس السن أيضاً من (خُص) وهو عبارة عن كوخ صغير من الحطب والخيزران بجوار شريط السكة الحديد، يستخدمونه لتعاطى الحشيش كل ليلة، أحدهم صديق لمولانا ويدعى عطية، والآخران معرفة سطحية ولا تتعدى معرفتهم جلسة السُكر والعردة..

يترنح الجميع من أثر التعاطى فيبدأ عطية بجملة تم الاتفاق عليها مسبقاً مع مولانا:

- التعميرة الليلة كانت تسوى ثقلها ذهب.

وبالفعل بدأ الآخران بمجاراته:

- تسلّم ايديك يا ابو هاشم.

فى تلك الفترة كان مولانا لا زال يتحدث بلهجة فلاحى تشبه معظم القرويين (القاف تنطق جيما)، بوغزة من رسغ مولانا له:

- عشان تبقى تدعىلى.

- ده انى بدعيلك اكثر ما بدعى لابويا الله يرحمه.

يضحك الجميع ليس من وقع الدعابه على قدر ما هو من مفعول المخدر..

تفرقا الزميلان عن مولانا وعطية بعد دعوته لهم:

- ما تفضلوا معانا.

- لا يابا تسلم إتصبحوا بالخير.

- ليلتكو أنس.

يتجه مولانا وعطية إلى الطريق العمومى، ويستوقفان سيارة نصف نقل ذات صندوق مغطى بالخشب ويداخله مقعدان على الجانبين بطول الصندوق من الخشب أيضا، يصعدان ويستقران داخل الصندوق على المقعد متجاورين..

يخرج عطية من جيبه قطعة حشيش ويعطيها لمولانا:

- أهيه الحته اللى خسرتها منهم.

- عفارم عليك.

- لا والبقر صدقوا إنها حته محصلتش.

- ما قولت لك، هيشربوا حجر والتانى من الحته الأصليه، وبعد كده لو

حطينا لهم تاتوره مش هيجسوا.

تستقر القطعة داخل جيب مولانا قبل أن تقف السيارة بثوانى عندما تسائل عطيه:

- هو وقف ليه؟

- إتلاقيه هيركب حد.

- إيوه..

بيتهيألى الحته دى على اللى عملناه قبل كده يعملوا يجى وقية.

- متنبرش فيها وخليها ماشيه بالستر.

- وهنبتدى امتى نطلع ونبيع...

يقاطعه مولانا قبل أن يكمل حوار ه حول فكرة بيعهم للحشيش على نطاق ضيق الذى مل سماعه منه كل يوم، والذى تردد كثيرا قبل أن يبدأ فيه أولى خطواته لأنه يعلم أنه طريق ذو اتجاه واحد، ومن يبدأ لا يمكنه الرجوع ناهيك عن السمعة التى لا يمكن أن تفارقه بعدها، لكن السبب الأهم والأقوى الذى ظل يداعب خيال مولانا لأيام وأيام ودفعه لتأجيل ذلك القرار مرارًا وتكرارًا رغم ضغط عطية ذلك الشيطان الذى لا يفارقه، هو كيف سيستقبل والده ذلك الخبر الذى سيصل الى آذانه قبل أقل من ساعة فى مجتمع مثل قريتهم، والأفزع من ذلك ما يمكن أن يحدث للشيخ عبد الحسيب جراء ذلك الخبر!

- الصبر، مش دلوقتى إصطبر لحد...

تظهر ملامح الرعب على وجه عطية حين يظهر فجأة أمامهم خيال دون ملامح واضحة يقف على الأرض، تمنى فعلا لو كان لشبح أو لعفريت بعدما أضاء البطارية فى أعينهم قائلاً:

- إنزلى يله إنت وهو.

ينفزع عطية ويصاب بشلل تام فى تفكيره، أما مولانا فيلتقط أعصابه ويحاول جاهدًا لم شتاته بخصوص السبع سنوات من السجن المشدد المستقرين بداخل جيبه.

يدفع عطية الجالس ناحية الشارع لينزل قبله، وفي خلسة ما بين تحريك الضابط للبطارية خارج السيارة وعودتها للظلام الدامس مرة أخرى وبين وقوفه مع انحنائية شديدة، نظرا لقصر سقف الصندوق يخرج قطعة الحشيش ويلقيها خلف قطعة خشب (أبلكاش) مثبتة خلف الركاب بطول الصندوق لينزل بعدما تنفس الصعداء.

يلتف حولهم الخفراء والمخبرون ويبدأ الضابط بتفتشهم شخصياً واستجوابهم:

- جاين مين؟

يتسرع ذو الأعصاب المنفلتة برد يورطهم أكثر مما ينقذهم:

- كنا بنروى الأرض سعادتك.

- أرض إيه يا ابنى اللى بترويهها، هو ده موسم رى، بعدين واخدين أرض فى آخر الدنيا؟

يوجه الكشاف لوجهه ويتأمل عينيه:

- بعدين انت عينيك محمره ليه، انت محشش؟

يبدأ بتفتيش مولانا فيأتى الرد بحكمه وهدوء:

- سعادتك حشيش ايه لا سمح الله، ده أنا أبويا إمام مسجد والجدة ده أبوه فقى.

- إمام مسجد وفقى، آه، معاكو إثبات شخصيه يا ابنى انت وهو؟

- سعادتك ده احنا نازلين البلد اللى جانبنا يعنى، مش مستهله نمشى بإثبات شخصيه.

- وانت بقى جبت الحكمة دى منين، أمك اللي قالتها لك؟

آخر ذرة للإنسانية داخل مولانا انقطعت يوم وفاة أمه، وهو فى سن الثالثة عشرة، فهو لم يكتب غرائزه إلا مرضاةً لها ولمعزتها له فهى الوحيدة من حنت عليه فى هذه الدنيا، حتى والده الشيخ عبد الحسيب كان يقسو عليه فى صغره فى الصلاة والصلاح لصالحه ليس إلا، لكن مولانا كان يأخذ الأمر من باب القسوة عليه فقط، ومن بعدها تحول لما هو عليه الآن.

لذلك حين سمع سيرة أمه لم يتمالك أعصابه وأمسك بمعطف الضابط قائلاً:

- انت فاكر نفسك علشان ظابط هتشتتم أمى واسكتلك.

- انت بتمسك فىا يا فلاح يا واطى يا ابن الكلب!؟

يلتف حوله جميع المخبرين ويتملكون منه ويتجهون به ناحية سيارة الشرطة (البوكس)!

وكانت آخر كلمات الضابط له قبل أن يلقيه داخل سيارتهم:

- بتمسك فىا أنا يا شحات يا جربوع، ده أنا هوريك أيام سوده، خدوه ع المركز.

ثم يلطم عطية بظهر يده على صدره قائلاً:

- وانت غور فى داهيه مش عايزك فى حاجه.

\*\*\*

فى شارع السودان بالمهندسين بعدما ثقلت أرجل المارة، يقف رجب أمام كشك بقالة اتخذه صاحبه كواجهته، لبيع الحشيش فقط وعلى نطاق محدود ولزبائن معينة ولا سيما أن أحدهم هو رجب.

على بعد 50 مترًا عند تقاطع على شكل حرف T يستند (القيصر) لسيارة رجب، رافعًا رأسه لأعلى مغمض العينين وفي مواجهته رايا، بينما تجلس في السيارة بالخلف مارو تختلس نظرات حقد لرايا:

- مالك؟

هكذا سألته رايا.

- مصدع، مصدع أوى.

يمر من ذلك التقاطع سيارة جيب تابعة للقوات المسلحة، بها عسكري يقود وبجواره نقيب وبالخلف ضابطا صف.. تابعون جميعهم للشرطة العسكرية.

يخطر ببال رايا سؤال غريب أثار فضولها:

- سيزر إنك دخلت الجيش؟

- لأ شفته فيديو.

لم تستوعب المزحة نظراً لتعقيدها..

- يعني ايه؟

يبتسم (القيصر) على دعابته..

- بعدين هشر حلك، إركبي.

في ذلك الوقت كان رجب قد انتهى وعاد إلى السيارة، وانطلقوا جميعاً. يبدأ رجب الجالس في الخلف بجوار مارو في عرض مشترياته، على ربان السفينة المسئول عن قيادة السيارة والأمور كلها والتباهى بها.

- شم كده وقولى ايه رأيك؟



سؤال ساذج من مارو مدعية البراءة.

- إنتو مبتخافوش واتو بتشتروا الحاجة دى عيني عينك كده فى الشارع؟

لتأتى إجابته من مدعى جرأة يجاورها:

- ونخاف ليه احنا بنعمل حاجة غلط، وبعدين نخاف إزاي أصلا واحنا

معانا (القيصر)؟

دائما ما تستفز أسئلته رايأ لأنه غير مقنع ومبالغ نظراً لإمكاناته الضئيلة:

- مبتعملوش حاجة غلط؟!!

فيأتى الرد بهدوء وحكمة من صاحب عقلية، من شأنها أن تتمدد وتنكمش على حسب المستوى العقلى الذى يحدثه سواء كان داهية سياسية لها باع مثلاً، أم بنتا تحت العشرين بلغت من التفاهة أقصاها.

- أيوه يا حبيبتى مبنعملش حاجة غلط، إحنا ناس بتشتري عشاها، ومروحه كافيه خيرها شرها من غير ما تأذى حد،

الدور والباقي بقى على اللى بياذوا الناس وهما فى الظاهر شكلهم بيحموهم.

\*\*\*

حين أضاء نور الصومعة كانت فى حالة فوضوية قبل أن يجلس (القيصر) مع زفير قوى وفى يده رايأ، وقبل أن يجلس رجب الذى طلت قدماه بعده يوقفه (القيصر)!

- إيه هتعمل إيه، ولعلنا فحميتين كده خليك خفيف علشان نبدأ الحرب بدرى بدرى.

- يا عم آخذ نفسى.

- وما له يا حبيبي خدو براحتك فى المطبخ.



لا يدخل رجب فى جدال حتى لا يضع إهانتة بين قوسين ويلفت نظر الجميع لها، فيتجه إلى المطبخ سريعاً..

تلتف يد (القيصر) حول رقبة رايا مع ضمها ناحيته، فتدفعه برقة مغزاها مداعبته وإشعال غرائزه أكثر..

- بس بقى احترم إنوثتى.

- إنوثتك!

ضمة أخرى تنهى مقاومتها وأثناء اتجاه شفتا (القيصر) نحو عنوان تعرف طريقه جيداً، يلاحظ وجود مارو بل وتركيزها معهم، كطالبة فى مراجعة ليلة امتحان الفيزياء للثانوية العامة!

فتتعرض للإحراج على يد الخبير فى ذلك .

- مارو، ما تقومى تظمنى على رجب كده أصلى مش سامع صوته، احسن يكون حصله حاجه فى المطبخ.

- أقوم يا رايا؟

- حبيبتى أنا اللي بكلمك.

تنظر مارو الى صديقتها كأنها تستنجد بها، فتمتص كل ذلك التوتر بدلعها التى تمتلكه حصرياً عن كل نساء المجرة:

- متزّعليش ماى سيزر بقى.

تقف مارو بغضب وتتجه الى المطبخ، وما يزيدا هذا إلا حقداً وكرهاً لكليهما..

يشعر رجب بأنفاس مارو الساخنة التى ارتفعت حرارتها إلى 100 درجة مئوية ووصلت للغليان..

اختلس رجب نظرة خلفه ثم عاد للتركيز فى الفحم الذى يتحكم فى مصيره فوق النار ب - (الماشه).

- إيه اللى جابك؟

- صاحبك الخنيق، شكله كده عايز يستفرد برأيا.

- وهو لو عايز يعمل حاجه هيتكسف منك؟

- صاحبك ده أسخف إنسان قابلته فى حياتى، أنا مش عارفه إنت طايقه إزاي.

- زى ما انتى طايقه صاحبتك الخنيقه.

يستدير لها فى لحظة حقيقة لم يمر بها من قبل، ليجيب على كل تساؤلاتها التى تدور فى ذهنها منذ أن رآته، وما الذى يجبره على تحمل كل تلك الإهانة والبذات الصادرة فى حقه.

- إحنا الاتنين زى بعض يا مارو، مصاحبين ناس مش طايقنهم علشان خاطر المصلحه..

أو بمعنى أصح مصاحبينهم لحد ما تيجى الفرصه اللى تنطقنا فوق..

وساعتها هنساهم، ويمكن كمان ندوس عليهم.

بعد حرق عدة أحجار من الحشيش المدمج مع المعسل على الجوزة النحاسية ذات الغابة الطويلة، دائماً ما تتخذ جلسات الأُنس والسكر وتعاطى المخدرات طريقها إلى النكات والضحك على أُنفها وأسخفها حتى، وكانت أولهم من رجب الذى ما زال ممسكاً بالغابة:

- هقولكو أنا نكته جامده.

مرة واحد عجلا تى قاعد على كافيه قالوله تشرب ايه، قالهم كاوتشينو.  
تضحك مارو معه مجاملةً فقط، أما الثنائى الآخر فينظر لبعضهما البعض،  
دون رد فعل أو حتى حركة شفاه واحدة  
يتساءل ثقيل الظل مستمعه الغاضب:

- إيه مش عجاكو؟

- لأ طبعاً، يا ابنى النكتة علشان تضحك لازم يكون فيها قلة ادب.  
فيلقى بما عنده لرايا:

- أنا هقولك نكتة هتعجبك:

مره واحد اشترى علبة فياجرا وحطها فى التلاجه، ييفتح التلاجه تانى يوم  
لقى بابا غنوج.

ثم اقترب من أذنها هامساً: فى أم على..

اقتربت ترددات ضحكاتها إلى عشرين ألف هرتز حتى كادت تدمع  
عينها، ثم مد (القيصر) يده لرجب طالباً غابة الجوزة مع الغناء فتبعه البقية  
ككورال حتى مطلع الشمس.

- دورها دور دور واعطينى شحطة، قبل ما تيجى تيجى تيجينا الشرطة..  
دورها دور دور، دورها دور دور، دورها دور دور، ما بدى إصحى..

ناس بتحكينى قاسى، آه يا قاسى..

ناس بتحكينى فصحه، أقلب هالصفحه..

قتل راسى يا راسى مش راح بالحكى إصحى..

قاسى والزمن ناسى، ضاعت الفرحة!

## الفصل الثامن

أمام ساحة المسجد التي تبلغ مساحتها حوالي نصف ملعب كرة قدم قانوني، كانت الأمور طبيعية بعد صلاة الظهر..

الشحاذون يتسولون وأهل السبيل نائمون هنا وهناك، والبعض الآخر يتناوبون كل حسب دوره على الحصول على وجبة غداء التي تعد يوميا، منذ سنوات في الدور الأول في منزل مولانا..

في مواجهة المسجد وعلى الناحية الأخرى يقف عباس يراقب كل شيء، فهو عين مولانا في المكان خاصة وفي القرية عامه ولا يمر من تحت يده أي شارد أو وارد، حتى حظي بثقة مولانا التي جعلته يسمح له بحضور جلسات خاصة له مع أعضاء مجلس شعب وساسة ووزراء حتى، وليس الأمر بالثقة على قدر تأكد ويقين مولانا أن ليس لشخص مثل عباس أن يمثل أي نوع من أنواع التهديد أو الخطر على مُلك كملك مولانا..

الجميع يعملون كخليفة نحل كل وفق ما أمر به، الطهارة، خادمو المسجد، خفراء المكان، الكل يعمل كجنود مدربين في عرض مشروع حرب! بدون سابق إنذار تنقض امرأة تبلغ من العمر منتصف الأربعينات، ممثلة الجسم ترتدي خمارًا على يد عباس وتقبلها متوسلة له:

- أبوس إيدك يا سى عباس خلىنى أقابل مولانا، أبوس إيدك.

ينزع يده فى تكبر شعر به فى مواقف عديدة مع مثيلتها، فعلى الرغم من انحطاط شأنه وقيمه لدى مولانا إلا أنه كان ذا أهمية لدى العديد من البشر، أدانهم أهل السبيل والسائلين ثم الأشخاص أصحاب المسألة من موظفى الحكومة المتوافدين للمقام، ثم من هم أعلى شأنًا كأشخاص أصحاب تجارة يتمنون واسطه ما من مولانا.

- يا ست بس قوللى كده فى ايه، فهمينى.

- بنتى.

- مالها؟

- عدت الـ 25 ومبیتقدملهاش حد، والاتنين اللى اتقدملها يجوا قبل الجواز بمفیش ويسيوها.

- وعائزه ايه من مولانا؟

- عائزه يرقىها ولا يقرا عليها، ولا يقولى ايه عيلتها.

- بقولك ايه يا ست مولانا مش فاضى للحاجات دى.

- عندك المقام جو هو ادخلى اطلبى من عنده اللى انتى عائزه.

يخطف نظر عباس شاب فى أواخر العشرينيات مرتديا بدلة، دون رابطة عنق يقف أمام المسجد من الخارج ويحاول التقاط صور من هاتفه المحمول، دون أن يلاحظه أحد، يستمر عباس فى النظر إليه بتركيز لمدة دقيقة، ولا يقطع تركيزه سوى اليدين التى التفت حول رسغه والتوسل له مرة أخرى.

- أبوس إيدك خلىنى أقابله، أنا بقالى 6 شهور راحه جايه على المقام

ومفیش نتیجه.

- بقالك 6 شهور راحه جايه ومحصلش حاجه؟

- اه ومقام سيدى عبد الحسيب.

- يبقى خلاص، اللي مقدرش عليه مولانا الكبير مش هيقدر عليه مولانا الصغير، وحلىنى بقى متبقيش مرة ريحك ثقيل.  
ثم تأخذه خطواته ناحية المسجد..

تطور الأمر داخل المسجد من التقاط صور بشكل سرى، إلى تدوين ملاحظات فى نوته صغيره بخلسه أيضًا..

يقطع عباس الشك باليقين عندما أشار لأحد خادمي المسجد وسأله:

- واد يا سعد، تعرف الجدع اللي هناك ده؟

- لا يا سى عباس، أنا اول مره اشوفه، يمكن يكون حد من البهوات الكبار.

- بهوات ايه يا بقف، البهوات بيتقى عندنا خبر بمجيهم من قبل ما ييجوا، بعدين ما انى عارفهم كلهم.

بنظرة ثاقبة امتدت لثوان حل اللغز:

- أنا عرفت ده ايه.

داخل المقام كان عالما غريباً على الشاب، سمع عنه، لكنه لم يره من قبل..

كل ما بالداخل تخطى ما سمعه من نوادر وحكايات عن ذلك المقام وما شابيه من أضرحة..

رأى شخصاً مختلفة منهم من يقرأ الفاتحة، ومنها من تتوسل لكى تُرزق ابنتها بمولود قبل أن تُطلق، والأخرى تتوسل أيضًا واضعةً ابنتها فى المقدمة أمامها لتكون فى مواجهة مباشرة، لصاحب المقام الرفيع حتى يرسل لها

عريسًا قبل أن تصبح سيرتها سامرًا بين بنات جيلها، اللاتي سبقنها إلى عالم الزواج والإنجاب.

وهناك من تطرف في التوسل والترجى وأمسك بالحديد المحيط بالمقام، وعيناه تذرف دمعاً طالباً الشفاء من السرطان الذي اكتشفه الأطباء لديه مؤخرًا، وبدلاً من التوجه الى المشفى ليبدأ أولى خطوات العلاج، فضل التوجه للمقام والتوسل في طلب تراب المقام من خادميه ودفع المئات لهم للتداوى به..

أما أغربهم كانت مجموعة من سبعة أفراد من أعمار مختلفة، تبدأ بالصبا وتنتهى بالشيخوخة حضروا معاً من قرية واحدة للتيبارك بالشيخ عبد الحسيب، وانتهى بهم الحال بأن شكلوا قطاراً واستمروا بالطواف حول المقام.

يدون الشاب ملحوظة سريعاً.. كانت آخر ملحوظة له قبل أن تطأ يد عباس على كتفه الأيمن مع تغيير اتجاه جسمه ليكون في مواجهته، ويفاجئه بسؤال بلهجة قاهرية لم يعد له ردًا مسبقًا:

- ممكن اعرف حضرتك مين؟

تظهر علامات الارتباك على ملامحه ويلقى بأول رد خطر بياله:

- واحد جاى يزور المقام.

- واحد جاى يزور المقام ماشى يتفرج ويكتب ويصور؟

- وايه المشكله لما اصور المقام هو ده...

يُباغته عباس بسؤال مُفاجئ:

- معاك بطاقة؟

- انت ظابط ولا ايه؟

- لآ، أنا هنا وزير الداخليه.



تمسك يد المستجوب جاكت بدلته، فى حين وجد نفسه محاطاً بسبعة من خادمى المسجد.

تصعد الأمر لأعلى يد وهو مولانا المُستقر على كرسية، الذى اتخذ فرشه وإسفينه شكل منحنيات وتعرجات جسده بعد كل تلك العقود..

يمسك بالبطاقة الشخصية لذلك الجاسوس الخائن، ولا يهتم بالاسم والصورة والعنوان قدر اهتمامه بخانة المهنة، التى كان على يقين بها منذ أن شرح له عباس الواقف خلف ذلك الشاب المواجه لمولانا.. كل ما دار منذ أن وقعت عليه عينه.. وبالفعل كلمة (صحفى) كانت تزين خانة المهنة، ثم يلقي بها على منضدة أمامه تفصل بينه وبين المتهم..

وكانت أول أسئلته التى جاءت على لسانه بهدوء:

- وانت بقى صحفى فى جورنال ايه؟

علم الصحفى أنه أمام شخص لن يجدى الكذب أو المراوغة معه، لذلك فضل الصراحة لعلها تكون المُنجية:

- النور.

تفاجأ بالسؤال الثانى الذى جاء بابتسامة سخرية على لسان المحقق:

- محمود درغام عارف انك هنا؟

جاءت الإجابة على لسان سائلها بثقة عن جدارة:

- أكيد ميعرفش، ولو عرف هيرفدك..

بص، أنا مش هقولك انت كتبت ايه ولا صورت ايه..

علشان اللى انت كتبت ايه او صورته مش هتعرف تنشره، لا عندك ولا فى اى

جورنال تانى من جرايد البلد كلها

بص يا شاطر انت أد كده..

يضم مولانا إصبعيه السبابة والإبهام نحو بعضهما، ولا يفصل بينهما سوى أقل من سنتيمتر واحد قائلاً:

- فمتحاولش تشطح بخيالك لحاجات اكبر منك..

حاجات ممكن توديك قصاد الشمس مش وراها..

عارف اللي يتحط قصاد الشمس يجرى له ايه..

ذلك كان الهدوء الذى يسبق العاصفة والغضب الذى جاء بهم سؤاله

التالى، الذى زلزل الصحفي..

- يجرى له إيه؟

يجيب وعلى وجهه كل ملامح الرعب:

- يختفى.

بهدهوء ما قبل العاصفة:

- يختفى، ودلوقتى إختفى من قصادى ومشوفش وشك لا انت ولا أى

حد من عيتتك.

وبتلك النبرة المخيفة مرة أخرى:

- مفهوم.

بشفاه مرتعشة وعينين كادتا أن تدمعا:

- مفهوم سعادتك، مفهوم!

\*\*\*

توجب بعد ما حدث، مكالمة محمول لرئيس تحرير ذلك الصحفي لم يجد لها مولانا متسعاً فى وقته إلا فى سيارته، أثناء توجهه لأراضيه الزراعية،



حتى يكون عبرة للآخرين ممن تسول له نفسه حتى الاقتراب من حدود القرية  
المباركة التي يقطن بها.

- أهلا يا محمود بيه.

على الجانب الآخر جاء صوت مألوف من كثرة سماعه بشكل شبه يومي في  
برامج التوك شو، سواء كان ضيفاً أم مقدماً لبرنامج.. جال به أغلب ترددات الناي  
سات وكل ما تغير هو شعار القناة واسم البرنامج، أما مبدأ رئيس التحرير في نفاق أى  
نظام حكم مصر سواء الأسبق أم السابق أم الحالى لم يتغير!

- أهلا يا مولانا إزاي صحة حضرتك، ده شرف كبير لينا مكالمة حضرتك دى.

- إيه يا محمود بيه، إنتو مش عارفين تلموا الصحفيين بتوعكو ولا إيه؟

- خير يا مولانا فى إيه، فى أى حاجة إنتشرت زعلت سيادتك؟

- لأ، بس فى شوية عيال كده بيتنططوا عندى فى البلد والمقام..

إيه يا محمود، مش عارف تسيطر على الناس بتوعك ولا إيه؟

- إزاي يا مولانا، مين جرؤ يعمل حاجه زى دى؟

- أنا مش هشغل بالى بيمين عمل كده يا محمود..

أنا المره دى مش هوصل الموضوع للباشا الكبير، وانت عارف هو ممكن

يعمل إيه..

وموضوع نشر قصة حياة الشيخ عبد الحسيب لسه متحسمتش هتنتشر فى

اى جورنال.

- لا يا مولانا كله إلا حقوق نشر قصة حياة الشيخ عبد الحسيب..

ده أنا بقالى 3 سنين بكلم حضرتك فيها وما صدقت تدينى موافقه مبدئيه..

أرجوك إمسح الموضوع فيا، وأوعد سيادتك إن الموضوع ده مش هيتكرر  
تانى أبدا.

- خلاص، بس تنبيه ليك ولكل زمايلك فى الجرايد التانيه..  
بلغ الجميع إن الصحفى اللى هينزل البلد هنا من غير استئذان..  
مش هيطلع منها..

مفهوم، كلامى للجميع!

اتسعت أرض مولانا لتمتد إلى مدد البصر، لمن ينظر لها من جميع  
الاتجاهات عدا ستة أقدنة هى الأهم فى الحوض كله، حيث تفصله عن طريق  
مهجور غير ممهد يعلم الجميع أنه خلال سنوات قليلة سيكون طريقا عموميا  
سريعا، ورغم محاولات متكررة من وسطاء من طرف مولانا لشرائها من  
مالكها إلا أنها جميعا باءت بالفشل..

بمجرد أن يطل مولانا داخل سيارته يندفع نحوه جرير خادمه الأقدم  
البالغ من العمر خمسة وخمسين عامًا، لم يعرف فيها معنى الراحة، بدليل  
شحوبه والشعر الأبيض الذى لم يدع مجالاً لمنافس غيره فى الشعر الذى  
اختفى الكثير منه عند جانبي مقدمة الشعر، والشمس التى ظلت تلفحه أياما  
وشهورا وأعواما، حتى تحول الجلد الظاهر من ياقة جلبابه المهلهل والسبعة  
الأمامية ولا سيما وجهه، إلى جلد سميك مجعد يغلب عليه الاحمرار  
الشديد، ناهيك عن كفوف يديه وكعوب قدميه التى استقرت بها الشقوق  
الدائمة فى التوسع..

قضى جرير حتى الآن ثلاثين خريفاً فى خدمة مولانا، سواء كان فى الأرض  
عندما كانت لا تتعدى فدائنا واحداً، أم فى المنزل أم حتى فى المسجد..

هو مثال للفلاح المطحون الشاكر الحامد دائما على أى حال وعلى أى ابتلاء، وعلى الرغم من كونه أقدم من التحقق بخدمة مولانا إلا أنه يلقي استهزاءً وسخافات ممن هم أقل منه سنًا وأحدث منه عهدًا فى الخدمة، بسبب طبيته ومسالمتة..  
ينحنى على يد مولانا المطلة من باب سيارته ويقبلها كالمعتاد كلما مر أسبوع أو أكثر دون أن يراه!

- خطوة عزيزة يا مولانا، الحوض كله نور.  
- أخبار الأرض إيه؟  
- زى الفل الزرعه صالبه روحها وأحسن من السنه اللي فاتت.  
- يعنى تستاهل تبقى أعلى من عمول.  
كان مسموحًا لشخص بأقدمية جرير أن يسأل أسئلة ليس من شأن أحد مثله أن يسألها:

- هو فى حد اشترى يا مولانا؟  
- اللي متكلمين عليها كتير..  
شاهين فى أرضه؟  
- ايوه يا مولانا، لسه معدى بعربيته يجى من ساعه كده، أندده لسعادتك؟  
- لا خليك أنا هر وحله.  
- بنفسك؟

يمعن النظر لأرضه متخيلاً قيمتها بعد اكتمالها:  
- أصله عزيز عليا أوى.  
بجوار غرفة من الطين لعلف المواشى دكة خشبية عند مقدمة الأرض المجاورة، يجلس شاهين يباشر أعمال الفلاحة فى أفدنته حين دخل مولانا واستقر بجواره عليها..

شاهين الذى لم يتعد سنه الخمسين عامًا ولم يتعد طوله المائة وخمسة وخمسين سنتيمترًا ذو الجسم الممتلئ والوجه الأسمر المستدير، يعتبر داهية من دواهى الزمن، هو ذلك الفلاح الذى ورث عن والده أحد عشر قيراطًا فى وسط الأراضى الزراعية، حولهم خلال خمسة عشر عامًا إلى ستة أفدنة فى أهم مكان فى القرية بأكملها، وبسببهم أصبح صداعا عرضيا يداعب رأس صاحب البركات من وقت لآخر، وبذلك وجب زيارته بشكل شخصى لينتهى الأمر للأبد..

لذلك لم يبدأ مولانا كلامه بأى ديباجة وفضل المباشرة سريعًا:

- قلت إيه؟

- يا مولانا جنابك بعثلى ناس كثير كلمونى فى الموضوع ده قبل كده وانى كان ردى واحد..

مش هبيع.

- وانى جايلك النهار ده بنفسى.

- أجيبلك م الاخر يا مولانا؟

- ياريت يا شاهين علشان انى مليش طقطان على الكلام الكثير.

- انى يا مولانا لو بعث الارض دى دلوقتى أبقى راجل أهبل..

الأرض دى تمنها بيزيد يوم عن يوم، ولو تمنها النهار ده قرش بعد 10 سنين هتجيب عشره.

- شاهين، الأرض دى تلزمنى.

الأرض دى الناقصه ليا فى الحوض بعد ما اشتريت من كل الملاك!

وبصراحه كده واقفالى زى العقله فى الزور..

- فجيب م الآخر وقولى طلبك ايه .
- منا قولتلك يا مولانا، الارض دى بعد 10 سنين تسوى عشر قروش .
- عايز تبعلى الأرض بقيمتها بعد 10 سنين؟
- يا مولانا الأرض دى بيجيلى ليها زبون كل شهر، وأقل واحد فيهم عارض فى الفدان أد اللى جنابك عايز تدفعه 5 مرات .
- طاب خد بالك بقى يا شاهين علشان من كتر خطّابها بارت .
- يقف مولانا وتتحول نبرته من ترغيب لتهديد:
- وخد بالك من حاجه اهم ..
- إنى جيت لحد عندك وده مبيحصلش كثير ..
- وخد بالك إنك رفضت طلبى ..
- وده عمره ما حصل معايا قبل كده ..
- عدة خطوات بعدها قبضة مولانا كانت تتحكم بمقبض باب سيارته وتفتحه، ثم يتأمل الأرض وكأنما يبلغها رسالة (إلى أن نلتقى)!

\*\*\*

فى مصنع للمنتجات البلاستيكية، بمدينة العاشر من رمضان مراسم استقبال تليق بزيارة أحد وزراء الدولة كانت فى انتظار (القيصر) حين عبر البوابة الرئيسية فى سيارة مرسيدس سى 180 موديل 2007 سوداء اللون زجاج أبوابها الخلفية مغطاة بستائر .

أمام باب مبنى الإدارة ينتظره مدير عام المصنع ويدعى عاصم بلغ من العمر خمسة وخمسين عاماً، وما يليه من مُدراء ورؤساء الأقسام وعند نزوله تنافس







- موردين الخامات يتتملعنوا علينا ويغفلوا الخامات يوم عن التانى بحجة غلو الدولار، وفي نفس الوقت مش قادرين نغلى منتجاتنا بنفس نسب الزيادة دى.  
- إشتري منهم بأى سعر دلوقتى وخزن، وكام شهر واكون استوردت لك من بره.

اللى بعده!

- صُغرهامش الربح مسبلنا مشاكل فى دفع الأجور، ده غير اليومين اللى حضرتك لسه صارفهم لهم دول  
أنا مش عارف هنجيبهم مين.  
- عادى يا عاصم، من هنا لآخر الشهر مفيش حد هيغلط، هيتأخر، هيقصر.

أى حد يعمل حاجه من دى إتلكك له واخصمله اليومين.

- فاضل كده أهم حاجه..

العرب، عرب المنطقه.

- ما لهم؟

- إتسعدوا، بياخدوا 40 ألف جنيه ومش عاجبهم.

- كام؟!

أنا فاكر من كام سنه كانوا بياخدولهم ألف جنيه كانوا بيرقصوا..

40 ألف جنيه من سبع تمن تلاف مصنع..

ما ليهم حق يتسعدوا!

- علشان كده جيبت الشيخ مصطفى عجلان يقابل حضرتك علشان

تتفاهم معاه بنفسك..

استلذمت تلك المقابلة نفساً عميقاً ثم استند بظهره للخلف قائلاً:  
- حضر لى كاس!

\*\*\*

يجلس (القيصر) فى أترية بجانب المكتب وقدماه واحدة تعلو الأخرى، بينما يقف خلف كُرسية عاصم فى حين دخل الشيخ مصطفى عجلان فى جلبابه الأبيض يعلوه الصدري الأسود، ولا سيما رابطة الشال العرباوية تعلو رأسه، قصير القامة ممتلىء الجسم، فى منتصف الأربعينيات من العمر وهو الابن الأكبر للشيخ عجلان أحد شيوخ القبائل قاطنى صحراء مدينة العاشر من رمضان، والتي ما زالت تعيش بالطريقة البدوية دون محاكاة التطور والتمدن.. يُلقى التحية مُنتظراً أن يمد له (القيصر) يده، لكن لم يبد منه غير رد جاف على تلك التحية، مع إشارة له باليد ليجلس..

- أخبار سعادتك إيه وأخبار مولانا؟

هكذا بدأ مصطفى كلامه قبل أن يرد الآخر بتأفف:

- قرفانين، إنت عارف بقى الغلا اللي الدنيا وصلت له..

بس بصراحه أنا لو باخد 40 ألف جنيه من كل مصنع ولا شركة، ولا يهمنى أى حاجه.

يُدرِك الشيخ الغرض من طلبه للزيارة، فيحول نبرته لتكون حادة قائلاً:

- ما احنا ما بناخدش الفلوس دى لله..

إحنا بنحمى بيها مصانعكو ومخازنكو اللي بملايين.

- بتحموا إيه يا راجل؟

مانتوا وقرايكم ورجالتكم مصدر الخطر عليها..

إنتوا لو بعدتوا عنها خلاص بقيت الحاجه فى أمان.

هكذا بدأ (القيصر) فى تعنيفه.

- بس التسعيره دى عليك وعلى غيرك يا باشا.

- عليا وعلى غيرى!

من إمتى اللى بيمشى على غيرى بيمشى عليا؟!

- بعدين ما كل حاجه غليت إشمعنا...

- جرى إيه يا شيخ عجلان ده انتوا كنتوا بتشموا بطن ايديكم كنتوا بتشبعوا

يا راجل.

هكذا قاطعه (القيصر) بغضب ووصلت المشادة لأقصاها..

- ده كان زمان يا باشا، دلوقتى إحنا اللى بنتحكم فى المنطقه كلها وإحنا

اللى بنبيع وبنأجر وبنحمى..

عارف ليه بنعمل كل ده يا بيه..

علشان دى أرضنا وأرض جدودنا، وكل ده بعلم الحكومه ذات نفسها

وبرضاها وبرضى كل صحاب المصانع

عارف ليه..

علشان الكل يعرف إننا نقدر نعمل كتير..

تلك اللهجة التى لم يسبق لأحد أن حدث بها (القيصر) أفقدته صوابه،

وكانت النتيجة أن هرع نحوه ولطمه لطمتين قائلاً:

- إنت بتهددنى يا جربوع يا ابن الكلب؟!

مفاجأة عاصم لذلك الرد فاق الشيخ نفسه، وجعله يهرول ناحيته وبالكد

استطاع أن يمنع أى ردة فعل له، ثم سحبه خارج المكتب، وكانت آخر رساله

من (القيصر) له قبل أن يُغادر المكتب:

- من هنا ورايح كل قرد يلزم شجرته!



## الفصل التاسع

على باب نادى وادى دجلة، بمدينة السادس من أكتوبر كان هناك خبر بالسماح للدخول لاثنتين ليستا من الأعضاء..

عند وصولهم للبين بملايسهم العادية وليس ملايس السباحة.. كان (القيصر) واقفاً على حافة وجسمه فى وضع استعداد للقفز بوضعية سوبر مان، أما توأمه اللاصق به فيجلس عند البار المجاور للبين، يتناول كأس من العصير يشير السباح لرايا فتتجه نحوه، ويقترب تجاهها سابقاً حتى يصل إلى حافة البين ويضرب بيده عليها لتجلس قائلاً:

- Set

فى حين توجهت الأخرى للشاب التى لم تختره بل ما تبقى لها.. اتخذت رايا وضعية الجلوس وظل (القيصر) داخل الماء، وبدأت حديثها بشكوى تصدر منها لأول مرة:

- هو رجب هيفضل لازق لنا فى كل خروجاتنا وقعاتنا؟

- هو شكله منسجم مع الكائنه اللى معاه دى ومصداق يلاقى حد من فصيلته..



بعدين خلاص My Special Car اللي كانت معايا فى أمريكا وصلت  
وهتطلع النهارده من الجمارك ومش هنرتبط بيه فى حاجه تانى.  
- و Your Special Car دى نوعها ايه؟

- Guess What?

\*\*\*

فى ظهر اليوم التالى تقف رايًا تحت العمارة التى تسكن بها فى مصر  
الجديدة، حين شعرت باهتزاز شديد فى زجاج الباب الخاص بيوتيك أسفل  
العمارة، نتيجة للذبذبات الناتجة عن صوت يصم الأذنان من صخب لأغنية  
He Coins Money صادر من سيارة DODGE RAM موديل 2017  
سوداء وزجاج (فيميه) لا يظهر شيئًا بداخلها، تم التعديل بها لتلائم ذوق  
صاحبها حيث تم إضافة أعلى السقف مجموعة من الكشافات المتراسة  
بجانب بعضها، كفيلة للعب مباراة كرة قدم على أضوائها، مع تغيير اتجاه فتح  
البابين الأماميين لأعلى بدلًا من الخارج بالإضافة لزيادة حجم الإطارات أكبر  
من المصمم لها ولا سيما أيضًا حجم (الإكصدام) الأمامى والخلفى..

تخطف السيارة أنظارها ككل من رآوها من المهندسين إلى مصر الجديدة،  
وقبل أن تجمع شتات أفكارها تجد السيارة تصعد على الرصيف بإطارين فقط هما  
الأمامى والخلفى، حتى تصبح فى مواجهة النافذة التى يطل منها السائق ويهبط  
الزجاج الداكن اللون ليغمز لها (القيصر) متسائلًا:

- نفسك تروحي فين؟

وول ما خطر ببالها أن تطلبه من ذلك المارد والسيارة السحرية هو Pho-  
to Session بالسيارة عند الأهرامات..

وبالفعل بعد ساعة واحدة كان (القيصر) يلتقط لها العشرات من الصور داخل وخارج السيارة فى أوضاع مختلفة، وفى الخلفية الهرم الأكبر بالكاميرا خاصتها التى لا تفارق حقيبة يدها..

أثناء التصوير قام المصور بالسؤال:

- يعنى كان لازم تصممى تتصورى عند الهرم بالعريه دلوقتى؟

- وهو أنا هشوف فى حياتى كام عريه زى دى؟!!

توجب تصحيح ذلك الخطأ، فبعد أن وضع الكاميرا ملاصقة لعينه وتأهب للالتقاط الصورة، - واتخذت النجمه وضعية التصوير، أبعد الكاميرا عن عينه وصحح الجملة:

- لأ قصدك هتشوفى كام واحد زى عنده عريه زى دى.

- نوعها ايه العريه دى؟

- دودج رام 2017..

سيلفى بقى.

يقترّب منها ويقف خلفها ويحيطها بذراعه اليسرى، بينما اليمنى تمسك بالكاميرا استعدادا للتصوير، وقبل أن يضغط زر الالتقاط تنظر له متسائلة:

- ودى تمنها كام على كده؟

بالتزامن مع هذا اللقاء كان هناك لقاء آخر لاثنين لم تعنهم إمكاناتهم إلا على جلسة فى أحد كافيهاات مصر الجديدة حيث تسكن مارو أيضاً، وبمصادفة غريبة كانت لتوها تسأل رجب عن سعر السيارة التى فرقتها عن رايا لأول مرة أثناء وجودها فى القاهرة!

وكانت علامات التعجب تغطى ملامحها حين قالت:

- مليون و400 ألف جنيه، عربيه واحده بمليون و400 ألف؟
- ده غير باقى عربياته، والفلل والأراضى..
- والحسابات اللي فى بانكوك وغيرها.
- علشان كده رايها هتموت عليه ومبقيتش حتى بتفكر فى الاتيليه اللي معاده قرب ولا بتجيب سيرته.
- رايها صاحبك متعرفش حاجه عنه، أنا بس اللي اعرف كل خباياه..
- هى بس مبهوره بالكاركتر او الكاريزما مش أكثر.
- وانت؟
- أنا ايه؟
- مفكرتش تستفيد منه او تطلع منه بحاجه؟
- فجرت سذاجتها وجهلها بذلك (القيصر) ضحكاته..
- أمصلح من ورا (القيصر)..
- (القيصر) ده مسمار مقطوم محدش يعرف يطلع منه بنكله الا بمزاجه ولمزاجه..
- عارفه صاحبك دى لو كيفته، ممكن يغرقها فلوس.
- تثيرها تلك الجملة وتجعلها تسرح فى تخيلاتها، فى ما يمكن أن تحققه صديقه الأمس منافسة اليوم من تلك العلاقة!
- ده على كده هى اللي هتتكيف مش هو!
- فى بار أحد الفنادق المحيطة بالهرم يجلس (القيصر) أمام البار مان فى مزاج عكر، مستلقيا بيديه ورأسه على البار ناظرًا للكأسه الموجود أمامه دون كلام..

المزاجية هي الصفة التي تخفى عن كل من يعرفونه، سواء عن قرب أم معرفة سطحية، فتلك الحالة التي يتحول بسببها فجأة إلى النقيض من السعادة إلى الحزن..

حالة اللا شيء الذى لم يستطع الوقوف على مسبباتها أو حتى تفسيرها.. حين ترواده تلك الحالة من فترة لأخرى يعجز عن وصف إحساسه، هل سعيدًا كان أو حزينًا، راغبًا فى النوم أو متيقظًا تمامًا، متعب البدن أو مرتخي العضلات.

تشعر ايا بشيء ما خطأ، ولكن لا تعرف السبب فمنذ دقائق فقط كانت قهقهة ضحكاتهم أثناء دخولهم تلفت أنظار الجميع..

تداعب خصلات شعره بأناملها الدقيقة الباردة متسائلة:

- ما لك؟

- أنا زهقت.

- إحنا لحقنا قعدنا؟!

- مقصدش كده، أنا زهقت من القاهرة، مكملتش شهر وزهقت..

زهقت من مصر كلها، أنا مش عارف إزاي هكمل حياتى هنا.

- وليه تكمل حياتك هنا، ما تكملها فى اى مكان تانى.

- اللى زينا ميقدرش يكمل حياته بره مصر، ولا حتى بره القرية بتاعته.

- وهنعمل ايه علشان الملل ده؟

يقترح عليها أول ما جال بخاطره فورًا:

- ايه رأيك نطلع شرم..



روحتي شرم قبل كده؟

- كثير.

يعتدل في جلسته، ثم بسحبة رقيقة بيده من أسفل ظهرها تقترب منه حتى يشعر بأنفاسها:

- بس شرم مع (القيصر) حاجه تانى.

- هنعمل ايه يعني؟

- هنرتكب الخطايا السبع..

ثم يرطم كأسه بكأسها صائحًا:

- Come On Lets Do It

زاد صمت (القيصر) من رهبة الطريق الصحراوي، عندما اقتربت الساعة من التاسعة مساءً أثناء قيادته متجهًا إلى شرم الشيخ..

ذلك الصمت بسبب سيارة رجب الموجودة خلفه التي لها نفس الوجهة..

تمسك رايا خده بالإبهام والسبابة قائلة:

- انت هتفضل مكشر كده؟

- ما أنا مش عارف ايه لزوم صاحبتك اللي انتي لزقتها لنا في السفريه دى!

- سيزر، أنا فى شغل بينى وبين مارولسه مخلصش، استحملها علشان خاطرى.

- ما وجودها معنا خلانى اجيب زفت رجب، وانا اصلا زهقان من الاتين..

ولا انتي بقى خايفه تيجى معايا لوحدك؟

- وانا هخاف من ايه؟

لم يكن هناك جدوى من العتاب فوجودهم أصبح أمرا واقعا، فقرر

(القيصر) المداعبه بدلًا من العتاب:



- تخافى انك تضعفى قصادى وتستغلى ان احنا لو حدينا وتغررى بيا.
- تميل عليه وتحضن ذراعه الأيمن قائله بابتسامه:
- بصراحه اه.
- يضىء اسم «مولانا» على شاشة iPhone القيصر، فيبتسم ويبدأ مكالمته بالاعتذار:
- سامحنى أنا مقصر معاك، بس انت اللى قولتلى إتبسبط براحتك.
- إنت بكاش.
- يضحك الاثنان، ثم يستأنف الجد:
- واتبسطت ولا لسه؟
- القاهره مفيهاش حاجه تبسط قولت أروح شرم لسه فى الطريق أهو.
- يعنى لما أنا أنوى أنزل القاهره تسافر إنت.
- لو أعرف يا مولانا انك جاي مكنتش إتحركت من مكانى..
- ولا يهملك يا حبيبى إتبسطع الاخر، علشان عايزك تيجيلى بسرعه.
- إنت تؤمر يا مولانا.
- هتنزل فى الفيلا ولا الشاليه..
- ولا عايز تنزل فى فندق أكململك الناس اللى هناك يدلعوك انت واللى معاك.
- طول عمرك صاحب واجب يا مولانا.
- ينظر لرايا قبل أن يقرر:
- هفكر وأبلغك يا مولانا.
- ماشى يا حبيبى، مع ألف سلامه!

## الفصل العاشر

سُلطة مولانا ونفوذه المطلقة لم يكن وراءها العديد من المسؤولين أو رجال الحكومة، إنما هو شخص واحد فضله مولانا على الجميع وفعل كل ما يمكن فعله ليلتقى به ثم ينال ثقته، وبالفعل ظل ذلك الرجل سنداً له منذ أكثر من ثلاثين عامًا وحتى الآن وطيلة تلك السنوات هو العصاة التي يتكئ عليها لتسنده أو يضرب بها لتحميمه..

«الباشا» هو لقبه الذى أطلقه عليه كل من عرفوه فى بداية حياته السياسية حتى التصق به، هو رجل كل العصور بإجماع الناس والنظام والتاريخ.. فى سن السادسة عشرة انضم لحزب الوفد عام 1951 بعدما لمع نجمه بعد إلغاء معاهدة 1936، ولكن سرعان ما انتهت الحياة الحزبية، ولم يجد أمامه سوى هيئة التحرير التى انضم لها عام 1953 ومن بعدها الاتحاد القومى عام 1957، وبعد تخرجه فى كلية الحقوق وفور ظهور الامتداد الطبيعى لتلك الاتحادات وهو الاتحاد الإشتراكى عام 1962 التحق به فى العام نفسه..

هتف باسمهم كثيرًا وخاض مناظرات عديدة مع زملاء الكلية وجيرانه بحى باب الشعيرية مسقط رأسه؛ لإقناعهم بمبادئ تلك الاتحادات التى تصب فى مصلحة مصر والقومية العربية..



ذلك الهتاف لم يكن لتلك المبادئ التي لم يقتنع بها يوماً كأختها القومية، ولا سيما الرئيس عبد الناصر أو حتى ثورة يوليو، بل كان للنظام، للحاكم، أيًا كان اسمه أو اتجاهه..

وبالفعل لم يستدع التعجب في فترة حكم الرئيس السادات ذلك التحول في المبادئ والمفاهيم من الاشتراكية إلى الرأسمالية، ومن القومية العربية إلى السلام مع إسرائيل أو حتى تخليه عن الأفكار اليسارية، ومراجعتها في ظل سطوة الجماعات الإسلامية..

تلك الفترة التي قطع فيها أولى خطواته في طريق المليار ميل حين تولى أولى وظائفه في ديوان محافظة القاهرة..

مع بداية تلك الفترة أثبت جدارته في مختلف الأماكن التي خدم بها سواء مبنى المحافظة أم كموظف بمبنى رئاسة جامعة القاهرة أم كنائب لمحافظة الدقهلية عام 1978..

ومع نهاية النظام الساداتي وبداية النظام المباركي بدأ يتردد اسمه في الأوساط السياسية، وبمنظرة ثابتة استطاع من خلالها التنبؤ بمستقبل الحزب الوطني في عشرات السنين القادمة فبادر بالالتحاق به..

نجح في كل الاختبارات التي تعرض لها، و نفذ كل المهام التي وكلت إليه، وتخلي عن ما تبقى عنده من مبادئ وتحمل سوء المعاملة تارة والإهانات اللفظية تارة أخرى من مرؤوسيه حتى نال الثقة!

ومع أول انتخابات برلمانية في عهد مبارك أصبح نائباً ودخل المطبخ السياسي وأقسم ألا يخرج أبداً..

من جلسة افتتاحية لأخرى، ومن عضو في لجنة إلى رئيس لجنة، حتى تُقل وزنه وبدأ يتردد اسمه في الأوساط العليا والأجهزة السيادية، إلى أن وصل في منتصف التسعينيات إلى منصب نائب رئيس المجلس..

خلال فترة التسعينيات كان من أمهر من يسمون (ترزية القوانين) استطاع في تلك السنوات العشر مع من يسبقونه في تلك الصنعة ومن ألحقوا به، تفصيل أهم القوانين التي رسخت حكم مبارك لنحو ثلاثين عامًا..

وبحلول الألفية الثالثة ترك المجلس نهائيًا وانتقل لسدرة المنتهى، لتوكل له المهمة الأهم لدى الأسرة الحاكمة والنظام بأكمله، وهي مهمة التوريث.. اختفى عن الأنظار تمامًا وأصبح ضيفًا دائمًا على الرئاسة وسُخرت له كل الإمكانيات، وذللت أمامه كل العقبات..

وإن كنت من كبار متابعي السياسة والأحداث في مصر سواء قبل ثورة يناير ومرورًا بها وبعدها أيضًا، فلن يحدث أن وصل لأذائك اسم الباشا قط، وتلك هي براءة الاختراع التي سجلها باسمه في عالم السياسة..

الاحتجاب التام عن الأضواء ووسائل الإعلام من قريب ومن بعيد..

أما القرار المصيري الناتج عن تراكمات لرجل من مواليد 1935 وصاحب خبرة أكثر من خمسين عامًا، في لعبة السياسة جاء عقب انتخابات 2010 أول انتخابات لم يضع نسب تشكيلها من الحزب الوطني والمعارضة كسابقتها من انتخابات 2000 و 2005 ..

لذلك جاءت الفضيحة حيث لم يفز فيها أى من المعارضة، وحينها أدرك أنها النهاية، نهاية تلك الرؤوس الكبيرة..

وفى الأيام الأخيرة من العام نفسه قرر الاعتزال مُبدئياً أسباباً صحية، ولم يترك خلفه ورقة أو إمضاء تدل على أنه مر ذات يوم من أمام قصر الرئاسة، مكتفياً بمليار دولار كان يراها أجراً مستحقاً وعادلاً، لعشر سنوات من التخطيط والتفكير المتواصل لدوله بأكملها (حكومةً وشعباً)!

أما عن مدى نفوذه وحدود إمكاناته الآن بعد اعتزاله وعلى الرغم من عدم كونه أحد أفراد النظام الحالي..

إلا أنه لا يوجد وزارة من الوزارات تخلو من مسئولين كبار بها، لم يكن سبباً فى وجودهم فى تلك المناصب بجانب سخاء يده.

فى مكتبه المطل على النيل، المجاور لمبنى الحزب الوطنى يجلس الباشا يدخن سيجاراً، ومع تزامن دقائق الساعة العاشرة يضع مولانا نفس الملف الذى استلمه من النائب منصور على المكتب ثم حقيبة مليئة بالأموال.

- أذى الملف سيادتك، وأذى الفلوس.

- مستعجل ليه يا أبو هاشم انت لسه واصل والليل لسه طويل.

- نخلص سعادتك الشغل بعد كده براحتنا بقية الليل.

- طول عمرك عملى يا أبو هاشم وده اللى مخلينى متمسك بيك طول

السنين دى.

- وانا عايش بفضل سعادتك.

- انت تستحق يا ابو هاشم، انت من اذكى الناس اللى اتعاملت معاها..

ومن اكثرهم مكر ودهاء..

وده بقى اللى بيسموه خبث الفلاحين.

يضحك الباشا ويرد مولانا على استحياء:

- مقبوله منك يا باشا.
- او عى تزعل، انت عارف ان أنا بقدرك.
- عارف سعادتك.
- انت انصح بكتير من ناس اتعاملت معاهم كان معاهم دكتوراهات.
- الحياه هى اللى بتعلم يا باشا، مش الدكتوراهات ولا الشهادات.
- عندك حق..
- وانت من يوم ما دخلت اللعبة وانا تنبأ تملك بمستقبل حافل، وقولت انك  
مش هتخرج منها الا القبر..
- وهتورثها لسلسالك كله.
- بابتسامه وعين متبجحة:
- هى جت عليا أنا يا باشا، ما البلد كلها متورثه..
- البلد مفهاش وزير ولا رتبه ولا رجل اعمال ولا دكتور فى جامعه ولا  
مسئول كبير، إلا قبل ما يخرج لازم يكون جاب حد يبقى خليفته.
- جاء الرد بقدر أكبر من التبجح:
- ما هو احنا مقعدناش نخدم فى البلد ونحافظ على نظامها وأمنها  
ونكفيها شر الحروب أكثر من أربعين سنه..
- علشان فى الاخر نطلع معاش وناخد 1126 جنيه كل اول شهر..
- ده اقل حاجه ممكن تحصل علشان نبقى خدنا جزء من حقنا..
- والناس اللى فى الشارع اللى نازلين علينا دعاوى ليل ونهار دول، لو اكرت واحد  
مؤمن فيهم كان فى ريع منصب من مناصبنا كان جاب بعديه عيلته كلها..

ده حتى الجماعه اللي قعدت تشتكى من الظلم والفساد 80 سنه يوم ما مسكت اتلاهفواع السلطه زى المساعير..

أنا نفسى أى حد فى البلد دى قبل ما يتكلم على رجل اعمال فاسد ولا مسئول بيستخدم سلطته، يحط نفسه مكانه

ويشوف اذا كان هيفضل متمسك بمبادئه ولا هيبقى أقدر منه..

كل واحد بيتكلم من منطلق وجهة نظره، ويقعد يحلل وينظر وهو ميعرفش اى حاجه عن البلد..

ولا حتى عارف يمشى بيته، ومراته هى اللي ماسكه مصروف البيت وممشياه هو وولاده.

- عندك حق يا باشا.

- ودلوقتي واقفين لناع الوحده كل ما نفكر نعمل حاجه، ويتظاهرو لنا ويعطلوا البلد..

وفى الاخر برضه بنعمل اللي احنا عايزينه..

مبينو بناش بس غير وجع الدماغ والدوشه.

- الناس مش عارفه مصلحتها يا باشا، علشان كده طول عمرى مقتنع ان اللي فاهم يسوق، واللى مش فاهم لازم يتساق.

يتقلان لجلسه جانبية فى صالون بجانب المكتب بناءً على طلب الباشا، الذى أحضر زجاجة ويسكى وملاً كأسين..

- اشرب يا ابوهاشم، ولا انت مبطل اليومين دول؟

- الحقيقه أنا مبطل بقالى سنتين.

- الإزازه دى عمرها أكثر من 50 سنه، مبطلعهاش غير للحبايب بس.



- يرفع مولانا الكأس أمامه وينظر له بتقدير الجواهر جى للألماس الحر..  
 - ياااااااااااه.
- اشرب بس على خفيف مدام مبطل بقالك فتره.  
 بعد أول رشفه يستأنف مولانا باقى طلباته:
- فاضل يا معالى الباشا طلبين..  
 طلب بسيط، وطلب مهم جداً بالنسبالي.  
 - ابدأ بالطلب البسيط.  
 - عايز كوبرى فى بلدنا.  
 يثير ذلك الطلب الغريب والغير متوقع استغراب الباشا.
- كوبرى ايه يا أبو هاشم اللي عايزه فى بلدكو، هتعملو بيه ايه انت فى حد  
 فى بلدك لاقى ياكل علشان يشتري عربيه،  
 بعدين هو احنا عارفين نعمل كبارى فى المدن لما هنعمل فى القرى.
- اسمعنى بس سعادتك، أنا مش عايز كوبرى يعنى كوبرى..  
 أنا عايز بس البدء فى اعمال كوبرى فى مكان معين فى البلد..  
 شويه تكسير وتخيط ويرموا شويه خشب ويعملوا دوشه بس..  
 مش عايز أكثر من كده.  
 بابتسامه داهية عجوز:  
 - فهمتك..
- بس الموضوع هيجتاج رش كثير لزوم الامر بتاع بنا الكوبرى ونقل شويه  
 معدات واجور.
- كل ده سعادتك حسابه عندى وبزياده.

- ده بالنسبه للرجال، بالنسبه ليا انا؟
- تظهر ملامح القلق على وجهه لثوان حتى سمع المطلوب:
- 10٪ من تمن الأرض الحقيقى مش اللى هتشتريها بيه.
- موافق.
- والطلب المهم؟
- المولد السنه دى.
- ما له؟
- عايزه سعادتك ييقى على أعلى مستوى، ومدعو فيه اكبر الشخصيات  
جوه مصر وفى الخليج كمان..
- عايزه السنه دى ييقى حاجه كده ولا مراسم تنصيب رئيس جمهوريه.
- بس ده هيكلفك كتير اوى، ده غير الاحتياطات الامنيه.
- الاحتياطات الامنيه ضبطتها مع مدير الامن، ده غير شركات الامن  
الخاصه اللى هجيبها برضه
- وبالنسبه للتكاليف أنا رقتى سداده..
- بس اهم حاجه عندى المدعويين، هو ده اللى أنا طالبه من سيادتك..
- سيادتك معارفك جوه مصر وبره مصر مفيش اكر منهم..
- أعزم سيادتك الى تقدر عليه سياسين أدباء وزرا فنانين رجال اعمال  
سفراء...
- يقاطعه الباشا لاستيعابه الأمر دون الحاجه لتجويد من الطالب:
- مليون دولار.
- موافق.

بالكاد تصل رجل مولانا إلى سيارته بعدما زاد للكأس الأولى كأسين مماثلين.  
تنتقل السيارة بينما يجلس في الخلف ساندًا رأسه للخلف، ونظره مثبت  
في نقطة واحدة في الخارج دون أن يرمش..  
بعد دقائق يتناقل جفناه ويتعدى وزنهما وزن فيل إفريقي حتى خلدا إلى النوم،  
ذلك قبل أن تمر بجواره سيارة ترحيلات فارغة كانت آخر ما طُبع في خياله.

\*\*\*

يهول الشيخ عبد الحسيب من باب المركز التابع له القرية، متعكزًا على  
عطية بعدما أخبره بما حدث لولده  
يستغفر ويحوقل ويردد:  
- اللهم إني أعوذ بك من ساعة السوء ويوم السوء وليلة السوء.  
بعد صعودهم للدور العلوى يشير له عطية تجاه مكتب:  
- اهو مكتب الضابط يا سيدنا، بس متأخذنيش أنا مش هقدر أدخل معاك  
ليقفش فيا تانى.

ينصرف عطيه ويدلف الشيخ عبد الحسيب لمكتب ضابط الكمين..  
داخل المكتب يقف مُنكس الرأس، بينما يجلس الضابط مُتكئًا على مسند  
الكرسى ناظرًا له باحتقار..  
يُطرق الباب ويدخل مولانا بصحبة عسكري وفي إحدى يديه كلابش،  
فيتفاجأ بوجود والده..  
- أهو ابنك اللي معرفتش تربيته..  
وعلشان قلة التربية والأنعره اللي هو فيها دى هو هيشرفنا شويه لحد ما  
يتعلم الأدب.



ثم يقف ويتجه إلى مولانا ممسكًا بملابسه قائلاً:

- أنا هلففك مديريات مصر كلها كعب داير لحد ما تتعلم الأدب وتتعلم  
إزاي تكلم أسيادك.

ظلت تلك الكلمات تتردد دون توقف في آذان مولانا طيلة ثمانية  
وعشرين يومًا هي المدة التي استغرقها في (الكعب الداير) والذي لم يخل  
يومًا من الإهانة، كالجذب والدفع أو السب والقذف بالإضافة لساعات نوم  
محدودة، في الزنازين ولقيمات من الطعام يتقاسمها مع أى من رفقاء تلك  
الزنازين نظرًا لإفلاسه التام.

بعد أن تخطت الساعة الحادية عشرة ليلاً، وختل الحوارى والأزقة من  
المارة جميعًا تسللت أقدام مولانا إلى بيته وطرقت يده الباب طرقات معلومة  
لآذان والده فاستدعت لهفته ودموعه معًا..

وما أن فتح الباب حتى تفاجأ بحالة ابنه البالية ووجهه الشاحب وذقنه التي  
تخطت الستيمتر، ناهيك عن الأرق الذي كاد أن يغلق جفونه المتورمة عطشًا للنوم..  
يحضنه بلهفة أب عاد إليه طفله المفقود بعد سنوات:

- حمدا لله على سلامتك يا أبو هاشم حمدا لله على سلامتك يا ابني.

لكن لم يصدر من مولانا ردة فعل لا قولية ولا فعلية، فلم تتحرك يديه  
لتلتف حول والده حتى..

يدخل مولانا متجهًا إلى غرفته فيغلق والده الباب، ويتجه خلفه وفي  
وسط البيت يضع الشيخ عبد الحسيب يده على كتف قرّة عينه في حنان قائلاً:  
- إحمد ربنا يا ابني على كل شىء وقول الحمد لله.

تتابه حاله هستيرية فيصرخ منهارًا والدموع تفيض من عينيه:



- أقول الحمد لله على ايه، ده أنا من يوم ما اتولدت ما شوفتش حاجه  
أحمد ربنا عليها..

من يوم ما اتولدت ما شوفتش غير الفقر والحرمان والإهانه من اللى  
يسوى واللى ما يسواش..

أنا شوفت اللى محدش شافه واستحملت اللى محدش يستحمله..  
انت مش طول عمرك تقول: (من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من  
حيث لا يحتسب)،

قولى مخرّجناش ليه من المصيبة اللى كنا فيها، وفين الرزق ده؟

- يا بنى الرزق مش فلوس وبس..

الرزق صحه وعيال وعمر وطاعه وحمد وستر.

- طاب أنا وبسكر وبلعب قمار وعمرى ما ركعتها..

إنما انت ليه فى العيشه الهباب دى؟

- يا ابنى ربنا سبحانه وتعالى بيقول:

(من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا  
نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب)

وانا مش عايز حاجه من الدنيا غير إنى أطلع منها خفيف.

- أنا بقى عايز حرث الدنيا كله.

ثوان من الصمت قبل أن ينهى والده الحوار بهدوء:

- يبقى ربنا هيدي هولك..

بس ساعتها متسألوش عن حاجه فى الآخره.

يتجه الثائر إلى غرفته ويغلق بابها بعنف نتج عنه صوت كان كافيًا لإيقاظ أهالي قريته جميعًا، وهزة في الجدران كفيلة لتهدم كتلة الطين التي تؤويهم.

\*\*\*

يستيقظ مولانا في سيارته على صوت غلق الباب في الكابوس الذى راوده خلال عودته ..

يعبث الصداع برأسه وتبهت الرؤية أمامه بسبب بنت الخمسين عامًا التي نال منها، وأدرك وصوله حين وقفت السيارة ونزل عباس وفتح بابه قائلاً:  
- حمدًا لله على السلامة يا مولانا.

على غير العادة يمد يده طالبًا مساعدة عباس فى النزول، وبرغم تجاوز الساعة الثانية عشرة بقليل إلا أنه ما زال بالجوار بعض المريرين .. ما إن رأوا مولانا حتى تهافتوا عليه ليقبلوا يده ..

تقدم مولانا خطوة وأخرى نحو باب المنزل وفى الثالثة، كادت أن تخونه قدمه لولا تدخل عباس فى الوقت المناسب فتعكز عليه مترنحًا حتى دخل من بوابة المنزل الخارجية ..

أثار ذلك المنظر فضول أحد طالبي البركة فسأل عباس:

- هو مولانا ما له؟

فكانت الإجابة على غير المتوقع وبسرعة بديهية يُحسد عليها:

- أصل مولانا شارب من خمر الجنه!

فتعلو صيحتهم كصيحات مشجعين أحرز فريقهم النصر فى الدقيقة الأخيرة:

- الله أكبر، ربنا يرزقنا مرافقتك فى الجنه يا مولانا، إدعيلنا يا مولانا.



## الفصل الحادى عشر

تحت أشعة الشمس ينام (القيصر) على الشيزلونج أمام البحر مرتديا (شورت أسود، تى شيرت كت أبيض، كوتشى أبيض، نظارة شمس)..

يأتى رجب ويجلس على الشيزلونج المجاور له، يحاول تهدئة الجو المتوتر بينهما فيضربه بيده على فخذه قائلا:

- ايه يا بوبو، ناسى رجب انت الايام دى.

جاء الرد ببرود دون أن يلتفت له حتى:

- ناسيك ليه، ما انت معايا اهو فى كل حته زى ضلى.

- شكلها كده من ورا قلبك.

- فعلا من ورا قلبى.

يكظم رجب غيظه ويحاول معاتبته قائلا:

- كده يا صاحبى مكنش ال...

يقاطعه (القيصر) قبل أن يسمع باقى كلامه الغير مهم له على الإطلاق:

- بقولك ايه، إسحب نفسك كده بالعقل علشان رايأ جايه دلوقتى وعاييز أقعد أنا وهى لوحدنا.



- للدرجة دي يا صاحبي؟
- تعلو نبرة الصوت وبحدة أحرجه:
- إنجز نفسك بقى علشان جايه دلوقتي..
- بدل ما تيجي وأهتك عليك قصاها وهيبقى شكلك زى الأندر وير.
- يقف رجب ويلقى بأخر كلماته قبل أن ينصرف:
- وما له يا صاحبي، ما احنا في مكانك وتحت أمرك.
- تودع عين (القيصر) رجب الراحل، وتستقبل رايا القادمة مرتدية (بكينى أسود، نظاره شمس ذات إطارات بيضاء، وحول وسطها سكارف)..

### - What Acougar

ذلك كان وصف (القيصر) لتلك الطلة الجذابة..

تصل وتجلس بجواره على الشيزلونج متسائلة:

- هو رجب مشى ليه؟

- راح عند السور يرفع رجليه.

- ايه؟

يرفع (القيصر) نظارته ويتأملها:

- بترفع النظارة ليه؟

- علشان أقولك رأيى فى المايوه.

- وايه رأيك؟

- عادى.

- عادى!

- اه عادى، فى موديل تانى نفسى اشوفه عليكى.



- عامل ازای؟
- مایوه تلات قطع.
- تلات قطع! تلات قطع إزای یعنی؟
- طاقیه ونضاره وشبشب.
- رُفع أحد حاجيها لا إرادياً قائلة:
- بس؟!
- يومى (القيصر) رأسه بنعم مما أثار ضحكاتها قائلة:

### - You Are Anaughty Boy

يتحرك ويجلس بجوارها قائلاً:

### - Im A Dirty Devil

ثم يقترب منها ويمسك يدها:

- ايه رأيك لو اجييلك بونبونايه وامسك ايدك؟
- تومىء رأسها بنعم.
- طيب ايه رأيك لو اجييلك واحده شوكولاه وأحضنك؟
- موافقه أخرى بهزة رأس.
- طيب ايه رأيك لو اجييلك قطعه جاتوه وأبوسك بوسه؟
- تعطيه موافقتها الأخيرة.
- طيب ايه رأيك لو أجبييلك...
- كثرة طلباته استوجبت مقاطعتها له قائلة:
- دخيلك سيزر بدك تجيلى السكر قبل ما تنام معايا.
- ينفجرا ضحكاً إلى أن يأتى أحد عاملى الفندق ويخبر (القيصر):
- اليخت جاهز يا فندم.



لا يناله رد سوى إشارة يد بمعنى (روح انت).

تتسائل الحسناء:

- انت عندك يخت؟

- Yeah، احسن يخت فى شرم كلها.

يقترّب منها ببطء ليقبلها فتظهر مارو فى ذلك التوقيت السيئ وتلقى التحية:

- صباح الخير.

- صباح الخير.

هكذا ردت صديقتها فقط.

- أمال رجب فىن؟

بسرعة بديهة وخفة ظل وسخافة مجتمعين كان رد (القيصر):

- فك السلسلة وجرى.

بالكاد تكتم رايا ضحكاتهما وتنظر فى الجهة الأخرى حتى تخفى ملامح وجهها المرتعشة من أثر كبح جماح الضحكات، أما مارو فكان أقصى ما استطاعت أن تظهره من غضب هو أن تضرب بقدمها الأرض، مع زفير أحر من درجة حرارة الجو التي تجاوزت الـ 38 درجة مئوية!

يسير الثنائيان على مشايه طويلة يرسو فى نهايتها اليخوت والنبشات..

القيصر فى المقدمة يحيط وسط رايا بذراعه، وخلفهم بما يزيد عن

خمسین متراً الثنائى الآخر..

يسبقها (القيصر) إلى اليخت ويستلمه جاهزاً للانطلاق من الشاب

الموكل له طوال العام..

يشير لها لتأتى، ثم تصعد بمساعدة ذلك الشاب الصعيدي، الأسمر اللون

الذى نزل من اليخت وحل حبل اليخت المعقود بالمرسى..

يظل (القيصر) فى انتظار البقية حتى أتوا وقبل أن يمد رجب قدمه ليصعد  
ينطلق القيصر، وبينما هو يضحك تمسك به ايا لينتظرهم..  
يقف رجب ومارو على حافة المشاية وينظران للقيصر، وهو يتعد وعلى  
وجههما كل معانى الغضب الممزوج بالحقد.

فى وسط البحر وزرقة المياه تحيط بهم من كل اتجاه وعلى أنغام أغنية  
Danza Kuduro يرقصان عند مقدمة اليخت وبحوزتهم زجاجتان Stella  
Artois، وفى نهاية الرقصة يحملها بين يديه وهى مُتتشية من السعادة!

\*\*\*

زجاجة Vodka فى بار القرية اعتبرها رجب هى الحل لتجاوز ونسيان تلك  
الإهانات المتتالية، أما مارو فاعتبرتها وسيلة لرد تلك الإهانات حين أجبرت  
رجب على الشرب أكثر من طاقته وبدأت فى استفزاز رجولته.

- وبعدين فى صاحبك ده، هنفضل سايبينه يهيننا كده؟

- واحنا نقدر نعمله إيه؟

- نقدر نعمله كثير.

- كثير! يا بنتى (القيصر) ده محدش فى البلد دى كلها يقدر يعمله حاجه..

ده عنده جد اللى يفكر بس، يفكر يمسه يخفيه من الدنيا كلها لو هو مين.

- مفيش حد ملوش حل.

- سيبك من كل الكلام ده.

لم تساعد الفودكا فى استفزاز رجولته فى الرد على إهانات صاحبه، بل  
خلقت له رغبة عارمة فى أن يجامع مارو التى تحسس فخذها أثناء جلوسها  
بجواره على البار.



- أنا عايزك انتى .

خطرت لها أن تستغل تلك الرغبة لصالحها، فُتبعده يده قائلة:

- مش هتلمسنى غير لما ننتقم من صاحبك على اللى بيعمله معانا.  
وبعدها..

تقترب من أذنه وتهمس:

- همتعك متعة السنين.

تجز أسنانه من فرط الشهوة، ثم يفرغ الكأس فى جوفه جملة واحدة.

\*\*\*

فى المساء تجلس رايا أمام المرأة فى الشاليه الخاص بها المجاور لشاليه  
(القيصر) ولا يفصل بينهما سوى سور من الأشجار المقلمة بدقة لا يتعدى  
ارتفاعها المتر، والاثان لهما حماما سباحة أمامهما تراهما من خلال باب  
الشاليه الزجاجى الجرار، الذى يمر قاطنه من خلاله سواء لحوض السباحة  
أو البحر المطل عليه الشاليه!

بعد الفستان السواريه الأزرق الذى يفصل بينه وبين الركبة شبر، تنهى رايا  
أناقته برش البرفان الفرنسى ذى الخمسمائة دولار الخاص بالسهرات المهمة..  
تدخل عليها مارو فتظاهر بالانشغال قبل أن تسألها مارو:

- انتى خارجه؟

تنظر لها رايا فى المرأة وتجيب وهى تضع الرتوش الأخيرة على مكياجها:

- اه، خارجه أنا وسيزر رايحين حفلة كانوا بيععوا التيكس بتاعتها على  
البيتش النهار ده.



- لو حدو كو؟  
- للأسف سيزر ملحقش غير اخر تيكيتين بس.  
- مممممم، مش ملاحظه يا رايا ان (القيصر) ده اخد منك وقت وحيز كبير من حياتك..

انتى عمرك ما عملتى كده مع اى حد من اللى قبله، اשמعنى ده؟  
تقف رايا لها ثم تقترب منها لتكون لحظه صراحة يخرج فيها الجميع ما يكتمه:  
- مارو، الواحده مننا ممكن تصادف فى حياتها كام واحد زى (القيصر) ده؟  
- الاغنيا كثير.

- مبتكلمش على الغنا بس، أنا بتكلم على كل حاجه..  
الاستايل، الدماغ، الشخصيه، السلطه، السيطره، الصحه..  
أنا فعلا عمرى ما عملت كده مع حد قبله، كلهم كانوا هما اللى بيجوا  
يركعوا تحت رجلى  
عارفه ليه..

علشان اللى تلاقيه غنى، تلاقيه شخصيته زباله وستايله يقرف..  
واللى تلاقيه عنده سلطه ونفوذ، تلاقيه عجوز وسكتته شمال..  
واللى تلاقيه صحته حلوه، تلاقيه محللتوش حاجه..

I Don't Think So  
انما كل ده فى راجل واحد  
وانتى لو كنتى مكانى وكان (القيصر) أعجب بيكى انتى..  
مكتيش عرفتينى تانى..

لكن أنا أجدع منك، وجاياكى معايا فى كل حته..



فمتجيش تعميليلي فيها دور المظلومه اللي صاحبتهما جايه عليها..  
ثم تنصرف رايا، وتكتب مارو كلمة النهاية لتلك الصداقة، لكن ليس قبل أن  
تدفع رايا ثمن كل تلك الإهانات التي تعرضت لها على يدها في تلك الفترة، رغم  
ما قدمت لها من خدمات منذ بداية صداقتهم معاً!

في الشاليه المجاور لم يتغير الوضع كثيراً فقد قاطع رجب (القيصر) بعدما لبس  
بنطال بدلته وقميصه الحرير الأسود، الذي لم يعلق له سوى اثنين من أزراره فقط  
وترك جلد صدره لمداعبة هواء البحر، وما زال حافي القدمين مرتخياً على شيزلونج  
وأمامه رجب مستنداً على كرسي ومتحدثاً هو الآخر في نفس اسطوانة العتاب، من  
دون اهتمام من الشخص الموجه له الكلام، وبدخول رايا ينقطع عن الكلام وتبدأ هي:

- انت لسه ملبستش؟

يشير لها على كنبه مجاورة له قائلاً:

- اقعدي لسه بدرى.

فتجلس ويتجه للبار الصغير الموجود بالشاليه ويحضر زجاجة ويسكي  
Chivas Regal وكأسين ويضعهما أمامهما على منضدة صغيرة ويملاً أول  
كأسين ويسلمها خاصتها، فتعترض بصوتها الرقيق:

- مش بدرى على الشرب؟

يومئ رأسه بمعنى (لا عليك) قائلاً:

- ده تسخين بس.

توافق وتأخذ نصيبها فهي منذ أن لاقته لم يرد على لسانها كلمة لا أمامه،  
فيحيها قائلاً:

- Cheers

- Cheers

ثم تلاطم الكؤوس المشهور التي طلت مارو لحظتها دون أن يعيرها أحد اهتماما، غير الشخص الجالس منذ قليل ولم يعره أحد اهتماما كذلك، وبدون إزعاج وكأنهما غير موجودين تتجه مع رفيقها المهمش للجلوس ع البار، وإن لم يستطيعا مباراتهما فى الحياة أو المستوى المادى والاجتماعى فعلى الأقل يباريهما فى السكر. بعد نصف الساعة وبالنظر لزجاجة الويسكى التي راح ما يقرب من نصفها، بات من الواضح أنهم لن يذهبوا لأى مكان بل أنهم لن يبرحوا حتى تلك الكنبه التي استلقت عليها رايا وخدها مستقر على صدر (القيصر) العارى صاحب الأرجل الممددة على المنضدة الصغيرة التي أمامه..

وكالعاده ترتخى الأعصاب ويشرد الذهن، ويفتت الفكر ويحل محلله أية هواجس جدية تارة وهزلية تارة أخرى..

وكانت الهواجس تلك المرة هزلية حيث سألته رايا

- انت عرفت ستات كثير؟

- أنا عرفت ستات بعدد شعـــــــــر دقنى.

- يااااه.

- جربت كل أنواع الستات..

Milf، Black، Blond، Bbw

حتى ال Granny معتقتوش هههههههه..

كل حاجه جربتها.

- كل حاجه؟

- كل حاجه.

تردد سؤالها مبتسمة وبسوء نية:

- كل حاجه؟



يفهم مقصدها وسوء نيتها التي تشير للعلاقات المثلية فيجيبها:

- ما عدا اللي فى بالك ..

دى بقى اللي بيعملها رجب .

يضحكان بشدة حتى أثاروا غضب رجب لأول مرة وقرر الإفصاح عن غضبه:

- أنا برضه، أنا برضه اللي الواد المرخى كان هيموت عليا .

تستفسر من (القيصر) عن الكلام:

- مين اللي بيقول عليه ده؟

- سيبك منه، رجب ده GAP

هكذا أجابها .

لتسائل مرة أخرى عن معنى كلمته:

يعنى ايه؟

- يعني Gay And Proud

علت ضحكاتهم عن المرة السابقة، مما زاد غضب متلقى تلك الإهانة .

- طاب لزومه ايه الغلط ده، انت ترضى ان أنا اغلط فيك؟

تتحول ضحكات (القيصر) لانفعال شديد دفع بسببه رايا، وانتفض من

مكانه وأسرع ناحية رجب وشفعه على وجهه قائلا:

- تغلط فمين يا ابن الكلب يا واطى؟

ثم يزيد العقاب بركلة قدم قائلا:

- تغلط فى مين يا خدام؟

- طاب لزومه ايه كده؟

- لما ضربتك بإيديا رجليا زعلت .

لا يبدي رجب أيًا من ردود الأفعال من هول المفاجأة، ورد الفعل الغير متوقع، فيكتفى بالانصراف غاضبا وخلفه مارو

تفعل رايا بسبب ما وصل إليه الأمر دون مبرر.

- لزومه ايه اللي حصل ده يا سيزر؟

بطريقة عصبية لم ترها من قيصرها قبل ذلك.

- ايه هو اللي لزومه ايه، عايزه خدام زى ده يردع (القيصر) وميتضربش؟

- ده صاحبك.

بصوت عال كفيل ليصل خارج القرية على الأقل قال صائحًا:

- وانا (القيصر).

ثم تنصرف هي للساليه الخاص بها فى غضب.

تتنافس دموع رجب مع سخونة الرمال المنبسطة تحته، وغزارة ماء البحر

المستقر أمامه..

تظهر خلفه مارو ومحاولة مواساته بالطبطبة على كتفه، فينظر لها مستنجدًا بها..

- قوليلي نقدر نعمله ايه؟

- طيب خد اضرب دى.

تخرج تذكرة هيروين كانت كامنة لتوها فى جيب بنطالها الخلفى ثم

تعطيها له..

- جيبتها منين دى؟

- من واد ديلر قابلته هنا.

يحولها لسطر على ظهر يده ويستنشقها فى جزء من الثانية ويستنشى وهو

مغمض العينين، وتبدأ هي فى وساوسها له قائلة:

- ركز للى هقولهولك كويس.



## الفصل الثاني عشر

فى شاليه رايا تجلس مرة أخرى أمام مرآتها بعين دامعة، تنهى كل ما ظلت  
تعدّه لأكثر من نصف ساعة، فنزعت أفراطها ثم تأهبت لإزالة مكياجها لحظة  
دخول مارو التى سألتها:

- انتى بتعيّطى؟

تلتقط رايا بعض المنادى من أمامها بسرعة وتبدأ بمسح عينيها ثم بررت لها:

- بعيط ايه، أنا بمسح الميك أب اللى ساح.

بدأت مارو فى استفزازها:

- صدقيني ما يستهلش اللى بتعمليه فى نفسك ده.

- الموضوع انتهى يا مارو ومش عايزه أتكلم فيه تانى.

هكذا سريعاً قاطعتها رايا.

- طيب خلاص Calm Down

تحضر مارو كوبين من الزجاج ثم تتجه للثلاجة الصغيرة، الساكنة فى  
ركن الشاليه وتضعهما فوقها وتخرج منها علبة لعصير مانجو وتملأهما، وفى  
لمح البصر وبخفة يد تُسقط حبة مُخدر فى كوب رايا وتحمل الاثنتان وتعود  
لرايا لتعطيها كوبها.

- اشربي العصير ده يهديكى .
- مليش نفس لحاجه .
- تمد يدها بالكوب بإصرار:
- اشربي بس علشان خاطرى، هيهديكى .
- تأخذها رايًا وترشف رشفتين لتهي ذلك الجدال وتستريح، تجلس مارو بجوارها لتكمل باقى مراحل الاستفزاز:
- راجل راح يجى الف غيره .
- مارو، قلت مش عايزه اتكلم فى الموضوع ده تانى .
- خلاص خلاص، انتى عايزه ايه دلوقتى؟
- عايزة أرجع لبنان .
- لبنان! للدرجة دى، والشغل اللى بينا؟
- فى ستين داهية الشغل .
- كمان؟
- عندك مانع؟
- لأ معنديش، تحت أمرك .
- بدأت أعراض المخدر تظهر عليها بعد أن أنهت نصف الكوب حيث تتأقل اللسان وتشوشت الرؤية، وأكملت النصف الآخر بعدما أمسكت مارو بيدها وأسقتها ما تبقى ..
- تتركها وتتجه للباب الزجاجى وتشير لرجب فيأتى مهمس الصوت:
- اتخدرت؟
- ايوه، خدها على السرير .



يقوم بحملها للسرير بعد أن أغلقت مارو الباب الزجاجى الجرار بالمفتاح ثم الستائر، وعدمت الرؤية من الخارج وحرمت الشاليه من إضاءته إلا من الأباجورة الملاصقة للسرير..

تنام رايا على السرير وبجوارها رجب فى حين أخرجت مارو هاتفها المحمول لتبدأ فى تصويرها، فى أحضان رجب فى كل الأوضاع المخلة الممكنة..  
بدأ رجب سائلا:

- هتعملى ايه بالظبط؟

- هصوركو شوية صور الأول، بعد كده هصور لكو فيديو.

- بس مش عايز وشى يظهر خالص.

- متخافش أنا بعرف اصوّر كويس جدا.

يلتفت رجب ويجعل وجهه مواجهًا لرايا وظهره للكاميرا، حتى لا تظهر معالمه ثم يضمها لحضنه.

بعد حمام بارد لتهدئة الأعصاب يقف (القيصر) أمام المرأة يلبس جاكيت بدلتة السواريه، قبل أن تقع عينه على زهرية الورد الموجودة على يساره، فيستخلص أجملهم ذات اللون الأحمر ثم يتجه لشاليه رايا ليصالحها ويذهب للحفلة ويدركا ما تبقى منها..

تطور الحال فى الجوار بعد أن تنازل رجب عن قميصه، وزاد قصر فستان رايا شبرًا على قصره حتى وصل إلى آخر منطقة البطن..

مع فلاش آخر صورة تتحرك رايا قليلا وهى فى أقل درجات الوعي، فيتفاجأ حاضنها:

- دى بتتحرك.



- ايوه أنا عايزاها تتحرك وتتكلم علشان الفيديو بيان طبيعي، مياش انها متخدره.

- اعمل ايه دلوقتي؟

- البس قميصك علشان أبدأ اصوركو فيديو.

فى الخارج يقف (القيصر) ممسكاً مقبض الباب محاولاً فتحه دون جدوى،  
فينظر من الزجاج ليرى أى شىء وبسبب الستائر وظلام المكان تبوء تلك المحاولة  
بالفشل أيضاً، وذلك ما أثار شكوكه حتى قام بأخر محاولاته وطرق على الباب..

ينتفض رجب فرغاً:

- يا نهار اسود القيصر، ايه اللي جابه دلوقتي؟

- اسكت كأن مفيش حد هنا.

هكذا حاولت مارو تهدئته قبل أن يشير لملاحظه مهمة:

- طيب ما هو ممكن يرن عليها.

- اقفل موبايها بسرعة.

يهم ليحضر هاتفها فيظل يبحث هنا وهناك دون تركيز ولا يقع عليه نظره،  
إلا حينما أضاء باسم CESAR وانفجر صوته فهورول مسرعاً وحوله لصامت  
وأغلقه بعد أن انتهت الرنة..

يتساءل (القيصر) فى الخارج إن كان سمع صوت هاتفها فعلاً أم كان يهياً له..

فيقطع الشك باليقين ويقترّب من الباب ويصيح باسم رايا لعله يلتقط أى  
رد، وعلى الرغم من غثيان رايا، لكنها تدرك الصوت وتحاول قدر المستطاع  
أن ترد، وبعد أن تلفظت بشطر كلمة يسرع إليها رجب ويغلق فيها لمدة دقيقة  
ولم يتركها إلا بعد أن تأكد من رحيل (القيصر) الذى سمع لتوه أن الهاتف  
الذى طلبه ربما يكون مغلقاً أو غير متاح..

تهمس مارو متعجلة:

- يلا بسرعه علشان نلحق نصور كام دقيقة.

تضغط على زر التوقف بعدما أكملت الدقيقة الخامسة، على عجل من أمرهم بسببه لم يتمكنوا من تجريد رايا من ملابسها بالكامل وإقامة علاقة كاملة واكتفوا برفع فستانها قدر المستطاع وفتح (السوسته) الخلفية، واختلاس بعض القبلات والأحضان وباقي الوقت احتكاك بالملابس، فرجب لم يتخل إلا عن قميصه فقط وخشى أن يتنازل عن أكثر من ذلك..

فجأة يزداد ضوء الغرفة الخافت بضوء هاتف آخر، فيلتفت الاثنان خلال غمضة عين ويجدان أمامهم (القيصر) الذى توجه للاستقبال وتأكد من عدم خروج رايا من القرية وأحضر مفتاحًا آخر للغرفة دخل بواسطته..

يقع الهاتف من يدها ويتجمد الدم داخل عروقهما وارتفعت دقات قلبهما، حتى أوشك على الانفجار حتى تمنيا لو كان شبحًا أو أضغاث أحلام.

## - I Said You Sons Of Bitches

تلك كانت كلماته التى أطلقها قبل أن يتحول لثور جريح هائج، ويصفعها على وجهها أربعة صفعات كن كفيلات بأن تهوى على الأرض وتضطدم رأسها بكرسى وتنزف بسبب جرح قطعى بها..

ثم يأتى الدور على رجب الذى حاول الهرب، لكنه نال ركلة من الخلف أسقطته زاحفًا نال بعدها عددا لا بأس به من اللطمات واللكمات والركلات من الشاليه وصولا لحمام السباحة بالخارج، وانتهت جميعًا بركلة فى منتصف بطنه هوى بسببها فى الماء.. يعود للشاليه مرة أخرى ويشعل الإضاءة.. حيث بدأت رايا بالبكاء بصوت منخفض رغم عدم إدراكها الكامل لما يحدث.. يقف أمام الجريحة الجالسة على الأرض تنزف..



تنظر له بعدما تساقطت بعض الدماء على وجهها وتبعثرت خصلات  
شعرها هنا وهناك..

تترجاه قائلة:

- أبوس إيدك ارحمنى، ارحمنى.

يخرج زفيراً طويلاً، ويجلس على الكرسي المتسبب لها فى الجرح  
والملقاء بجواررة..

يمد لها يده فتلتقطها بأيدي مرتعشة وتقبلها طالبةً الغفران، ينظر لها بهدوء  
ويجوب بأنامله فى شعرها برقة فيطمئن قلبها..

وبعد أن يحكم قبضته على شعرها الناعم فجأة يتبدل حاله مرة أخرى  
للنقيض، ويسحبها من شعرها على الأرض حتى باب الشالية ناعماً كرامتها قائلاً:

- عايزه تعلمى عليا انا، انا..

بره يا مومس يا وسخه.

تتوسل له مارو أثناء سحلها على الأرض، وتنهار رايا باكية على إثر توسلات  
وبكاء مارو حتى ألقاها (القيصر) خارج الشالية، ثم بدأ يلتقط أنفاسه ويهدأ!

\*\*\*

يجلس (القيصر) على السرير يحضن رايا كالطفلة التى بدأت تستعيد  
وعياها تدريجياً، بعد مرور ساعة على الحادث

حيث أعاد ملابسها لوضعها السابق وغطاها بغطاء السرير..

تبدأ متسائلة بعد أن ذُبلت عيناها من الدموع وكل منهما نظره للفراغ:

- ايه اللي حصل بالظبط؟

- مفيش حاجه.



- مفيش حاجه ازاي؟  
 - الموضوع بسيط..  
 اتنين تفهه كانوا عايزين ياذوني فيكى.  
 - وانا ذنبى ايه علشان يعملوا معايا كده؟  
 - انتى مستنيه إيه من واحده مصاحبها أمها أكبر نتافه فى البلد..  
 عموماً انتى ملكيش ذنب فى اى حاجه.  
 يدبر وجهها له ثم يستأنف:  
 - علشان كده أنا هعوضك عن كل اللى حصل ده..  
 مش بس اللى حصل ده، أنا هعوضك عن كل اللى حصلك فى حياتك.  
 - ازاي؟  
 - هدخلك الجنه..  
 جنة (القيصر)!

\*\*\*

جنة (القيصر) هى قصره المهيب الموجود بالقاهرة الجديدة، الذى لم يره غير القليل وجميعهم أجمعوا بأنهم لم يروا مثيلاً له فى الجمال أو الفخامة ولا سيما الرفاهية!

صممه ملائماً لما كان يراه فى برنامج Cribs MTV الذى عشقه طيلة مرحلة المراهقة، وحلم طويلاً بأن يكون له قصر يشبه قصور مشاهير هوليوود يحتوى على حمام سباحة، يجاوره جاكوزى يتوسط حديقة شاسعة، صالة سينما، مكان مجهز لممارسة الرياضة، بار كبير به ما لذ وطاب من الخمور والمسليات، وعدد كبير من الغرف..

أما عن الأثاث والتحف فحدث ولا حرج فقد تجاوزت قيمتها المليونى جنيه ..  
القصر حلم به (القيصر) وألح فى طلبه، ولم يمانع مولانا لسببين، الأول:  
أن يحقق حلم حفيده الذى راوده منذ مراهقته أما الثانى: فهو الاستثمار، فذلك  
الصرح الذى بلغت قيمته 21 مليون جنيها فى العام 2013 تضاعفت قيمته  
الآن وستزداد قيمته يوماً بعد يوم ..

القصر مغلق طوال الوقت عدا أربعة أفراد من الحراسة، داخل أربعة  
أكشاك محيطين به يتضاعفون فى وجود (القيصر) ..

بمكالمة تليفون من (القيصر) لمكتب تنظيم حفلات وتوريد عمالة  
خدم قبل وصوله بأربعة وعشرين ساعة، يصبح المكان على أهبة الاستعداد  
من نظافة وطعام وديكورات، إذا لزم الأمر ومعهم أى عدد من الخدم سواء  
طباخين أم سفرجية أم Baby Sitters

هذه المرة كان المطلوب هو نظافة للمكان كاملة، وحديقة مبهجة، وسفرة  
عليها أطعم وأشهى الأطباق الفرنسية ..

ثم إخلاء المكان نهائياً للخصوصية التامة ..

فى اليوم التالى لواقعة الاعتداء عليها تدخل رايا بصحبة (القيصر) من باب  
القصر ذى الطابقين، وهى تنظر حولها منبهرة بما تراه عيناها مما أثار فضولها:

- احنا فين؟

- ما قولتلك انتى فى الجنه.

- أنا فعلا شاكه انى اكون مت ودخلت الجنه فعلا.

- وانتى ما لك ومال جنة الاخره ايه اللى هيوديكى هناك؟

تعاتبه بدلعها الفطرى غير المصطنع:

- يا رحم!

يضمها بيديه المتملكتين من وسطها، فلا يسعها غير أن تُشبك يديها حول رقبته.. ثم يخبرها:

- انتى هنا فى جنه القيصر، الجنه اللى هتلاقى فيها كل المتع..  
متعة الجنس، الاكل، الشرب، النوم، الهدوء، السكر..  
كلها..

ودلوقتى تعالى نبدأ بأول متعه.

يحملها بين يديه حتى غرفة النوم التى صنع عالمها بنفسه..  
داخل غرفة النوم كان عالمًا آخر منفصلا عن العالم الخارجى السريع  
المزعج، عالم هادئ من دون همس، الرؤية فيه على أضواء الشموع فقط تتخللها  
موسيقى كلاسيكية هادئة لآلة الساكس تثير الغرائز، برودة الهواء المنبعث من  
جهاز التكييف تثير القشعريرة بالجسد..

كل شىء حدث بالداخل كان ببطء شديد ونعومة ورومانسية، تعدت  
جميع رومانسيات مشاهد الحب التى تمت بين العشاق..  
يبدأ برقصه Slow خلالها داعبت أنفه خديها وشفتيه رقبته وصال  
أصابعه وجالت بمؤخرتها..

وبعد أن تخليا عن ملبسهما العلوية وجدت نفسها على السرير.. تفقد باقى  
ما ترتديه ثم يخرج إنبوابًا زجاجيا يشبه إنبوبة طلاء الأظافر مملوءة بمخدر الهيروين  
رسم به سطرين على نهديها كانا أول ما غزا شعابه الهوائية..

تلاهما سطران متوازيان من فوق منحنيات أكبر، أما هى فلم ينلها غير سطر  
واحد بطول 21 سم، ثم بدأت علاقة أدلى كل منهم دلوه بكل ما يعشقه فى

الجنس، لم يترك في جسدها إنشاً إلا وقبله ولعقه بلسانه، الذى ازداد لزوجة كلما تصاعدت إثارته، أما العاشقة فركزت كل قبلايتها ولعقتها على مكان واحد فقط، لم يكتفِ هو بشوة ولا حتى اثنتين، أما هى فلن تستطيع هيئة الإحصاء ذاتها حصر نشواتها، بعدما استمر لأكثر من خمسين دقيقة، أراها خلالها ما يسمى بـ (عرق العافيه)!

ويعود ذلك الوقت القياسى إلى الرغبة العارمة، التى ظلت تجتاح مشاعر كل منهم منذ لقائهم الأول فى الديسكو إلى جانب تأثير المخدر وخيالاته! ظلا ساعة متحاضنين عراة متداخلين الأيدى والأرجل، لالتقاط الأنفاس وتدخين سيجارة واحدة معاً، بعدها تشاركا فى بانيو واحد دائرى الشكل جلسا داخله متقابلين بصحبة كأسين Red Wine، ورجاوى الصابون تغطى البانيو بالكامل وجزءاً من الأرضية أيضاً..

كسر صوت خرير الماء فى البانيو وهفيف الهواء فى أركان الحمام تلك الزفرة التى أطلقتها رايا، وهى تنظر للسقف قائلة:

– أووووف، Its Wow

ثم تنظر للقيصر المواجه لها:

– ايه اللي حصل ده؟

بعد رشفة من الكأس كانت إجابته عبارة عن سؤال:

– ايه؟

– انت مختلف حتى فى الحاجه دى كمان..

يخرب عقلك.

I Swear – انت كنت Porn Star قبل كده؟



يطلق قهقهته الشهيرة:

- اتعرض عليا ورفضت.

- أنا حاسه ان كل اللي حصل من ساعة ما جيت هنا لحد اللحظه دى حلم!  
آخر ما تبقى فى الكأس ألقى به فى جوفة دفعة واحدة، قبل أن يضعه  
بجانبه ثم اعتدل فى جلسته قليلاً:

- لأ، دى حقيقه ما بتتعاشي غير مع (القيصر) بس..

أفهم من كلامك ده ان أنا عوضتك عن اللي حصلك؟

- انت مش عوضتني عن اللي حصلنى ده بس، انت عوضتني عن كل اللي  
حصلنى فى حياتي.

ينظر لها نظرة طويلة بعد تلك الإجابة وشعورها تجاهه، ثم يمد يده اليمنى  
أمام وجهها فى صمت منتظراً أن تقبلها  
تنظر له ثوانى حتى تستوعب طلبه، وبأطراف أناملها اليسرى تمسك  
أصابعه طابعاً قبلة على ظهر يده..

يغمض عينيه شاعراً بنشوة مختلفة عن أى متعة أخرى قائلاً بهدوء:

- That's My Girl

فى ظهر اليوم التالى بعد عشر ساعات من النوم سبقها وجبة عشاء بنهم..  
فى حجرة النوم تضع رايا آخر قطعة من ملابسها فى شنطة سفرها وتغلقها،  
لتنجس إلى المرأة لتنهى آخر استعدادها بلم شعرها سريعاً..

يدخل (القيصر) من باب الغرفة ويقف خلفها واضعاً يديه على وسطها:

- هتودعى (القيصر) خلاص؟

تلتفت إليه وتضع يدها على كتفيه:

- للأسف مضطرب، أنا فانتى السيزون هنا، مش عايزاه يفوتنى فى بيروت.
- أنا كمان لازم ألحق السيزون فى بلدنا.
- سيزون ايه؟
- مولد سيدك عبد الحسيب.
- مين ده؟
- ده ابو جدى..
- ده يوم ميلاده حدث بيستناه الآف من السنه للسنه..
- بيجيله بقى المولدجيه والصييته والمريدين من كل حته فى مصر.
- كرنفال؟
- هههههه اه حاجه زى كرنفال.
- تشابكت أصابعها خلف رقبتة وأمعت النظر فى ملامحه قبل أن تودعه:
- هتوحشنى اوى I Will Miss You

## - Me Too

- انا...
- يقاطعها بسرعة بديهة قائلاً:
- عارف..
- لا يمكن هتسنينى ابدأ.
- ايه الغرور الأوفرده؟
- ههههههه صدقيني ده مش غرور، دى حقيقه..

الدنيا دى مجبتش غير قيصر واحد..  
(القيصر) ابو هاشم، بس.

\*\*\*

مطار القاهرة آخر مكان جمع بينهما، وعند شباك ختم الأوراق يقابلهم العقيد  
أشرف موافى الذى استقبل (القيصر) فور وصوله مقدماً التحية..  
- اهلا وسهلا يا فندم شرفت المطار.  
- اهلا يا سيادة العقيد.  
يعطيه جواز السفر الخاص برايا، يتسلمه العقيد قائلاً:  
- دقائق وكل الإجراءات تنتهى.  
ثم ينصرف العقيد..  
تودعه رايا قائلة:  
- ده كثير أوى يا سيزر، مش كفايه جيت معايا لحد هنا.  
- ما هو لازم لما (القيصر) يجى معاكى لحد هنا يكون فى فرق غير لما  
تكونى لوحداك.  
- أشوف وشك بخير.  
ثم تحتضنه، فيودعها قائلاً:

- Take Care And Keep In Touch

بعد نهاية العناق الطويل تلتفت وتتحرك خطوتين قبل أن تستدير له ثانياً قائلة:  
- سيزر..  
فاكر لما قولتلى ان فى ست او بنت بتبقى مثيره، وبتبقى عارفه انها مثيره،  
وبتبقى عارفه ان الرجاله عارفه انها مثيره؟

- اه.

- فى برضه راجل او ولد بيبقى يجنن وبيبقى عارف ان هو يجنن..  
وبيبقى عارف ان الستات والبنات عارفه ان هو يجنن..

انت الراجل ده.

ثم تضع قبلة فى يدها وتنفخها تجاهه..

فيرد لها التحية بقبلة على إصبعى السبابة والوسطى، ويعظم بهما على  
جبينه ثم تنصرف الحسنة!



## الفصل الثالث عشر

بعد غياب ما يقرب تسع سنوات لم يتواجد فيهن، غير ثلاثة أو أربعة أشهر صيفاً وبعد آخر زيارة منذ عام ونصف يهَلّ (القيصر) للقربة، فى سيارة مولانا بعد أن غير شكله الخارجى حيث أصبح شعره أسود اللون قصيراً ويُمشط للخلف..

تقف السيارة فى ساحة المسجد حين يراه أحد العاملين بالمقام فينتفض من جلسته ويتجه له صائحاً:

- حمدا لله على سلامة سيادتك يا مولانا.

يضغط (القيصر) زر فتح الزجاج ليتلاشى إلى منتصفه ثم يخرج يده اليمنى فينهال عليها العامل بالقبلات، ثم يدعو الحاضرين من المريدين بصوت مرتفع:

- يا ناس مولانا الصغير أهو، اللى عايز بركة سيدنا الشيخ عبد الحسيب من مولانا الصغير.

يبدأ العشرات فى التهافت على يده وتقبيلها، وبعد ثوان يسحبها الى داخل السيارة، ويرفع الزجاج ثم يمسحها بمنديل مبلل قبل أن يأمر السائق الجالس بالأمام:

- اطلع بسرعة، واللى يقف قدامك هاته تحت العجل.

بعد أمتار قليلة تصل السيارة عند باب المنزل، ثم يصعد لمولانا الموجود كعادته فى غرفة الصالون على كرسيه الذى يدير عالمه أثناء جلوسه عليه..  
أثار (القيصر) فى المنزل الهادئ، ضجيجا اشتاق إليه مولانا كثيراً، وبمجرد دخوله يهم مولانا بالوقوف ليحتضنه حضنا طويلا، تلاه قبله على يده من الحفيد قبل أن يرحب به قائلاً:

- حمدا لله على سلامتك يا حبيبي.

- وحشتنى يا مولانا.

- ما هو واضح بدليل انك جاى من بره من امتى وتوك لسه فاكر ترجع تشوف سيدك.

- مش انت يا مولانا اللى قولتلى اتبسط براحتى.

بغمزة عين من صياد عجوز صاحب باع طويل فى الأُنس والفرشة  
متسائلاً:

- واتبسطت؟

- أعلى انبساط.

- طاب يلا بينا نطلع ع الفيلا علشان تستريح.

\*\*\*

الفيلا تقع خارج دائرة منازل أهل البلد ولها طريق خاص بها، يصل للطريق السريع خارج القرية، تحيطها من جميع الجهات أراضى تؤول لمولانا، تفاجأ بها (القيصر) عند عودته لإجازة منذ سبع سنوات، وقد أنشئت لتكون استراحة له بعيداً

عن ضوضاء وضجيج المنزل الذى يقيم به مولانا واعتاده، وأيضًا لتكون مبيتًا للضيوف المهمين القادمين من القاهره أو حتى من خارج مصر، ولا يدخلها مولانا إلا أثناء وجود (القيصر) أو فى أضيق الحدود..

لا يعمل بها العديد من الخدم غير فتاة وخفير ملازم للبوابه الرئيسية..  
طابقان مرتفعان وحديقة مواجهة لهما وبالخلف حمام سباحة، لا يعمل إلا فى وجود (القيصر) يحيطهما جميعًا سور عال يفصلهما عن العالم الخارجى..

فى الداخلى يجدد مولانا الترحاب قائلاً:

- نورت فيلتك يا حبيبي.

- الفيلا، والبلد كلها منورة ببركتك يا مولانا.

يضع مولانا خدى (القيصر) بين كفيه، ويطيل النظر لملامحه التى اشتاق إليها قائلاً بحنان الأب والجد معاً:

- طول عمرك حنين على جدك ولسانك ينقط شهد معاه..

ربنا يديم المحبه ما بينا وميحرمناش من بعض أبدا.

تقطع طرقات الباب وصلة الترحاب والاشتياق، تتقدم البنت الفلاحة بنت الثالثة والعشرين، التى تخدم فى الفيلا لترد نداء الباب فيدخل جرير..

فيداعب مولانا (القيصر) مبتسماً:

- جرير وصل أهو، فاكر وانت صغير كنت بتناديه بإيه؟

- جرجير.

هكذا رد (القيصر) ضاحكاً..

يُرحب جرير بالقيصر مقبلاً يده.

- أَلفَ حمداً لله على السلامه يا سيدى، نورت بيتك.

- إزيك يا جرير وإزاي صحتك.

- الحمد لله فى نعمه، طول ما مولانا وسعادتك بخير.

- تانى مره يا جرير لما يكون مولانا موجود وأى حد تانى موجود، أول ما

تدخل تسلم على مولانا الاول لو حتى مين اللى موجود.

- حقتك عليا يا سيدى عندك حق أنا غلطان، سامحنى يا مولانا.

يجيبه مولانا:

- حصل خير يا جرير، طلع شنط سيدك فوق.

- أوامرك يا مولانا.

ينصرف جرير إلى السيارة ليخرج منها الحقائق، بينما يلتفت (القيصر) حوله

باحثاً عن أحد ما، فيسأله مولانا سؤالاً يعرف إجابته مُسبقاً:

- بتدور على مين؟

- حبيبتى.

تظهر الدادة التى ربت ورعت (القيصر) منذ طفولته بعد وفاة والده فى

سن عامين، وبعدها والدته فى عمر أربعة أعوام، وكانت تحن عليه أكثر مما

لو كان ولدها، رغم أنها لم تعرف معنى الأمومة لعدم إنجابها أو تزوجها من

الأساس..

كانت آخر المتقدمات لتولى تلك المهمة، بعدما طلب مولانا سيدة تتفرغ

لرعاية حفيده اليتيم وذلك بعد وفاة والدته مباشرةً، جاءت من البداية قبل أربعة

وعشرين خريفاً، هرباً من قبيلتها التى ترغب فى تزويجها عنوة، بعد رفضها لكل

من تقدموا لها بعد وفاة ابن عمها التي لم تحب غيره فى أوائل شبابه نتيجة لمرض القلب، وقادتها خطواتها للقريه دون قصد ثم تخلت عن ملابسها البدوية ولهجتها عدا تلك الخطوط الخضراء الثلاثة المتجاورة المرسومة فى ذقنها منذ طفولتها، توارد لأذنها عن طلب مربية لطفل يتيم فتقدمت للتو، وبعد رفض مولانا للعشرات من نساء القرية والقرى المجاورة لها، وقع اختياره لها ليس فقط لتفرغها التام ولا لحنانها وطيبتها البالغة التى لاحظها عليها من الوهلة الأولى، بل أكثر ما لفت نظره لها وأرجح كفتها للنهاية هو اسمها (حليمة)!

ليثبت للجميع أنه هو ونسله من نسل الرسول ﷺ، والدليل ليس مدى التشابه بين يتيم حفيده ويتيم النبى ﷺ، فقط، إنما اسم مربيته أيضاً (حليمه)! يبادلها (القيصر) حباً وحناناً لا يبادل له لأحد غير مولانا فقط، وربما انحازت مشاعره لها أكثر؛ بسبب طيبتها التى انقضت من الدنيا وقله حيلتها على عكس جده، مما أثار غيرة مولانا وغبطته لها أحياناً خاصةً بعدما كبر (القيصر) ظاناً منه أنه لم يعد بحاجة لها..

منذ أن سُيدت الفيلا انتقلت للإقامة بها ومباشرة الخدم فقط، ولا يكلف لها أى عمل نظراً لمرضها وسنها الذى بلغ الأربعة والستين، وتظل فى انتظار (القيصر) من العام للعام!

تطلق زغاريد غير مدوية، على قدر صحتها الضعيفة وهى تتوجه ناحيته بانحنائتها البسيطة، وعينيها الضيقتين المغمضتين قليلاً اللتين يكسوهما الكحل دائماً.

يندفع إليها (القيصر) يحضنها قائلاً:

- حبيبتى حبيبتى حبيبتى، وحشتينى وحشتينى وحشتينى!

- أنت أكثر يا نور عيني.

يسندها ويتجه بها ناحية مولانا الذى سألها بفتور:

- إزيك؟

- عايشين فى خيرك يا مولانا.

ثم يتبادلان نظرات عدم ارتياح لبعضهما البعض حتى يدخل عباس من الباب مُرحبًا بالقيصر:

- علشان كده البلد كلها منوره علشان مولانا الصغير شرف والبركه زادت فيها.

يسلم على (القيصر) ويقبل يده قبل أن يحيط الثانى رقبته بذراعه الأيسر ويتحرك جانبًا ليخبره:

- فى كرتونه فى العربيه فيها حاجات خاصه بيا..

تفضى نصها فى التلاجه اللى فى أوضتى هنا، والنص الثانى فى التلاجه اللى فى أوضتى هناك..

خلاص..

ثم لطمه خفيفه على وجهه قبل أن يحذره:

- واوعى تمد إيدك على حاجه منها، هاه..

ولو عايز حاجه قولى.

- يدوم العزى يا سيدى.

ينصرف، ثم ينهى الجدل اللقاء الأول لهما بقبلتين على وجنتى الحفيد قائلاً:

- ارتاح بقى وأشوفك بكره، ماشى؟

- مع السلامه يا مولانا.
- ثم ينصرف، ويتجه (القيصر) إلى أعلى بصحبة حليلة المتعكزة عليه وهو يخبرها:
- تعالى بقى لما أوريكى أنا جايلك ايه المره دى.
- بعد أول رشفة من النسكافيه أثناء وقوفه فى الفرنده الخاصه بغرفته بعدما بدل ملابسه، ينادى (القيصر) على جرير الذى حضر مسرعاً:
- أوامرك يا سيدى.
- إدخال هف الدبان والناموس اللى فى الأوضه، ولو حسيت بناموسه ولا دبانه وانا نايم هخرب بيتك.
- حاضر يا سيدى.
- ينصرف لينفذ الأمر، بينما يكمل الثانى مشروبه الدافئ.



- قبل العصر بدقائق يدخل جرير بيته المتواضع للغاية، المبنى من الطين ذو غرفتين وصالة، يُلقى السلام على زوجته عائشة ذات الخمار التى اقتربت من الخمسين عامًا، صاحبة الجسم الممتلىء والوجه الدائرى:
- سلام عليكم.
  - عليكم السلام ورحمة الله وبركاته.
  - يتخذ موضعه على كنبته مُتسائلاً:
  - أمال سميه فين؟
  - فى الدرس وزمانها جايه دلوقتى.
  - تيجى بالسلامه.



بمجرد أن أنهى دعاءه لها ظهرت سميته ابنتهما الوحيدة ذات السادسة عشرة  
المُقيدة بالصف الثانى الثانوى الأزهرى، تلك الهبة من الله التى صبروا من أجلها  
وتحملوا السنوات من الحمل والإجهاض، حتى رُزقوا بها فى سن متقدمة لهما  
دخلت بحجابها الملفوف كالخمار الغير كاشف لأى شعرة لها، وتنورتها  
الطويلة الفضفاضة، وبلوزتها البسيطة السوداء اللون!

ورغم بساطة ملابسها إلا أنها ذات جمال طبيعى، غير مصطنع يرجع  
أغلبه من الأم..

فقد برزت أنوثتها قبل الأوان ناهيك عن البشرة البيضاء، التى لم تتعرض لأى  
من مساحيق الجمال من قبل، والعينين الخضراوين والشعر البنى الذى لم يره أحد  
غير والداها أو بنات جيلها ممن يزرنها داخل المنزل..

بصوت عذب وهادئ تلقى تحية الإسلام التى تعلمتها منذ طفولتها

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم تنحنى على يد والداها وتقبلها قبل أن يسألها:

- عامله ايه يا سميته، وعامله ايه فى دروسك؟

- الحمد لله يابا.

- هتفرحى قلبى أنا وأمك وهتطلعى الأولى السنه دى؟

- إن شاء الله هطلع الأولى على المعهد زى كل سنه.

- إن شاء الله يا حبيبتى.

تجلس على الكنبه المجاورة له، ثم يرفع هو قدمه ببطء شديد ليضعها  
على الكنبه متأوهًا:



- ااااااه.

تساءل الأم التي أحضرت لتوها (طبلية) الطعام:

- ما لك يا ابو سميه؟

- تعبت أوى النهار ده.

- خير كفى الله الشر.

- أصل النهار ده وصل مولانا الصغير.

وقعدنا بقى طول النهار ننصف فى الفيلا ونرتبها.

تبدو المفاجأة على ملامح سمية، لكن دون أن تبدى فبداخلها انبهار من فتاة فى مرحلة المراهقة، لشاب لم تره أبداً ولم يراها ولا يعرفها من الأساس. إنما الانبهار الذى أدى إلى الإعجاب ناتج عن كلام والدها من معزة مولانا له، حياته فى القاهرة، سفره للخارج..

حتى أنها رسمت صورة له فى خيالها راودتها أكثر من مرة فى أحلامها، وكثيراً ما تمت رؤيته بمحض الصدفة..

تنسحب لغرفتها فى هدوء ثم ترفع مرتبة السرير الحديدى العالى وتخرج من تحتها إسكتش رسم تخفيه عن الجميع..

تفتحه فتظهر رسمة بالقلم الرصاص لوجه شاب، ذى ملامح بريئة وابتسامة عريضة وشعر ناعم، كانت تلك الرسمة تعود للقيصر كما تخيلته هى بخيال فتاة فى سن المراهقة..

شردت بذهنها لدقائق قبل أن يعيدها نداء والدتها لتناول الغداء إلى الواقع مرة أخرى!

\*\*\*

اليوم هو ميعاد الزيارة الأسبوعية لها لدار أيتام بسيط تابع للقريّة، الذي شيده أحد رجال الأعمال باسم مولانا كعربون محبة للمستقبل..  
تذهب للأطفال النزلاء بتلك الدار التي تتراوح أعمارهم من عمر عامين لسبعة أعوام، الثلاثاء من كل أسبوع بعد صلاة العصر لتحفيظهم بعض سور القرآن..

بمجرد أن رآها الأطفال تهافتوا عليها جميعاً فبدأت تحتضنهم جميعاً بحنان ثم شكلوا حولها دائرة.. ثم توجهت إلى غرفة الألعاب المخصصة لهم وعلى سجادة الأرضية جلست وعلى رجليها الطفلتان الأصغر سنّاً وحاوטהما البقية، فى شكل نصف دائرة ثم بدأت بمراجعة سورة الفاتحة!

## الفصل الرابع عشر

ناموسة واحدة كانت كفيلة لتجعل أولى ليالى (القيصر) بائسة مزعجة، قضاها ما بين جانبه الأيسر لجانبه الأيمن مع زفير غاضب يشبه زفير التنين المجنح.. وبالكد اختلس بضعة ساعات كانت غير كافية مما أدى لتعكر مزاجه، وبمجرد أن ظهر نور الصباح قرر إنهاء ذلك العذاب بالاستيقاظ وإلقاء نظرة عامة على القرية من الفرنده قائلاً:

– Fucken Morning

ثم يصيح غاضباً:

– جرير، إنت يا غبى.

يأتى جرير متحسباً لما سيناله نظير تلك الصيحات:

– صباح الخير يا سيدى.

– صباح الزفت صباح الطين صباح القطران على دماغك..

أنا يا حيوان مش قولتلك الأوضه ميقاش فيها ولا ناموسه واحده.

– والله يا سعادة البيه هشتتهم كلهم ورشيت وشغلت الجهاز بتاع الكهربا

الى بيموتهم كمان.

- طاب غور قولهم يعملولى قهوه بسرعه، وابتعت هاتلى الفرس.  
يلتفت لينفذ تلك الأوامر على الفور، لكن يوقفه الثائر:  
- استنى..

تقول لبتوع الجامع اللى هناك ده ميشغلوش الميكر وفون فى صلاة الفجر  
علشان بيقلقنى.

تتسم ملامحه بالاندهاش من ذلك الطلب ثم ينصرف فى صمت..  
يعاود (القيصر) النظر للقوية التى أرسل تحياته لها فى أولى لياليه، فى  
شكل بصقة تحمل كل مشاعره البغيضة تجاهها..

بعدما انكسرت حرارة الشمس قبل نهاية النهار يصل (القيصر) إلى أرضهم  
الزراعية، ممتطياً حصانه فيراه عباس الذى يباشر الفلاحين والفلاحات أثناء  
عملهم ويذهب إليه.

- صباح الأنوار يا سيدى.  
- صباح الزفت على دماغك.  
- شكل سعادتك كده صاحى مزاجك وحش.  
- ما هو اللى يعيش فى بلد زى دى وسط ناس زى دول لازم يبقى مزاجه  
وحش..

المهم، زارعين ايه السنه دى؟

- كل الخير، دره وغله ده غير جنابن الفاكهه.

- أخبار الأوجريه ايه؟

- شغالين بأخر طاقتهم.

- شد عليهم شويه، أنا عايزهم يشتغلوا بفوق طاقتهم..  
أنا عايز الفلاح من دول يتحط ع الأرض يجرى يتحط ع السرير ينام..  
فهمت؟

- تומר يا سيدى.

- طاب أنا ماشى.

- وانا جاى مع سيادتك.

وقت الغروب وفى طريق العودة يسير عباس بجانب الفرس ممسكاً  
بلجامه، بينما الفارس ما زال بالأعلى يسأل:

- انتوا يلا يا عباس عايشين هنا إزاي؟

- إزاي ايه يعنى يا باشا؟

- يعنى لا نسوان عدله، ولا فسح ولا خروجات ولا ملذات.

- عادى يعنى يا باشا، إتعودنا على كده..

العالم هنا طول النهار مربوطين فى سواقى بيحى عليهم العشا بيناموزى  
الفسىخه..

هيعملوا ايه بالنسوان العدله ولا الخروجات والفسح؟

- أنا واضح ان أنا هشوف أيام سوده هنا.

يقترب من مسجد عتيق جداً وشبه آيل للسقوط.. حوائطه طينية تتسع  
شقوقها لثعبان بحجم الأناكوندا، ودهانه من الجير متهالك يصعب تحديد لونه.  
ليس له مكبرات صوت خارجية أو داخلية، ومآذنه فقدت نصف ارتفاعها  
بسبب عوامل التعرية، والجو على مدار السنين..

يلفت ذلك الشيء انتباهه (القيصر) فيسأل مرشد رحلة عودته:

- بيت مين ده يلا يا عباس؟

- ده مش بيت ده جامع.

- وعامل كده ليه؟

والمغرب أدن وده لا أدن ولا له حس، ولا حد بيدخله ولا حد يبطلع منه.

- أصل الشيخ عبد القوى إمام الجامع ده ليه حكاية مع مولانا.

- وده إتهف فى عقله علشان يعك مع مولانا؟

- الحكاياه دى من أكثر من عشرين سنه..

ميعرفهاش فى البلد كلها غير العبد لله بس..

وتلاته كانوا حاضرينها وكلهم ماتوا من زمان.

- حكاية ايه؟

\*\*\*

بدأ عباس يسرد له القصة التى يعود تاريخها لعشرين عامًا مضت داخل

مسجد مولانا.. حين ختم صلاة العشاء كإمام للمصلين وبينهم الشيخ عبد القوى

الذى لا يترك الصلاة فى مسجده أبدًا، إنما جاء ليودع أهالى القرية معتادى الصلاة

فى مسجد مولانا وبعدهما انصرف المصلون لم يتبق غير عباس وثلاثة آخرين، فى

الخمسينيات من العمر بصحبة مولانا

حينها الشيخ عبد القوى كان ما زال فى منتصف العقد الرابع من العمر، له

لحية متوسطة الطول كانت ما زالت تحتفظ بسوادها..

تقدم الشيخ عبد القوى مأذون القرية وأعلم أهلها بأمور الدين، وحافظ

كتاب الله ليودعهم بعدما ودع بقية المصلين فبدأ كلامه..

- أنا جيت النهار ده علشان أسلم عليكو كلكو، قبل ما أسافر للعمرة إن شاء الله..

أجابه مولانا رغم توتر علاقتهم بسبب معتقداتهم المختلفة، حول فكرة الأضرحة والتوسل بها.

- تروح وتيجى بالسلامة يا شيخ عبد القوى.

ثم تلاه آخران بالوداع.

- متنساش تدعيننا يا شيخ عبد القوى.

- ربنا يكتبها لنا إحنا كمان.

أما الرجل الثالث فكان شرارة الخلاف بقوله:

- وانت إيه اللي يخليك تتعب نفسك، وتروح آخر الدنيا علشان تعمل عمره وتزور سيدنا النبي..

ما أنت عندك مولانا أهو من نسل سيدنا النبي ويعنيك عن التعب ده كله.

ثار الشيخ عبد القوى ورد بغضب:

- يعنى إيه يغينى عن العمره أو زيارة الرسول ﷺ..

إنت عارف اللي أنت بتقوله ده عقابه أيه عند ربنا..

استغفر ربك يا مؤمن ووحده الله وانطق الشهادتين.

باده الرجل بنفس درجة الغضب:

- ليه هو أنا كفرت ولا أيه، ما توعى لـ إالى بتقوله يا شيخ عبد القوى

وتراعى فرق السن اللي بينى وبينك.

ما تقول حاجه يا مولانا، فى حاجه من اللي قولتها غلط؟

ينتفض الشيخ عبد القوى واقفاً:

- عندما سكت أهل الحق عن الباطل، توهم أهل الباطل أنهم على حق.
- هكذا قال لهم قبل أن ينصرف ويرمقه مولانا بنظرة طويلة..
- أنهى عباس قصته وعاود حوارهِ للقيصر مرة أخرى..
- ومن يومها، سافر ورجع لقي بيته بيتبني مكانه محطة صرف للبلد..
- ولقى مأذون تانى للبلد محدش يستجرى يجيب غيره..
- والجامع اللي هو إمامه محدش بيدخله..
- وهو ميستجريش يشغل ليه ميكرفون، أو يجدد فيه قشايه.
- بس؟

يفاجئه رد فعل (القيصر) قائلاً:

- بس!

- مولانا ده طيب أوى.

تصدر نغمة ذكر من هاتف عباس فينظر لاسم المتصل قائلاً:

- ده مولانا.

- اه، ما أنا سايب موبايلي في البيت، شوفه عايزنى في أيه.

- طيب هاتحرك كده شويه علشان هنا مفيش شبكه.

يقود الفضول الفارس صاحب الجواد فيتحرك قليلاً، ويختلس النظر من

أمام المسجد فيجد الشيخ عبد القوى يُصلى المغرب جهراً ويتلو بعض الآيات

بمفرده مرتدياً جلبابه وطاقيته المغطاة بالشال وجميعهم باللون الأبيض.

بعد أن أنهى عباس مكالمته يعود له مرة أخرى ليخبره:

- مولانا عايزك في البيت بسرعه.





- عايزك!

يستفز الحصان بحركة فيشير غضبه ويرفع قدميه الأماميتين مرتكزًا على الخلفيتين فقط، فيهرول عباس من أمامه قبل أن يناله ركلة منه، وذلك كعقاب على كلمة (عايزك) بدون ألقاب كحضرتك أو سيادتك.

\*\*\*

يُجيب (القيصر) نداء مولانا فيتوجه على الفور للمنزل، وكان الجد في الانتظار كالعادة، في غرفة الصالون مُستقرا على كرسيه الذي جاوره حفيده على الكرسي المجاور له.

يبدأ مولانا بلهجة صارمة يستخدمها في أضيق الحدود مع حفيده:

- قيصر، مش هنلتفت لشغلنا بقى ومصلحتنا.

- يا مولانا أنا لسه واصل إمبراح، وأدينى النهار ده بين إيديك أهو.

- أنا عايز أشوف تعليمى فيك نفع ولا راح هدر..

من وانت عندك 14 سنه وانا بقعدك مع كبارات البلد علشان تتعلم منهم..

حتى قعدات الصلح ما بين العائلات كنت بحضرك فيها وأخليك تقول

رأيك..

طول السنين اللى فاتت دى وأنا بنى فيك علشان أسلمك ملكى وأنا مطمئن.

- وأنا أدها يا مولانا.

- أنا عارف إنك أدها..

بس أنا مش عايزك أدها وبس لأ..

أنا عايزك أكبر منها كمان، علشان توسع الملك وتكبره وتسلمه لولادك

أكبر، وولادك يسلموه لولادهم أكبر..



إنت فرصتك أسهل منى بكثير، أنا بدأت حياتى مكنتش لاقى الرغيف،  
ولا حتى كنت متعلم أو معايا شهاده، يدوب بقرا واكتب..  
ومع ذلك وصلت للى أنا فيه، عارف ليه؟  
علشان قررت أبقى غنى..  
الغنى قرار، مدام قررت تبقى غنى هتبقى غنى..  
بأى طريقه بقى المهم أنك لو عايز تبقى غنى هتبقى..  
وأنا مش قررت أبقى غنى وبس، أنا قررت أبقى غنى وعندى نفوذ وسلطه  
وقوه..

م الاخر قررت يبقى عندى مُلك..  
أنا بأماكناتى البسيطه دى وحققت كل ده..  
شوف انت بقى بتعليم المدارس والتعليم اللى أنا علمتهولك ممكن  
توصل لإيه..

فى كلمه عايزك تفضل تقولها لنفسك كل يوم أول ما تصحى من النوم:  
انت أتولدت ملك ولازم تعيش ملك وتموت ملك!

## الفصل الخامس عشر

حقيبة مليئة بالنقود فئة المائة جنيه يفتحها منصور عضو مجلس الشعب،  
أثناء حلوله ضيفا على مولانا في منزله قائلاً:  
- أدي المبلغ اللي إتفقنا عليه يا مولانا..  
بمجرد ما وصلولى من أهالى الولاد جيتهم فوراً.  
ينظر مولانا للنقود ثوانى ثم يعترض:  
- بس الفلوس دى ناقصه.  
يتسم منصور ابتسامة مصطنعة اعتادها فى حياته قبل أن يبدأ فى النفاق:  
- نظرتك عمرها ما خيبت أبدا يا مولانا.  
يقترّب مولانا بوجهه ناحيته مشيراً إلى أسنانه ثم شعره قائلاً:  
- أنا سنانى طقطقت وشعرى ابيض فى البلد دى..  
انت بتكلم واحد خد مصر بطولها مشى.  
يتشل منصور رزمة نقود من الحقيقية:  
- هى فعلا الرزमे دى ناقصه ألف جنيه فرقتهم على الناس تحت لأنى  
مكتتش عامل حسابى.

- ماشى يا منصور، بس متعملهاش مره تانيه، علشان مزعلش منك.
- لا يا مولانا أنا مقدرش على زعل فضيلتك، أنا ما وصلتش للحصانه ولا للمجلس غير بفضلك وفضل مرديك، أنا والله كنت هعرف سيادتك طبعاً.
- حصل خير يا منصور، بس إعملها أولتك وأخرتك.
- أسف يا مولانا، أستأذذك انا.
- يقف ليرحل، فيستوقفه مولانا:
- رايح فين إستنى سلم ع (القيصر).
- هو قيصر بيه هنا؟
- ثم يعود للجلوس مرة أخرى:
- اه، بس بياخد دش وجاى.
- انت عارف يا مولانا أنا كل ما بشوفه بفتكر سيادتك بالظبط، نسخه مطوره من سيادتك.
- (القيصر) ده صنّع إيديا.
- يدخل (القيصر) فيقف منصور ليرحب به:
- أهلاً بسيادة النايب.
- حمدا لله ع السلامه يا قيصر بيه.
- أخبار السياسه ووجع الدماغ ايه؟
- أه والله وجع دماغ بجد.
- يشير مولانا للقيصر برزمة النقود الناقصه ليختبر نتاج تربيته له.
- كام دول يا قيصر؟
- ينظر لها (القيصر) ثوانى ثم يجيبه:



- دول ميكملوش عشر تلاف، بتاع تمانيه تسعه.

يتباهى أمام منصور مبتسمًا:

- مش قولتلك صنّع أيديا!

\*\*\*

فى النهار التالى وكالعادة أثناء مُباشرة شاهين للعمل فى أفدنته، يُفاجأ بثلاث سيارات نقل محملة بأجهزة حفر، واثنتين تابعتين لمجلس المدينة أحدهما يقلها مهندسون والأخرى عمال، أما الأخيرة فكانت سيارة شرطة، وفى نهاية الصف لودر ضخّم يكفى لإزاحة الهرم الأكبر من موضعه..

عند حافة الأرض تقف السيارات جميعًا ويبدأ كل فرد بعمله..

يبدأ العمال بإنزال معدات الحفر وتطوير المكان بالشريط اللاصق الأصفر، والمهندسون بإخراج لوحات الرسومات، وعات الوحش الأصفر فى الأرض يبدأ فى تبويرها..

ارتفعت دقات قلب شاهين ولا سيما نسبة السكر فى الدم، ثم أسرع إليهم مفزوعًا متوجهًا بالحديث لكبير المهندسين الذى أخبره:

- خير يا بشمهندز فى ايه؟

- المحافظة هتنشأ كوبرى يجيب من الطريق السريع ينزل هنا للبلد والبلاد المجاورة كلها، تسهيلًا ليهم عن الطرق الترابية الضيقة والمكسرة.

- وإزاي يعدوا الكوبرى من فوق أرضى، مش المفروض يشوفوله مكان فاضى بعيد عن أملاك الناس؟

- يجيبولوا مكان فاضى منين هى البلد فيها خرم إبره مش مزروع أو مبنى عليه؟

- يعنى ايه الكلام ده؟



- يعنى دى مشكلتك مع المحافظه، روح إشتكى هناك وهاتلى قرار بوقف العمل..

إنما كلمه زياده هجيبلك الطابط يشوف شغله معاك.  
يشعر بهبوط مُفاجئ ويتتابه شعور بالغثيان، ثم يسقط على الأرض ويده على قلبه قائلاً بصوت خافت:  
- عملها، عملها.

\*\*\*

صدى الصوت الناتج من ضحكات مولانا وهو جالس وحفيده، مستنداً برأسه على فخذه يجوب بأركان الفيلا أثناء جلسة سمر ليلاً..  
يستأنف (القيصر) سرد نوادره:

- طاب فاكرا لما قفشتنى مع مدرسة الفرنساوى اللى كانت بتجيلى هنا فى ثانوى؟

- اه، كانت بتاخذ ألف جنيه فى الشهر علشان ترضى تيجى لحد هنا وتديك أربع حصص فى الشهر.

- بس بصراحه كانت تستحقهم وزياده ههههههههه.

- طول عمرك غاوى حريم..

راخر أنا مش خايف عليك الا منهم.

يُغير (القيصر) وضعيته من الاتكاء للجلوس ثم يستأنف:

- متخافش يا سيدى مش أنا اللى الحريم تضحك عليا فى حاجه..

أنا عمرى ما عملت حاجه مع واحده بفلوس أو حتى غضب عنها.

- يا واثق.
- أقولك على اللي أكثر من كده كمان..
- عمرى ما طلبت الحاجه دى من أى واحد..
- كنت بقعد أسويهم لحد ما هما اللي يطلبوها منى.
- بس الجواز لا بد منه علشان تستمر مسيرتنا.
- قصدك شر لا بد منه، هههههه.
- والخمره برضه خايف عليك منها.
- أهى دى عندك حق فيها، أنا صارف على دماغى خمره بتمن طياره.
- إنت لو صارف على دماغك تمن طياره، فأنا صارف على دماغى مطار بحاله.
- تعلو ضحكاتهم لمداها عند دخول حليلة، وبين يديها طبق فاكهة مزيج من الموز والتفاح تضعه على منضدة أمامهما، وتعطى مولانا واحدة من التفاحات، ثم يشير لها (القيصر) لتجلس بجانبه، فتبدأ بتقشير إحدى الموزات وإطعامه فى فمه، فداعبها بمزحة وجهها لمولانا:
- بعدين مش قبل ما تفكر تجوزنى أنا يا مولانا تدور على عريس لحبيبتى الأول.

لا يُبدى مولانا ردة فعل لمجرد أن المُرحة موجهة لها، أما هى فتبتسم ثم تأخذ كفه بين راحة يديها قائلة:

- أنا يا حبيبي كل اللي بتمناه فى الدنيا إنى أحضر فرحك..
- بعدها أموت مش مهم، مش عايزه حاجه تانى من الدنيا.
- متقوليش كده، انتى هتعيشى لحد ما تربي ولاد ولادى.

ثم يطبع على جبينها قبلة، أما الجد فملاحح عدم الرضا عن تلك المشاعر تملأً وجهه.

فجأة يدوى صوت جرس الباب بشكل متواصل مما أثار قلق حليمة!  
- خير اللهم اجعله خير.  
هكذا عبرت عن قلقها.

ثم انصرفت للداخل بناءً على طلب القيصر، قبل أن تفتح الخادمة الباب الذى دخل منه شاب بجلباب من عائلة مولانا يستنجد به قائلاً:

- إالحق يا مولانا.

- خير يا وله فى ايه؟

- خناقه ما بين عيلتنا وعيلة السماحى والبغدادية اللى فى عزبة السماحى.

- وياه اللى حصل؟

- قتلوا من حدانا اتنين، هنعمل معاهم ايه.

ينظر للحفيد تاركاً له القرار فى أول اختبار سيوكله إليه:

- الراجل من حدانا بعشره من حداهم.

ذلك كان قراره الذى تفاجأ به الشاب الذى أطال النظر لمولانا، ليعرف

مدى موافقته أو رفضه على ذلك القرار..

لا يُبدي مولانا أدنى رد فعل دليلاً على قبول قرار الحفيد، فيتوجه

الشخص بالحديث للقيصر:

- بس احنا كده هحتاج لسلاح كثير.

يومئ مولانا رأسه بنعم كموافقة لما يدور برأس (القيصر)!

\*\*\*



على الفور يصل (القيصر) بالسيارة ومعه الشاب أمام باب مزرعة تابعة لهم..

أحد الخفراء الموجودين على البوابة، فى الخارج المدججين بالسلاح يرحب بالقيصر فور وصوله:

- حمدا لله ع السلامه يا سعادة الباشا.

- افتح الباب.

هكذا أمره (القيصر) على عجل، وعلى الفور ينطلق للدخل حتى مخزن للجلال، يقف أمامه خفير آخر فتح الباب فدلف وخلفه الشاب..

فى نهاية المخزن شكائر متراصة مملوءة بالقمح، يأمر الشاب بإزاحتها فيظهر أسفلها صندوقان خشبيان كبار الحجم، ثم يفتح قفلهما ويرفع غطاءهما فيكون محتويات أحدهما بنادق آلية، والآخر عدد لا حصر له من الذخيرة الحية.

## الفصل السادس عشر

إن الحمد لله نستعينه ونستهديه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا..  
مقدمة الخطيب المُعمم في خطبة الجمعة..

يجلس مولانا أمامه في الصف الأول ينظر له محرّكاً شفاهه قائلاً بصوت خافت:  
- طاعة أولى الأمر.

يتلثم الخطيب قليلاً بسبب عدم فك شفرة الشفتين، حتى أشار مولانا  
على نفسه دون أن يلاحظ أحد ثم بصوت أعلى قليلاً:

- طاعة أولى الأمر.

فك الخطيب الطلسم وأوماً برأسه في خلسة ثم استأنف:

فمن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا..

خطبة اليوم عن طاعة أولى الأمر.

تنتهي الخطبة على أكمل وجه بعدما نال مولانا المراد ثم ركعتي الجمعة،  
ويبدأ المُصلون في الانصراف بعد أن تبرع معظمهم لصناديق التبرعات  
الموجودة بالمسجد..

وبعد دقائق تعدت الخمسة عشرة، خلا المسجد من الجميع إلا العاملين به، وعلى رأسهم عباس الجالس وسط تلك الصناديق المعبأة بأموال المتبرعين يقوم بتفريغها وحصرها وترتيبها فى رُزم..

يظهر فؤاد من خلف مولانا ثم يجلس بجواره بعد أن يُصافحه قائلاً:

- حمدا لله على سلامة (القيصر).

- قصدك مولانا الصغير.

- اه، مولانا الصغير.

- بخير، وبمناسبة رجوعه بالسلامه عازمكو كلكو عندو فى فيلته النهار ده بعد العصر.

- دايمًا عامر يا مولانا.

ينصرف فؤاد قبل أن يُصبح ضيفا غير مُرحب به، ثم يقف مولانا ليصعد لشقته عن طريق عبور المقام حينها رافقه عباس، بعد أن انتهى من ترتيب النقود فى رُزمتين والباقي من الفضة، تم حفظهم فى كيس بلاستيك أسود اللون قائلاً:

- فلوس صناديق النزور بتاعة الجمعه دى.

- خليههم معاك، واتصل بالمطعم بيعت لنا عربيه فيها تشكيلة أكل تكفى عشرين واحد..

وتجيبه وتيجى ع الفيلا.

- أوامرك يا مولانا.

\*\*\*

خادمتان وشاب بالإضافة إلى البنت الموجودة بالفيلا، جميعهم على قدم وساق منهمكون فى تنظيف الفيلا، مما أزعج (القيصر) الذى استسلم جسده للنوم بعد شروق الشمس، لذلك ظهر من أعلى صائحًا بمزاج عكر:

- ايه القرف ده ع الصبح؟

يلتفت له مولانا الموجود لمباشرة التحضيرات، فيتفاجأ به صاحب الصيحة قائلاً:

- مولانا.

- خليك عندك أنا طالع لك.

بعيداً عن الضجيج بالداخل وأشعة الشمس تداعب جفنى (القيصر) فى الفرنده يبدأ مولانا الحديث:

- فؤاد وأخواته وعيالهم عزمتهم على الغدا على شرف حضرتك.

- ما بناقص منهم يا سيدى الناس الناقصه دى.

قبل عودة (القيصر) تلك المرة، عقد مولانا النية بأن ينقل له خبرته فى تلك الحياة، التى نال منها أكثر مما نالت هى منه، وكان ذلك هو الدرس الأول حين سأله:

- فى ملك يبقى ملك من غير رعيه؟

- لأ.

- إحنا كمان منحسش ان احنا ملوك من غير ناس تقعد تتمحلس لنا وتمجد فينا وتشيل جزمنا على فوق راسهم.

- إنت الوحيد اللى بتعلم منه فى الدنيا دى يا مولانا.

هكذا رد الطالب بابتسامة إعجاب تجاه أستاذه.

تظهر سيارة المطعم فى حديقة الفيلا محملة بالوجبات والأصناف..  
ينزل عباس ثم عامل الدليفرى، أما السائق فيبدأ بنقل الطعام داخل الفيلا..  
يبدأ عباس بسؤال عامل الدليفرى:

- حسابك كام؟

يعطيه الشيك الخاص بالحساب ثم يجيب:

- إتفضل يا باشا 3254 جنيه.

ينظر فى الشيك متظاهرًا بالفطنة:

- ماشى:

ثم يخرج من جيبه نفس رُزمتى النقود التى تعود لصناديق التبرعات،  
ويعطيه الأكبر عددًا من فئة العشرات والخمسات قائلًا:

- أذى ثلاث تلاف.

- كل دى فكه؟

- حلوين خلى ربنا يفكها عليك، كده معاك كام؟

- تلاته.

ثم يبدأ بالسحب من الرُزمه الأصغر من فئة العشرينات:

- أذى 260 جنيه باقى حسابك، و200 جنيه لنقل الأكل..

وأذى 200 جنيه ليك وللرجاله، و200 جنيه كمان للرجاله اللى فى

المطعم..

مرضى؟

يُقبل العامل نقود البقشيش شاكرًا:

- ربنا يخلى لنا مولانا.

بعد قليل يصل فؤاد وأبناؤه: الأكبر: صبحى سبعة وثلاثون عامًا، والأوسط:  
إبراهيم ثلاثون عامًا، والصغرى: أمنية خمسة وعشرون عامًا..

صبحى الأخ الأوسط لفؤاد.. خمسة وخمسين عامًا، ونجله الطائش ذو  
اليد المٌطلقة فؤاد ثلاثون عامًا، هانم الأخت الوسطى تصغره بعامين، رجاء  
الصغرى ذات الثلاثة والعشرين عامًا..

وأختهم الصغرى هانم صاحبة الأربعة والأربعين عامًا وابنها الأكبر هاشم  
ابن ثلاثة وعشرين عامًا، وأخته الصغرى ضحى التى تصغره بثلاثة أعوام.

يجلس مولانا فى الصالون، بينما يدخل عليه الجميع وأولهم فؤاد الأكبر  
ثم صبحى وآخرهم الصغرى هانم، يبدؤون فى السلام والاطمئنان على صحته  
وأحواله، ثم يُقدم كل منهم أبناءً نظرًا لكثرتهم وتقارب ملامحهم وأعمارهم..  
وبعد أن صافحه جميع الأبناء وقبلوا الأيدي وجلس الجميع فى أماكنهم..  
يظهر أعلى السلم العائد الذى لم يروه من سنوات، منذ أن كان مرهقًا  
مرتديًا بدلته السوداء وقميصه الناصع البياض بدون رابطة عنق ورائحة البرفان  
تسبقه لأسفل..

تلفت إليه جميع الأنظار، فيبادلهم هو الآخر النظر بثقة، لثوان قبل أن ينزل  
السلم كنجم هوليوذى على السجادة الحمراء دون أن يلفت نظره عنهم..  
ترمقه الشابات بنظرات انبهار لم تخل من همسات بينهن، بينما ينظر له  
الرجال بحقد..

ألقى سلاما موحدًا للجميع، فكان الرد موحدًا أيضًا يشبه كورال المدرسة..  
فى تلك الأثناء ينتهى الخدم من تحضير السفرة، وحرص الطعام عليها  
وآخرهم الشاب يحمل أكبر الأصناف وهو عبارة عن ديك رومى ضخّم، وبعد



أن وضعه على السفرة، حيث مثواه الأخير والتفت عائداً للمطبخ تقابله حليلة،  
تحمل آخر ما ينقص الوليمة وهو الخبز مما أثار غضب مُحبها الذى صاح فى  
الشاب قائلاً:

- خد منها يا حيوان اللى فى إيدها..

قولت ميت مره محدش يشيلها حاجه.

حالة هدوء من الجميع كسرهما دعوة مولانا:

- اتفضلوا الغدا يا جماعه.

على رأسى منضدة السفرة يجلس الجد والحفيد، أما الباقون فمتراصون  
على جانبيها وصوت ثرثرتهم وطرق أطباقهم واحتكاكها بالملاعق أثار غضب  
الشاب المتهور الذى نوه بصوت عال:

- يا ريت كل واحد يركز فى طبقه ومش عايز أسمع صوت خبط.

عم الصمت مرةً أخرى كمن ضغط زر كتم الصوت فى التلفاز:

يتدارك مولانا الموقف للمرة الثانية:

- نورتوا الفيلا يا جماعه.

- منورة بصحابها يا مولانا.

هكذا رد فؤاد بفتور قبل أن يعاود الجد:

- كل يا صبحى، طلعى يا هانم لحمه وإدى لخواتك والولاد كلهم.

- حاضر يا مولانا.

\*\*\*

يعود الجميع إلى أماكنهم مرةً أخرى فى الصالون بعد الانتهاء من الغداء  
وأمامهم جميعاً فواكه متنوعة:

- و حضرتك ناوى تستقر المره دى ولا هتسافر تانى؟
- هكذا وجه صبحى سؤاله للقيصر:
- لأ، قاعد على طول.
- بعكس معانى كلماتها رحبت به هانم:
- هتنور البلد كلها.
- وبالمناسبه الحلوه دى يا مولانا عايزين نتشرف بسيادتك وسعادة الباشا، يوم الخميس اللى جاى فى دخلة هاشم.
- هكذا تمت دعوة فؤاد لكبيرهم الذى جاء رده:
- الخميس اللى جاى، ألف مبروك يا هاشم.
- الله يبارك فيك يا مولانا.
- ثم يُنهى فؤاد اللقاء بوقوفه قائلاً:
- نستأذن احنا بقى علشان نلحق الطريق قبل الضلمه ..
- وأديك شايف المجزره اللى قايمه ما بين البلدين والناس اللى عماله تموت.
- ربنا يهديهم.
- هكذا رد مولانا بكل براءة، كمن ليس له صلة من قريب أو بعيد بتلك المجزره أو سمع عنها من الأساس ..
- ينصرف الأبناء جميعاً عدا فؤاد الابن الأكبر لصبحى .. ما زال يُصافح مولانا أثناء عودة حليلة للمطبخ ببعض أطباق الفاكهه فاستوقفها قائلاً:
- متنسش يا حليلة تيجى الفرح الصبح، علشان تقفى مع البنات وتحنى العروسه.
- قبضة يد (القيصر) تملك كتفه اعتراضاً:
- إنت حد قالك إنها شغاله عندكو؟!!



- انى مقصدش انى أقصد ان حليمه تيجى تفرح.
- هكذا رد متلعثمًا قبل أن يعنفه مرة أخرى:
- ما اسمهاش حليمه، اسمها دادة حليمه، ومش انت اللى تديها أوامر.
- ينهى مولانا تلك المشاحنة قائلًا:
- خلاص، حصل خير والموضوع انتهى.
- ينصرف فؤاد الصغير غاضبا دون أن يظهر، ثم والده وعمته وفى النهاية يُصافح فؤاد العم على (القيصر) قائلًا:
- عايزين نتشرف بسيادتك يوم الخميس.
- حسب الظروف.
- هكذا رد دون النظر إليه، ثم جاء دور مولانا فى المصافحة فدعاه أيضًا:
- أنا نفسى تشرفنا يا مولانا مع انى عارف ظروف فضيلتك ما تسمحش.
- متقلقش يا فؤاد، هيتعمل معاكو الواجب وزياته.
- عقبال ما نفرح بيبك عن قريب يا باشا.
- هكذا ودع فؤاد (القيصر) وهو يرمقه بنظره، ويتوعده فى قرارة نفسه!

\*\*\*

- فى سيارة صبحى الحمراء ماركة لانسر موديل 2010 يجلس فؤاد الابن على عجلة القيادة، ووالده بجواره وفى الخلف فؤاد العم وهانم..
- يلطم صبحى فخذة غاضبًا:
- ابن الكلب بيتعامل معنا على اننا الخدامين اللى جابهوم له سيده.
- ثم أدلت الأخت بدلوها:

- ده بيعاملنا زى ما نكون عيال عنده فى مدرسه وهو المدرس .  
 أما فؤاد الكبير بحكمته:
- سيده بفلوسه وصيته مقويه ع الكل .  
 - يا عمى مهما كان قوة أى بنى ادم ديته طلقه بتلاته تعريفه .  
 ذلك كان رأى فؤاد الصغير الذى نهره عمه قائلاً:  
 - إخرس يا وله واوعى اسمعك تقول كده تانى، انت عايز تفتح علينا باب جهنم ..  
 إنت متعرفش الواد ده يبقى ايه بالنسبه لسيده ..  
 ده ممكن عشانه يقلبها جنازات .  
 ثم يعاود صبحى الثائر:  
 - بس الواد ده لو اتساب هيستفحل، وهيدوس ع الكل واحنا أولهم .  
 - انى بقول كده يابا ..  
 علشان كده مش لازم يتساب لغايه ما يكبر .  
 تزداد نبرة عمه فى نهييه مرة أخرى:  
 - يا بهيم الأذيه مفيش أسهل منها، بس نتايجها محدش يقدر عليها .  
 - مين قال؟  
 هكذا أنهى فؤاد الصغير المشادة الكلامية وهو يفكر ..

\*\*\*

- بعدهما رحل الجميع وهدأ المكان فى نفس غرفة الصالون الشاهدة، على  
 تجاوزات الحفيد يجلس الجد وبجواره (القيصر) يعتب عليه:  
 - انت مش عاجبنى .  
 - ليه بس؟



- مبتعرفش تتحكم فى أعصابك.
- بالعكس، أنا بعرف أتحكم فى أعصابى كويس جدا..
- بس فى ناس قليله أوى مبعرفش أتحكم فى نفسى لما يكون الموضوع يخصهم.
- غلط، لازم تتحكم فى نفسك فى كل الحالات وتحت أى ضغط..
- أنا ممكن اتحكم فى أعصابى، حتى لو فى ناس مكتفأك وحاطه على رقتك سكينه وبيفاوضونى عليك..
- تعرف انت تتحكم فى أعصابك لو فى ناس حاطه على رقتى سكينه؟
- بعد الشر عليك يا سيدى.
- تعرف؟
- صمت من (القيصر) دون الرد بشطر كلمة:
- أنا بقى مش هطمئن عليك غير لما توصل للدرجة دى.
- يقف الجد استعدادًا للرحيل فيتبعه احترامًا له، فيضع مولانا يديه على كتفيه ويحذره بحزم:
- أنا خايف عليك، الملك ثقيل أوى..
- والكلاب اللى حوالينا كتير..
- وأولهم اللى كانوا هنا من شويه..
- عايزك تعرف إزاي تضحك على إبليس نفسه.
- متخافش عليا يا مولانا..
- أنا هعيش لحد ما هيبقى عندى ميت سنه..
- هعيش لحد ما ادفنهم كلهم.

## الفصل السابع عشر

بصحبة مولانا ثلاثة مُشترين مجتمعين فى أرضه لشراء المحصول، وبعد انتهاء المفاوضات تساءل أحدهم:

- يبقى إحنا كده يا مولانا متفقين على التمن..

فاضل نعرف بس ميعاد التسليم.

- وقت ما احصد اعتبر المحصول بقى عندكو، وأوصله لكو كمان لحد عندكو.

- ربنا يخليك لينا يا مولانا، طول عمرك مغرقنا بجمايلك.

- ربنا يديم المعروف.

- طاب نستأذن إحنا يا مولانا، علشان منعطلش سيادتك.

- تستأذنوا فين، لازم تاخذوا واجبكوا الاول.

- دايمًا عامر يا مولانا، مره تانيه ان شاء الله..

نشوف سعادتك على خير يا مولانا..

صافحوا مولانا وانصرفوا.

يلتفت فيجد شاهين واقفًا أمامه لا يُبدي أى ردة فعل وكأن على رأسه الطير،

رث الثياب بذقن لم تُشخذ منذ أسبوع وعينين دابلتين من كثرة البكاء.

بدون كلام يشير له مولانا ليجلس، فينفذ الأمر مستمرًا في صمته لدقائق حتى بدأ حديثه:

- بيتي هيتخرّب يا مولانا.
- انى حاسس بيك يا شاهين، بس هنعمل ايه للحكومہ منها لله.
- والعمل يا مولانا؟
- العمل ان انت تشتكيهم وترفع عليهم قضيه علشان توقف الشغل.
- ده على ما ينظروا فى القضيه يكون الكوبرى إتبنى واشتغل..
- والأرض بقت بور وخراب متنفعش حتى يتعمل عليها تُرب.
- واحنا فى إيدينا ايه تانى؟
- فى ايدينا حل تانى.
- ايه هو؟
- هكذا استفسر مولانا عن سؤال وضع نموذج إجابته بنفسه:
- سعادتك تشتري منى الأرض، وساعتها مش هيقدرنا بينوا عليها.
- يميل تجاهه مُستهزئًا بعرضه الساذج:
- شاهين، انت حد قالك إن مولانا ده داقق عصافير ولا جاى من بلاد بره؟
- انى ما اقصدش، انى قصدى انهم...
- أمال تقصد ايه، عايزنى أشتري أرض الحكومه بتبنى عليها دلوقتي وانت قاعد معايا..
- ده انت لسه قايل بنفسك لو حبيت ابنيها تره مش هتنفع.
- هكذا قاطعه مولانا بغضب.

- انى أقصد ان سعادتك ليك سكه معاهم وممكن تخلص الأرض من إيديهم.
- وتفتكر ده ممكن يتكلف كام، وياخد وقت أدايه؟
- يتوسل شاهين باكيًا:
- الأرض اللى حيلتى هتضيع، وعيالى هيطلطموا من بعدى..
- أبوس إيدك ارحمنى.
- يمسك يد مولانا ويقبلها.
- لا يُيدى صاحب اليد سوى نظرات تشفّ، فتلك اللحظة التى انتظرها وتوعد له بها منذ أن رفض طلبه مُسبقًا.
- عرفت بقى ان مولانا لما بيعوز حاجه لازم ياخذها.
- عرفت.
- برهة للتفكير قبل أن يعطيه ردا على طلبه:
- إانت كنت عايز تبعلى الأرض بسعرها بعد 10 سنين صح؟
- ينظر شاهين فى الأرض دون رد من فرط الإحراج:
- أنى هشتري منك الارض يا شاهين.
- تلك كانت قبلة الحياه لشاهين التى تنفس بعدها الصعداء، قبل أن يفاجئه مولانا بجوابه النهائى فى شأن الأرض
- بس بسعرها من 10 سنين.
- تتضارب كل ردود الأفعال لديه، وتتبدل ملامحه لتحمل فى تجاعيدها كل معنى الحقد والغضب.

\*\*\*

وسط زرقة مياة الجونه يستقل (القيصر) زودياك بصحبة شخص يقوده متوجهاً لملاقاة الباشا..

يستعيد كل الوصايا التى ألح مولانا فى تكرارها له ليلة أمس..

- أنا خدتلك ميعاد مع الباشا الكبير، الكبير أوى..

هتروحله بطيارته الخاصه من مطار القاهره وهترجع فى نفس اليوم..

المهمه اللى هكلفك بيها دى أصعب حاجه إتطلبت منى فى حياتى..

واللى هتخلصها منه ده هو أهم واحد بتعامل معاه..

وهو الوحيد اللى يقدر يخلىنى فى سابع سما أو يغضب عليا فيزلىنى سابع أرض..

لو منجحتش فى المهمه دى يبقى لسه بدرى على ما اعتمد عليك..

ولو نجحت هبقى مطمئن عليك وانا فى تربتى.

يصل إلى يخت فخم جداً فى عرض البحر، هو أفضل ما أبحر فى الميا

الإقليمية المصرية، ثم يصعد على متنه ليجد الباشا فى انتظاره مرتدياً شورت

وقميص هاواى ويعلو رأسه كاب إكوادورى أبيض.

يجلس (القيصر) فى مواجهة الباشا بحلته ذات الخمسة الآلاف دولار..

بثقه متناهية يضع قدما فوق الأخرى مما يثير انتباه الباشا لذلك الشاب

حديث العمر.

يسأله شاب إذا كانت له الرغبة فى تناول كأس من البيره أو الفودكا أو

حتى الويسكى، فيكتفى هو بهزة رأس تعنى لا..

يعود بنظره مرة أخرى للباشا وبعد ثوان من الصمت استطرد قائلاً:

- مولانا بلغنى بالسفريه دى إمبراح..

وسابلى المهمه دى على مسئوليتى أنا..

وطول ما أنا فى الطيارة بفكر إيه اللى ممكن أعرضه على سيادتك، علشان سيادتك توافق..

فلوس! سيادتك عندك فلوس أد ميزانية دوله..

نسبه فى المشروع، سيادتك شريك فى نص مشاريع البلده غير المشاريع اللى بره..

طيب إيه اللى ممكن أعرضه على سيادتك مقابل موافقة معاليك..

لاقيت إن فى حاجه واحده ممكن تخلى سيادتك توافق على كده.

- إيه هي؟

- مصلحة حفيدك.

- حفيدى مين؟

هكذا تساءل الباشا متعجبا:

- ابنى.

- وضح.

اعتدل (القيصر) فى جلسته قليلاً واستجمع كل ثقته قبل أن يتهور ويطلب:

- أنا بطلب إيد حفيدتك الوحيدة من بنتك الوحيدة.

- إنت جاي تتكلم فى بيزنس ولا جاي تتجوز؟

هكذا كان رد الباشا بلهجة صارمة.

- لنكن واقعيين سعادتك..

سعادتك بعد عمر طويل مش عايز تسيب بنت سيادتك وحفيدتك وإنك

مظمن عليهم..



وخصوصا ان زوج بنتك اكبر منها بحوالى 20 سنه.

- طبعًا.

- أنا بعرض نفسى كراجل يقدر ياخذ باله منهم ومن أعمالهم ويحميهم كويس أوى..

وخصوصا إن أنا مستوايه المادى ومكانتى تخلىنى مش طمعان فى اللى عندهم.

- كده من غير حب؟

يطلق (القيصر) ضحكة سخرية، لم يجرؤ أغلبية من جلسوا فى موضعه أمام الباشا أن يُطلقوها.

- حب! حب ايه سعادتك..

ما كل الشباب والبنات بيحبوا، أخرتوا ايه الحب ده..

هى بتتجوز أول واحد بيجيلها جاهز..

وهو بيتجوز واحده تانيه سايبه واحد كانت بتجبه.

- طيب بلاش الحب..

أنا إيه اللى يخلىنى أوافق عليك انت، وارفض ولاد رجال الأعمال وولاد السياسيين اللى بيطلبوها منى كل يوم.

- سعادتك سيد العارفين..

أى رجل أعمال ممكن هزة اقتصادية توقعه وتخليه يقعد فى البيت..

وأى سياسى ممكن ثورة توقعه وتخليه يقعد فى السجن..

إنما أنا ومولانا بعيدين كل البعد عن أى خطر..

ومصادرنا فى الفلوس بدل المصدر ألف..



وكل يوم فى توسع .

- بس مش شايف إنها هتبقى غريبة إن حفيدة واحد يقولوا عليه نظام قديم تتجوز واحد حفيد ولى من أولياء الله الصالحين؟  
كانت تلك أول مزحات الباشا التى أثارت ضحكاتهم قبل أن يستأنف (القيصر) مرةً أخرى:

- يا باشا البلد كلها بقيت نظام قديم..  
الاشتراكيين مشيوا وجم الرأسماليين، الاشتراكيين بقوا نظام قديم..  
الرأسماليين مشيوا وجم رجالة مبارك، بقوا الرأسماليين نظام قديم..  
مشى نظام مبارك وجم الأخوان، بقى نظام مبارك نظام قديم..  
مشيوا الاخوان، بقوا الاخوان نظام قديم..  
وأى نظام هيجى بعد النظام الحالى، النظام الحالى هيبقى نظام قديم، وهكذا..  
فى بلدنا المتغطى بالنظام عريان..  
إنما أنا ومولانا خارج المنظومه العبيثه دى، ومستقبلنا مضمون للأبد..  
قولت إيه سعادتك؟  
يزداد إعجابه بحكمة الشاب التى تسبق عمره بمراحل:

- عندك حق..

أنا أعجبت بذكائك وجرأتك يا قيصر..

أنا كان يقف قدامى وزرا ورجال أعمال كانوا ركبهم بتخبط فى بعض..  
كون إن واحد فى سنك لسه يقعد قصادى بالثقه دى، ويوصل لمستوى  
الفكر ده..

ده فعلا يخلىنى مطمئن على حفيدتى معا..  
بالنسبه للشغل الللى جايلى فيه أنا حنفظهولك..  
أما موضوع الجواز فأنا من ناحيتى موافق..  
بس فاضل رأيها هى.  
- وانا واثق انها هتوافق.

ثوان من الصمت لزمت الباشا للتفكير، قبل أن ينتقل من جلسته ويجاور  
(القيصر) ويبدأ معه حوار أهم:

- أنا الللى محتاج لىك ولجداك..  
أنا عايز أرجع للعب من تانى..

ومفيش حاجه ممكن ترجعنى أد انتخابات الرئاسه 2018

لو قدرت تحشدلى إنت وجدك مريدىكو والناس الللى بتمشى وراكو  
للتصويت فى الانتخابات..

يبقى أحلى عربون محبه ممكن أقدمه لهم..

وبالقليل لو مبيقيتش رئيس وزاره فى أول حكومه بعد الانتخابات.

- ياااااه معقوله يا باشا لسه مشبعتش من اللعب بعد السنين دى كلها؟

يستند الباشا بظهره للخلف ويركز بنظرة فى الخلاء، على نقطة على مدد  
بصره قبل أن يستأنف قائلاً:

- إنت سمعت عن إدمان المخدرات لمتعاطى، أو إدمان الكحوليات  
لسكير، أو إدمان الشهره لفنان، أو حتى إدمان العاده السريه لشاب مراهق..

صدقنى، كل دول مايجوش حاجه جنب إدمان السلطه لسياسى.

\*\*\*

فى المساء وبعد عودته من الجونة، يجلس بجوار مولانا فى منزله يزف له الأخبار السارة التى تعجب لها قائلاً:

- وافق بسهولة كده على الارض؟!!

وكم ان طلبت إيد حفيدته!

- إحنا مش قليلين يا مولانا.

- معقوله الباشا ممكن يناسبنا؟

- وميناسبناش ليه، إحنا المستقبل يا مولانا.

ينظر له مولانا بحنان الأب ثم يضع يده على كتفه قائلاً:

- مش احنا، إنت المستقبل.

- يعنى تربيتك طمرت؟

- طمرت وزياده، وهبقى مطمئن عليك وانا فى تربتى.

- الباشا ليه طلب ميقلس أهميه ليه عن اللى إحنا عايزينه منه.

- إيه هو؟

قبل أن يبدأ (القيصر) فى ذلك الموضوع المهم تقاطعه دقات باب الصالون، فيسمح مولانا لعباس بالدخول فيخبره:

- العمده صالح السماحى عمدة كفر السماحى عايز يقابل فضيلتك.

- ما قالكش عايز ايه؟

- لأ، بس شكله عايز فضيلتك فى حاجه مهمه.

- خليه يدخل.

يخرج عباس ليدخل العمده الذى صافح مولانا فقط دون اعتبار للقيصر، مما أثار غضبه دون أن يُبدى ذلك.

- السلام عليكم يا مولانا.
  - هكذا بدأ العمده حوارہ.
  - أهلا يا عمده، اتفضل.
  - يجلس العمده فى الجهة المقابلة للقيصر ثم يستأنف مولانا قائلاً:
  - خير يا عمده؟
  - المجرره اللى دايره ما بين العيله حداكو، والعيلتين اللى حدانا.
  - ما لها؟
  - الدم بقى للركب يا مولانا، العيلتين اللى حدانا مات منهم لحد دلوقتى
- سبعه ..

- انى بقول كفايه كده.
  - يومئى مولانا رأسه مع صوت (ممممم) قبل أن يستطرد فى حوارہ:
  - فكرنى كده يا عمده كان ايه سبب الخناقه م الاول.
  - عيال شدوا مع بعض...
  - ما أقصدش، أنا قصدى ايه اللى كبر الموضوع كده؟
  - هكذا قاطعه مولانا قبل أن يكمل حديثه:
  - قصد سعادتك على الاتنين اللى اتقتلوا من حداكو؟
  - مش ده برضه اللى كبر الموضوع؟
  - اللى كبر الموضوع إنهم اتخانقوا مع حد من عيلتى، حتى لو قريبي من
- بعيد..

ومرجعوش ليا ولا اشتكولى، ومش كده وبس لأ..  
يقتلوا اتنين كمان.

- يا مولانا كل ده حصل خلاص ومنقدرش نغير منه حاجه، انى بتكلم فى اللى جاي..

العيلتين كل يوم بي موت منهم ناس.

- الولد الخره بي جيب لأهله اللعنه.

- والعمل يا مولانا؟

- انى مدام محدش دخلنى فى الاول مبتدخلش فى الاخر.

- طاب فى حل أنا اتوصلت ليه مع العيلتين، حل يوقف بحر الدم ده.

- سمعنى.

- كل عيله تاخد مليون جنيه فديه عن اللى راحوا منها..

والتلات عيلات يمضوا على اتفاق ان محدش منهم يتعرض للتانى..

واللى يكسر الاتفاق يدفع مليون جنيه عن كل واحد يحصله حاجه.

ضحكات سخرية (القيصر) الذى بدل مكان جلوسه ليجاور العمدة،

جعلته يظن أنه سرد مزرحة طريفة.

- اسمع يا عمده..

سيبك من أبو بلاش اللى انت بتقوله ده، إشتري منى أنا أبو فلوس..

اللى عاجبه يتصالح من غير ولا مليم ويعتبر اللى ماتوا دوا قصاد اللى

ماتوا من عيلتنا اهلا وسهلا..

واللى مش عاجبه..

أنا بقى بدل ما همدف اتنين مليون للعيلتين..

هاجر شوية عيال مستبيعه بربع مليون بس، يخلصوا على باقى الناس اللى

فى العيلتين ونقصر فى السهرايه دى!

\*\*\*

فى منزل العمدة صالح السماحى كان بانتظاره سالم البغدادى كبير عائلة  
البغدادية صاحب الخمسة والستين عامًا، وحسان السماحى أحد كبار عائلة  
السماحى ويصغره بخمسة أعوام..

يجلس العمد بينهما فى المنتصف حين سأله سالم:

- يعنى ده كان اخر كلام عنده؟

- أيوه.

لاه أبو هاشم ده فجر، ولو اتسكت له أكثر من كده هيركبنا كلنا.

هكذا اعترض حسان غاضبًا قبل أن يتساءل العمده:

- وواحد زى أبو هاشم بفلوسه ومعارفه الكبار دول نقدر نعمله ايه؟

أجابه سالم ثم أثنى على كلامه حسان:

- لو حطينا يدنا فى يد بعض هنقدر نعمله كثير.

- هو ده الكلام، إحنا مش هفيه علشان يروح من حدانا سبعة ونسكت..

شكلنا ايه قدام البلاد اللى حوالينا لو ما اخدناش حقنا؟

- مش هو بيقول بربع مليون يأجر ناس تخلص علينا كلنا..

طاب إحنا بقى هندفع مليون جنيه ونأجر ناس تخلص عليهم كلهم..

تلك كانت فكرة سالم قبل أن ينصحهم العمدة آخر نصائحه قائلاً لهم:

- يا جماعه الموضوع مش سهل كده..

أبو هاشم نابه أرزق والصابع اللى هيجى تحته، مش هيقطعه ويس ده

هياكله!

## الفصل الثامن عشر

أعلى سطح الفيلا يقف مولانا والقيصر عند سور المقدمة، يطلان  
بنظرهما نحو الأراضى الزراعية..

يشير مولانا بيده قائلاً:

- أهو ده كان اخر الأرض السنه اللى فاتت، السنه دى ضمتلها العشر  
فدادين دول، ومفاضلش فى الحوض كله غير كام فدان هشتريهم قريب،  
ويبقى الحوض كله بتاعنا.

- إنت لو الدنيا كلها بقيت ملكك مش كتير عليك يا مولانا.

- ما تخلى مولانا دى قصاد الناس الغرب والمريدين والمولدجيه..

قولى يا سيدى، ولا أنا مش سيدك ولا أيه؟

- إنت سيدى وسيد الكل.

- شايف الأرض وسعت ازاي.

- بتكبر سنه عن سنه.

- أنا عايز الأرض دى على إيدك تبقى على مدد الشوف..

ده غير أهم حاجه..



أنا عايز ملكك يبقى جوه وبره كمان..  
عايزك يقالك أملاك بره وفلوس فى بنوك بره وفل وفل وعرييات..  
مش بس كده، يقالك علاقات مع الخواجات كمان..  
محدث عارف الايام مخيبه إيه..  
علشان لو إتأزمت معاك هنا يبقى عندك اللي يكفيك وزيادة بره..  
ولو إتأزمت بره يبقى عندك اللي يكفيك وزيادة هنا..  
فى موضوع كنت مستنى أشوفك هتعمل ايه فى المهمه اللي كلفتك بيها،  
علشان أقولك عليه..  
يرفع الجديده بشكل مستقيم وأصابع منتصبه ويحركها من اليسار لليمين قائلاً:  
- شايف كل الملك ده، والفلوس اللي من كترها معرفش عددها اللي  
عملتها فى خمسين سنه من حياتي  
كلهم بقوا بتوعك بيع وشرا خلاص..  
تظهر علامات التعجب على ملامح الحفيد قائلاً:  
- بتوعى!  
- اه، بقوا بتوعك على حياة عيني..  
أكبر غلط بيرتكبوه الناس إنهم بيورثوا الحمل فجأه..  
علشان كده بيبقوا خايفين على ولادهم من بعدهم لأنهم مش عافين  
هيبقوا أدوا ولا لأ..  
إنما أنا عايزك تبقى مسئول عنه وانا لسه عايش، علشان لو احتجت  
للمساعده أبقي موجود..  
يلتفت له مولانا فيصبحان وجهًا لوجه ثم يلقي له مفاجأة أكبر قائلاً:

- أنا هبايعك فى الليلة الكبيره للمولد اللى جاى .

- البيعه!

لكن البيعه بتتسلم بعد الوفاه .

- وده فى أنهى قانون ..

قانوننا احنا اللى بنعمله بنفسنا وبتتحكم فيه زى ما احنا عايزين ..

إنت الوحيد اللى عالم بالقرار ده، وهفاجئ بيه الناس فى الليلة الكبيره ..

ينظر له مولانا فى صمت متأماً ملامحه لثوان، ثم يضع كلتا يديه على كتفيه ليحفزه قائلاً:

- أنت لها، وهى لك .

- أنا لها يا مولانا، أنا لها .

بعد منتصف الليل يدخل مولانا المقام وخلفه عباس .

- اطلع واقفل الباب علشان عندى خلوه وكله يخرج بره الجامع والبيت .

- أوامرك يا مولانا .

يخرج عباس ويغلق الباب، ويتجه مولانا إلى البابين المؤديين للمقام ويقوم بإغلاقهما من الداخل، وإحكامهما بأقفال ثم يأتى بكرسى ويجلس أمام المقام ينظر له حتى شرد بذهنه .

\*\*\*

مازال مولانا حبس غرفته منذ أسابيع بعد حادثة الضابط، ينام على جانبه يفكر، بينما انتهى والده من الاستعداد لصلاة الفجر، وقبل أن يفتح باب المنزل يحاول للمرة الأخيرة أن يحث مولانا على الخروج من تلك العزلة، وتلك الحالة النفسية التى تنحدر نحو الأسوء .

قرر أن يطرق باب غرفته قائلاً:

- ابو هاشم، تيجى تصلى معايا الفجر يا حبيبي؟

لم يحصل على أى رد، لذلك أعاد النداء مرة أخرى:

- ابو هاشم، أبو هاشم.

فكانت لحظة الذروة التى انهار فيها ولده صائحًا بطريقة هستيرية:

- يابا سيبنى فى حالى يابا، انى زهقان من الدنيا وما فيها..

سيبنى انى عايز أموت واغور فى داهيه وارتاح من اللى انى فيه..

سيبنى فى حالى يابا، سيبنى فى حالى.

يُصعق والده من ردة الفعل الجنونية تلك ولا يجد غير الرد بهدوء قبل أن يرحل:

- حاضر، حاضر يا ابنى، ربنا يهديك يا ابنى، ربنا يهديك ويغفر لك.

وتوالت بعض الأيام بعد تلك المشادة، وفى كل صلاة فجر يُفكر فى حثه

على الذهاب معه، ولكنه يمتنع خشية أن يترك له البيت أو يقاطعه إذا ثار تلك

المرة..

وذات يوم وبعد أن فاقت الذقن حدها، وما زال قابعًا فى غرفته داخل

عالمه الافتراضى، وامتكنًا على نفس جانبه الأيمن اقترب أذان الفجر ولم

يشعر بالشيخ عبد الحسيب يستعد للصلاة كالعادة التى لم تنقطع يومًا فتسلل

له القلق، فقرر أن ينادى على والده قائلاً:

- ابا، ابا، يابا انت صحيت ولا لأ؟

لم يحصل على جواب، فحاول أن يتنصت بسمعه ليحصل على أى همس،

وكانت النتيجة سلبية أيضًا فبدأ يساوره الشك مما دفعه للنهوض والتوجه ناحية



غرفة والده ببطء، فيجد بابها مغلقا فيفتحه قدر شبر، وينظر من خلاله فيُفجع بوجود والده مُلقى على وجهه، فى وضعية السجود فوق سجادة الصلاة..

فى طرفة عين كان جالسًا بجواره واحتضنه محاولًا إفاقة قائلاً:

- أبا، ما لك يابا فيك ايه، أبا رد عليا، رد عليا يابا.

يتحسس دقات قلبه بأذنه فيكتشف أنه توفى، فتطلاطم كل ردود الأفعال فى رأسه كأموح البحر فى ليلة عاصفة، ولم يتوارد على لسانه سوى بضع كلمات رثاه بها:

- سييتنى يابا، سييتنى، ده أنا مش مستحمل الدنيا وانت معايا هستحملها ازاي لوحدى..

كده يابا، تروح الجنة لوحداك وتسيب ابنك هنا فى النار، ليه يابا، ما اخدتنيش معاك ليه؟

ثم احتضنه ودموعه تذرف لا إرادياً، وبعد ثلاث دقائق لا أكثر تبيست دموعه وأضاءت فى رأسه فكرة شيطانية، هى بالفعل لم تكن لتخطر لبشر، وبسرعة البرق كان أمام بيت صديقه عطية يدق الباب، ويطوى فى يده جوال من البلاستيك، ذلك قبل أن يخرج له صديقه وفى يده (الجوزة) وأبدى تفاجؤه برؤية صديقه الذى لم يره منذ أكثر من شهرين وتغير شكله بسبب الذقن.

يهم ليحتضنه ويصافحه فيوقفه مولانا ويحدثه بجدية قائلاً:

- مش وقت سلامات دلوقتى، انت مصحصح ولا مسطول؟

- لا، انى ميه ميه.

- طاب اسمع اللى هقولهولك كويس وتنفذه بالحرف.

ثم يخرج من الجوال الجلباب والشال الآخرين للشيخ عبد الحسيب، الذى لا يمتلك غيرهم عدا ما عليه فى بيته الآن..

بعد أن سلّم إمام بديل للشيخ عبد الحسيب وأنهى صلاة الفجر، متأخراً عشر دقائق بسبب انتظاره هو والمصلون للشيخ عبد الحسيب.. اثنان من جيران الشيخ عبد الحسيب جنباً لجنب في الصف الثاني والأخير بالمسجد، بمجرد أن فرغوا من الصلاة ينظرون خلفهم وبالكاد يلمحون ظهر الشيخ عبد الحسيب، يلقي بحذائه خارج باب المسجد ويغادر مما أثار تساؤلات أحدهم قائلاً:

- يا ترى ايه اللي أّخر الشيخ عبد الحسيب النهار ده وخلاه ما يلحقش يأدن ولا يصلى بينا؟

- يمكن راحت عليه نومه ولا حاجه.

- نومه! دي عمرها ما حصلت.

- طاب وايه اللي خلاه يمشى بسرعه كده من غير ما يختم الصلاة حتى؟

- يمكن وراه حاجه مستعجل عليها.

- يمكن!

انتهيا من ختم الصلاة والأذكار ثم توجهوا لمنزلهما وبصحبتهن ثلاثه آخرون من المصلين، وبالقرب من وصولهما لمنزل الشيخ يُلاحظون تجمع لبعض أهالي القرية أمامه، مما أثار فضولهما فتوجهوا لذلك التجمع وسألاً أحد الموجودين:

- خير في ايه؟

- ده الشيخ عبد الحسيب تعيش انت.

هكذا أجاب الشخص وهو يبكي:

- إمتى ده كان لسه معنا في صلاة الفجر في الجامع.

- معاكوا في صلاة الفجر إزاي وهو ميت من نص الليل؟!

- نص الليل!

أمال إزاي كان معنا في الجامع من ربع ساعه؟

يصيح أحدهما متأثراً.

- لا إله إلا الله.

- خير يا حج عبد المقصود.

هكذا سأله الجميع قبل أن يجيب باكيًا:

- الشيخ عبد الحسيب مات من ليل، وروحه كانت معنا في صلاة الفجر.

- لا إله إلا الله، لا إله إلا الله.

ظل الجميع يهتف بعضهم متأثرون والبعض الآخر يضرب كفيه معًا مُتعبجًا، ودون أن يراه أحد يراقبهم الساحر من خلف الشباك صاحب الخدعة، التي فعلها بمساعدة صاحبه الذي تنكر في ملابس الشيخ وأوهمهم بوجوده معهم في المسجد.

\*\*\*

ذلك آخر ما استرجعه مولانا أثناء جلوسه بالمقام، حين تذكر كيف بدأ وإلى أين انتهى وكيف سيستمر الحفيد في نفس الطريق..

يطوى تلك الذكريات ويقف ليخلع العباءة، ثم الجلباب فيظهر تحتهم كيس كبير من القماش ملفوف حول نصفه الأعلى ومثبت بحمالتين على الكتف أشبه بالصديري..

ينزعه ويضعه على الأرض ثم يخرج منه خمسين رزمة من الدولارات كل منها تعادل عشرة آلاف دولار، ثم يتجه للمقام ويرفع غطاءه فيظهر تحته صندوق خشبي بحجم المقام يشبه التابوت..

يزيل أقفاله وارد الخارج الغير قابلة للكسر أو السرقة، ويرفع غطاءه فتظهر كمية هائلة، لا حصر لها من الدولارات هي معظم ما تحصل عليه طيلة خمسين عامًا، ظل يحول خلالها جميع ما يتحصل عليه من مبالغ بالجنيه المصري، إلى دولارات ويقوم بإخفائها في آمن مكان يمكن أن يطمئن له وهو المقام نفسه!

## الفصل التاسع عشر

يستند (القيصر) برأسه على صدر حليلة، ويدها تحتضنه أثناء جلوسهم على السرير في غرفته داخل الفيلا، بعدما انتابته حالة المزاجية التي تدهمه من وقت لآخر، والتي تعلمها الدادة حليلة جيدًا منذ صغره، فدائمًا كانت تحتضنه وتحاول أن تخفف عنه..

- ما لك يا ضنايا؟

- مش عارف..

- طاب حاسس بإيه؟

- مش حاسس بحاجه..

ساعات كده بيجيلي إحساس.. لا يبقى فاهمم أنا عايز ايه ولا يبقى حاسس بحاجه..

لدرجة إنى ساعات بحس إن الحياه ملهاش معنى، أو إيه اللي هعمله فى باقى عمرى.

- ليه يا ضنايا، ده انت بسلامتك مش ناقصك حاجه فى الدنيا كلها؟

- يظهر إن الواحد زهق من كتر ما بقى عنده كل حاجه..

كل حاجه مبقلهاش طعم..

حتى الحياه مبقلهاش طعم..

أعمل ايه، أعمل ايه؟

- مفيش غيره يا ضنايا، مفيش غيره، مفيش غيره!

تلك كانت آخر كلمات تخللت لعقله الباطن، قبل أن ينفصل عن العالم  
لعشر ساعات حتى صباح اليوم التالي، الذى استيقظ فيه وألم الصداع يدك  
أرجاء رأسه قبل أن ينادى:

- دادة، دادة!

يخرج من الغرفة ثم يعيد نداءه:

- دادة، دادة حليمه!

يتوارد لسمعه صوت مولانا الجالس بالأسفل:

- مش هنا!

ينزل له الحفيد ويجلس بجواره متسائلاً:

- راحت فين؟

- راحت الفرح.

- ايه اللي وداها هناك من دلوقتي، هيه مبقتش حمل إجهاد.

- راحت تجامل وتقف مع البنات..

إنت بقى هتروح إمتى؟

- أنا مزاجى متعكر، ومليش مزاج أروح.

- أنا مش قولتلك إن إحنا بنحتاج اللي زى دول، يفضلوا خدامنا وشايلين

جمايلنا فوق راسهم طول عمرهم..





جامل تُجامل تكسب محبة الناس .

- ماشى هبقى أروح شويه بليل .

- لأ، مدام قررت تجامل يبقى تجامل بالقوى .

\*\*\*

الفرح أمام منزل العريس ذى الستة أدوار، فى ساحة واسعة مكدسة بأقارب  
العروسين والمدعويين والأغلبية الساحقة لشباب القرية والقرى المجاورة .  
مسرح خشبى كبير تعتليه فرقة موسيقية ومطرب شعبى، وسبعة راقصات  
بأحجام مختلف ترضى جميع الأذواق ..

يصل (القيصر) فى سيارة مولانا وخلفها سيارة أخرى بها شخصان، ينزل  
وبحوزته رشاش Uzi وخلفه الشخصان يحمل كلاً منهم حقيقتان جلديتان ..  
خزنة ذخيرة بالكامل تم تفرغها كتحية من (القيصر) للجميع عقب دخوله  
للفرح، قبل أن يستقبله والد العريس وأعمامه وأخواله ومصافحته ..

يتوقف المعنى عن الغناء، ويبدأ ما يسمى ب - (شاويش المسرح) فى  
إعطائه التحية، ومن ثمة تتوجه أنظار الجميع ناحية مدخل الفرحة!

- مولانا مولانا مولانا، سيدنا وابن سيدنا وابن سيدنا .

تجلس حليلة بجانب المدعوات من النساء، حين توجه لها واحتضنها  
حضنا طويلا:

- عقبال فرحك يا حبيبي، عقبال ما أشوفك وجنك عروستك يا رب .

هكذا همست فى أذنه قبل أن يرد عليها مُبتسماً:

- وإنتى اللي هتحنيها برضه .

ثم يصعد للمسرح، وبعد تحية طويلة تليق بأهم المدعوين للزفاف، يعود المغنى والراقصات مرة أخرى لدورهم فى حين يبدأ المرافقان للقيصر فى فتح الحقائق التى اتضح أنها مملوءة جميعها، برُزم من النقود فئة الخمسين جنيها، وإعطائه الواحدة تلو الأخرى فى حين يقوم هو بإلقائها على الراقصات اللائى تهافتن عليه، فلم يخلُ الأمر من ورقة بيد (القيصر) داخل حمالة صدر إحداهن أو حتى داخل تنورتها، ثم يشير للعريس الذى حظى وحده بما يتعدى الألفى ورقة حمراء!

تلوح له الدادة حليلة بيديها فرحًا فيلقى ناحيتها كمية من يده، يتهافت عليها الأطفال وبعض الحاضرين من دون العشرين من خارج العائلة..

وبالوصول للحقبة الرابعة تكلمة الربعمائة ألف جنيه.. جن جنون جميع الحاضرين فلم ير أحدهم بعينه كل تلك الأموال إلا فى الأفلام وليس هذا فقط، بل وتُدْهَس بالأقدام دون أى إهتمام من صاحبها..

بعد أن انتهى نجم الحفل وخطف جميع الأضواء تنفيذًا لنصيحة الجد، يترك المسرح ليعود للسيارة، لكنه يتجه للدادة لتعود معه قائلاً:

- يلا علشان تروحي معايا.

يتدخل فؤاد الأب قائلاً:

- ما تخليها شويه وأنا هبعث معاها اللى يوصلها بالعريه.

ينظر لها (القيصر) ليعرف مدى رغبتها.

- خلينى شويه لحد ما العروسه تدخل وأطمئن عليها.

هكذا أجابته قبل أن يظهر على ملامحه الرفض، والرغبة فى رحيلها معه

لتعاود طلبها قائلة:

- معلىش .

- ماشى، هسبيلك العرييه بالسواق تروحك، خلاص ..

مش هنام إلا لما تيجى .

- ماشى يا حبيبي، توصل بالسلامه .

احتضنته حضناً طويلاً دون مبرر لذلك مما لفت انتباهه، لكن دون أن يُظهر ثم

انصرف واستقل السيارة التى كانت ترافقه وترك لها سيارة مولانا .

\*\*\*

بعد أقل من ثلاث ساعات يهرول عباس تجاه باب الفيلا، وينهال عليه بالطرق مما أثار انتباه (القيصر) الذى بدأ لتوه يخلد للنوم ودفعه للنزول لأسفل، ليجد عباس جالساً مع مولانا فى الصالون وما أن رآه حتى انقطع عن الكلام بناءً على تعليمات مولانا ..

يجلس (القيصر) غير مُهْندم الشعر وما زال على ملامحه آثار النوم يسأل:

- فى ايه يا مولانا؟

- مفيش حاجه .

ثم يتنقل بالسؤال لعباس:

- فى ايه يا ابني؟

صمت من عباس أثار غضب (القيصر) فنهره فى غضب:

- إنطق فى ايه؟

ينظر عباس لمولانا وينتظر السماح أو الرفض على الإجابة، فتأتيه

الموافقة فى شكل هزة رأس بـ (نعم) فيستطرد عباس قائلاً:

- عربية مولانا وهى راجعة من الفرح وفيها حليلة ..

ثوان من الصمت قبل أن يلقي بالمفاجأة:

إتضرب عليها نار!

ينظر له (القيصر) ويراوده شعوران متناقضان بين الرغبة الشديدة، في معرفة ما أسفر عنه ذلك، والخوف من معرفة تلك النتيجة، وبعد ثوان أخرى من الصمت لعباس مرت كسنوات ضوئية استأنف قائلاً:

- وماتت.

ينظر مولانا للقيصر دون كلام محاولاً أن يوصيه بعدم البكاء خاصة في وجود ثالث بينهم، أما الآخر فانقطع عن العالم.. لم ير تلك النظرة ولا ورد لسمعه شيء من أثر الصدمة.

لم يتأكد إن كان تمالك دموعه أم تجمدت في عينيه، وتضاربت بداخله كل ردود الأفعال وأول ما ورد بذهنه وتلفظ به بعد ثوان من النظر لأعلى.. كأنه يُرسل رسالة عتاب أو لوم:

- تدفن في التراب بتاعتنا..

ومتعملوش عزا..

واللى عمل كده لما يتعرف، يتقتل هو ومراته وعياله وأبوه وأمه وإخواته.. وباقي عيلته ونسايه يسيبوا بلدهم ويخرجوا منها في خلال ثلاث تيام.. واللى يقعد منهم بعدها اقتلوه..

ثم يتأمل لثوان ليدرك ذلك القسم الذى يرد على لسانه للمرة الأولى:

ورحمة الغاليه لأخليهم يلطموا بحجاره!

يقف بصعوبه فيحاول أن يساعده عباس فيدفعه، فيشير له مولانا ليتبعه

لأعلى..



يصعد درجات السلم ببطء طفل يحبو وخلفه عباس الذى رافقه دون أن يقترب منه، حتى باب غرفته إلى أن دخل الغرفة وجلس على كُرسىه الضخم.. وحكم هو مقبض الباب وظل يغلقه ببطء شديد، يشبه خاصية التصوير البطيء ليحظى برؤية دموع (القيصر) التى لم يرها أحد من قبل، وبالفعل مع آخر سنتيمترات قبل إحكام غلق الباب نالت عينه من رؤية دمعتين أو ثلاث تُظرف من عينه اليمنى.

\*\*\*

فى ظهر اليوم التالى وبعد اتصالات موسعه لمولانا، لعدم فتح أى تحقيق فى الحادث أو تشريح للجثة، والأهم من هذا وذاك هو إحكام قبضته جيداً على وسائل الإعلام المقروءة والمرئية، لعدم تسريب أو نشر أى خبر عن الحادث.. أمر إمام مسجده بالصلاة عليها فى حضور معظم أهالى القرية، الذين حضروا بدافع محبتهم لها وليس تملقاً له..

وفى غيابه بسبب انشغاله بما تبقى من إجراءات أمنية بعدما أصبحت حياته هو وحفيده على المحك، وتجراً أحد ما لمحاولة قتله هو أو حفيده.

أما عن غياب (القيصر) فلم يكن أبداً ليتحمل أن يقف أمام نعشها ويصلى عليها ثم يصطحبها إلى المقابر.

هذه المقابر مخصصة لعائلة مولانا عداه هو ونسله.. فهم يُدفنون بجوار المقام، تقع فى بداية مقابر القرية، لكنها منفصلة عنها بسور يحيطها وبوابه من الحديد أمامها حارس وتعلوها لافتة رخاميه محفور عليها: (مقابر عائلة مولانا/ أبو هاشم عبد الحسيب) وبالداخل خمسة قبور الأولى خصصت لحليمة فقط بُناءً على طلب (القيصر) منذ تشيدها، أما الأربعة الأخريات بالمناسبة لرجال ونساء الأسرة وجميعها من الرخام!



تظهر الجنازة على مسافة مائة متر، حين وصلت ثلاثة سيارات جيب سوداء اللون الأولى والثالثة بهما أفراد شركة حراسه خاصة بدلاتهم السوداء ونظارتهم الشمسية، مسلحون وعلى مستوى عال من الكفاءة والتدريب..  
استدعاهم مولانا الموجود بالسيارة المنتصفة لهم لحمايته هو وحفيده..  
قبل أن ينزل (القيصر) من السيارة يوصيه الجد قائلاً:  
- زى ما اتفقنا.

ينزل واللون الأسود يغطى ملابسه بالكامل، ولا سيما نظارته الشمسية التي لا تُظهر عينه، ثم يتجه ليحمل النعش ليكون مجاوراً لجريز الذى لا تتوقف دموعه فى الجهة الأخرى..

يسير الخطوات المتبقية مُتحكماً فى دموعه ودون أن يسمح لأحد أن يأخذ مكانه، إلى أن يصل إلى باب الحوش ويعبره وخلف النعش مباشرة مولانا الذى نهر بشدة بعض النساء اللائى يصرخن حزناً قائلاً:

- إخرسى يا مره منك ليها.  
فيلتزم جميعاً بالصمت.

يستقر النعش أمام القبر المخصص لها ثم يُخرج (القيصر) منه الجثمان بمساعده جُريز وآخرين، وبعد أن أزال نظارته الشمسية أصر على النزول معها للقبر مما أثار دهشة جده.

داخل القبر مر عليه كل شىء بطيئاً وكأنه بخافية التصوير السينمائى البطيء.. كان يشعر كأنه فى أعماق المحيط حيث لا صوتاً يُسمع ولا ضوء ساطعاً يُرى، واستحضرت أذناه أكثر موسيقى حزينة مرت عليها، وكانت لها الغلبة فى السيطرة على جميع حواسه بالداخل فلم يعد يسمع غيرها، وبعد

فك الأحزمة القماشية التي تحيط جسدها طلب من الشخصين مسؤولي الدفن أن يخرجوا ليبقى وحيداً معها، مد يده بأصابع مرتعشة ليكشف وجهها وما أن رآه حتى أجهش بالبكاء كطفل صغير ضل الطريق عن والدته، ثم أمسك بكتفيها وظل يهز جثمانها النحيف الذي ازداد ضآلة داخل الكفن لترد عليه، ولكن خاب رجاؤه وأمله الأخير، فأمالها على جانبها الأيمن وبعد أن خارت قوته وشوشت الدموع رؤيته مال إليها ببطء كأنها طفلة نائمة، لا يرغب في إيقاظها حتى جاورها بالنوم خلفها على جانبه الأيمن أيضاً، ثم تحسس بيده اليسرى من فوق الكفن حتى عثر على يدها ذات الملمس البارد المتيبس، ثم استقر برأسه على التراب حتى اختلطت خصلات شعره بتراب القبر الناعم، ثم أغمض عينيه، أملاً في فتحها مرة أخرى في عالم آخر يجد نفسه مع تلك المرأة التي لم يحب غيرها من سيدات الأرض..

في غضون عشر ثوان كان بالفعل في عالم آخر، ولكن بفعل النوم الذي غلبه من فعل الصدمة النفسية، التي تعرض لها والحزن الذي فاق ثقله الهرم الأكبر الذي طبق على قلبه، وبعد دقيقتين مرا عليه كأنهما حقتان زمنيّتان شعر بوخزة خفيفه ففتح عينه ليرى أمامه وجه جرير، الذي انهار هو الآخر بفعل رؤيته لمنظر (القيصر) وهو نائم ممسكاً بيد المغفور لها..

أيقظه جرير وأسنده حتى اعتدل جالساً فشعر بنفس شعوره، حينما كان طفلاً ينام وقت الظهيرة باكياً لسبب أو لآخر ثم يستيقظ بعد الغروب خائفاً موجوع الرأس متورم العينين شاعراً بحكة في وجهه من أثر ملوحة دموعه.. استيقظ بعد أن تجمدت دموعه وانسلبت إرادته، فاستسلم لجرير الذي سحبه للخارج حيث فوجئ الجميع بمنظره البالي والتراب الذي يغطي جانبه الأيمن كله، بدايةً من شعره مروراً بوجهه، وانقسمت النظرات ما بين نظرات

شفقة ومواساة له من أهالى القرية رجالاً ونساءً وأيضاً بنات العائلة، وبين نظرات تشفٍ من رجال العائلة..

هم إليه مولانا مسرعاً أحاطه بذراعه ثم ثبته تحت إبطه وتوجه به مُسرِعاً إلى الخارج، بعد أن أمر عباس بأخذ العزاء ثم ملاحقته للمنزل..

يصل مولانا للسيارة وفى يده (القيصر) الذى تثبت نظره تجاه مثنواها الأخير، يصعد مولانا للسيارة، بينما يقف الآخر مستمرا فى التحديق حتى سحبه جده للسيارة التى انطلقت مع مرافقة الحراسة، وعند الوصول للمنزل بعدما هداً قليلاً وجفت دموعه فاجأه مولانا قائلاً:

- انزل.

- أنزل أعمل ايه هنا؟!

- هتقعد معايا هنا الفتره دى لحد المولد.

- تفكر يعنى قعدتى هنا هى اللى هتسبني حليمه؟

- قعدتكم معايا هى اللى هتسبنيك حليمه.

ينتقل بنظره بعيداً عن جده ثم يُلقى بأخر ما لديه:

- سبني أروح، سبني.

فيادله الجد هو الآخر بخلاصة ما لديه بعد ذلك:

- أنا هسبنيك المره دى..

بس إعمل حسابك إن دى آخر حاجه هسبنيك تعملها بمزاجك..

تلك اللحظة كانت شرارة الصدام بين الجد والحفيد، فالأول يظن أن الجد هو السبب فى موت حليمه، سواءً أكان هو المقصود بعملية الاغتيال وليست هى أم أنها هى المقصوده كتهديد أو إنذار من أحد خصومه أو شخص على خلاف معه، فى كل الحالات يراه هو المُتسبب الرئيسى فى ذلك.



أما الآخر فلم يكن يتوقع أن حفيده يُحب هذه العجوز، التي لا تتعدى كونها خادمة كل هذا الحب الذي تأكد له أنه يفوق حبه ومعزته له هو.. من تحمل تربيته منذ طفولته وصنع لأجله كل هذا المُلْك ليكون ملكًا من بعده!

بعد أن وصل للفيلا بصحبة سيارة الحراسة، يدخل من باب الفيلا ويقف خلفه ليلقى نظرة لها بعد أن أصبحت غير مأهولة بأحد غيره دون خادمة على الأقل، كما استحدثت لها هدوء صارخ كثيب لم يعتده من قبل..

يتجه لغرفة حليلة الموجودة بالأسفل ثم ينتظر أمام بابها مترددًا لثوان قبل أن يفتحه..

كل شيء بمكانه كالمعتاد، السرير الحديدى ذى الأعمدة فى المنتصف، وفوقه مُعلق على الحائط برواز لآية الكرسي وأمامه دولابها الصغير، كل التفاصيل موجودة عدا أهمها وهى حليمه نفسها..

يتذكر بعض أحاديثهم المشتركة منذ عودته!

- حبيبتى حبيبتى حبيبتى، وحشيني وحشيتنى وحشيتنى.
- انت أكثر يا نور عيني.
- أنا يا حبيبي كل اللي بتمناه فى الدنيا انى أحضر فرحك..
- بعدها أموت مش مهم مش عايزه حاجه تانى من الدنيا.
- متقوليش كده، انتى هتعيشى لحد ما تربي ولاد ولادى.
- عقبال فرحك يا حبيبي، عقبال ما أشوفك وجنك عروستك يا رب.
- وإنتى اللي هتحنيها برضه!
- مرة أخرى ليست الأخيرة.. تستسلم عيناه لدموعها.

## الفصل العشرون

زيارة مهمة، ضيوفها هم: سفير لأحد الدول الخليجية في مصر يحمل في يده حقيبة جلدية، ورجل أعمال أربعيني السن يحمل نفس الجنسية، وآخرهم والأصغر سنًا هو ابن لأحد أفراد العائلة المالكة للدولة في مُقبل الثلاثينيات، وجميعهم في زى الدشداشة والغترة تعلوها العقال..

يستقبلهم مولانا في منزله بالأحضان قائلاً:

- يا هلا، يا هلا، يا هلا..

البلد كلها نورت، مش البلد بس مصر كلها نورت.

- البلد منوره بيك يا شيخ.

هكذا رد له السفير التحية.

- إتفضلوا.

يجلس الجميع ثم يشير لعباس الذي اقترب خلفه وانحنى ليهمس مولانا في أذنه قائلاً:

- كلم سيدك قيصر، يجى حالا وبسرعه.

يخرج عباس بسرعه ليبدأ مولانا حديثه بالإشارة تجاه رجل الأعمال قائلاً:



- سمو الشيخ أول مره يشرفنا.
- فعلا دى أول مره.
- وإن شاء الله مش هتكون اخر مره.
- هكذا داعبهم مولانا ضاحكاً لثير ضحكاتهم ويذيب الحواجز تدريجياً..
- يشير الشاب أحد أفراد العائلة المالكة إلى رجل الأعمال ليقدمه:
- الشيخ حمد أخو زوجتى أول مره يزور فيها مصر، وحابب يقيم فيها مشاريع واستثمارات..
- قلت له لازم أول واحد تتعرف عليه هنا يكون الشيخ أبو هاشم.
- ده شرف كبير أوى سموك.
- تستحقه يا شيخ، هى مصر فيها كام واحد من الأشراف!؟
- ذلك كان إطرأء من السفير حين استأذن عباس ليدخل ويُحدث مولانا فى أذنه قائلاً:
- كلمت سيدى كتير تليفونه مقفول.
- روحله الفيلا هاته على إيدك.
- هكذا أمره بغضب دون أن يلاحظ أحد، وبعد أن خرج عباس عاد مرة أخرى للحديث معهم سائلاً رجل الأعمال:
- وسموك ناوى تستثمر فى آيه فى مصر؟
- بنفكر ما بين السياحه أو العقارات والأراضى.
- هايل، أفضل ثلاث استثمارات فى البلد.
- وطبعاً لو احتجنا نصيحه أو استشاره، حضرتك هتكون أول واحد نلجأ له.

- معقوله، وسعادة السفير موجود، لا يجوز.
- يضحك السفير ثم يستطرد قائلاً:
- كلنا بنكمل بعض يا مولانا..
- لسه سعادتك متردد تفتح استثمارات عندنا؟
- دى بقى هتتفق فيها مع حفيدى.
- (القيصر)! هو موجود الحين؟
- أيوه وهيحضر المولد السنه دى.
- يتسائل شاب العائلة الملكية قائلاً:
- فينا نتعرف عليه؟
- هيكون موجود هنا حالا، بمجرد ما تتغدى هيكون فى انتظار سموكم.
- بربك، ما نقدر.
- هكذا اعترض رجل الأعمال صاحب أول زيارة.
- بربك ما تكسفننى..
- ولا تقلق عاملين حسابنا فى الأكل، الأكلات المصرية موجودة والخليجية موجودة!
- تعلو الضحكات مرة أخرى!
- يقف مولانا أمام باب غرفة الصالون أثناء دخول الضيوف مرة أخرى بعد أن انتهوا من الغداء، حينها يطل عباس من باب الشقة عائداً من الفيلا فيباغته بالسؤال:
- هو فين؟
- دورت عليه فى الفيلا ملقيتوش.

ثوان من الصمت استغرقتها مولانا قبل أن ينهره قائلاً:  
- غور.

ثم يدخل غرفة الصالون مُرحباً للمرة المائة:

- وراس الشيخ عبد الحسيب النهار ده بالنسبه لنا عيد.

- أشكرك يا شيخ، أكرمتنا.

هكذا أجابه الضيف صاحب الزيارة الأولى قبل أن يسأله السفير السؤال  
الذي يخشاه:

- وينه القيصر، بدنا نسلم عليه قبل ما نمشى؟

بإحراج حاول مولانا جاهداً إخفاءه:

- فى الحقيقه أنا كلمته فاجئنى انه بيقوم بواجب العزاء فى والد أحد  
أصدقائه فى القاهره..

هو قاللى انهم انتهوا من الدفن وجاى فى السكه دلوقتى.

ثم ينظر فى ساعته قائلاً:

- بالكثير ساعتين ويكون هنا إن شاء الله.

وبالفعل نجح مولانا فى تحسين صورته هو والحفيد، قدر المستطاع  
وإجبارهم على إنهاء الزيارة بناءً على رغبتهم دون تدخل منه، فيقف أحد أفراد  
العائلة لينهى اللقاء قائلاً:

- للأسف كان نفسنا نسلم عليه.

- لا بربك ده أول ما عرف حلفنى أمسك فيكوا، لحد ما يجى ويتشرف  
بمقابلتكو.

- هتتعوض مره تانيه يا شيخ.

هكذا قال السفير قبل أن يصفح مولانا ويغادر..  
يتلوه رجل الأعمال الذى ودعه مولانا قائلاً:  
- أنا أتشرفت جدا بالزياره دى سموك.  
- واحنا اتشرفنا بمعرفتك يا شيخ أبو هاشم.  
انتظر شباب العائلة الملكية ليعطى مولانا الحقيبة، ويبلغه الرسالة المُكلف  
بها قائلاً:

- الوالد سمو الأمير بعث لك معى برقية تهنئة بمناسبة المولد الشريف  
للشيخ عبد الحسيب..  
ويتقدم بهذا التبرع المتواضع لعمارة المسجد وفقراء القرية.  
يأخذ مولانا الحقيبة مداعبا الأمير بابتسامه قائلاً:  
- دام عزك يا وطن!

\*\*\*

بعد إنصراف الضيوف ما زال هاتف الحفيد مغلقاً، مما دفع الجد ليتوجه  
على الفور للفيلا..

يدخل وخلفه عباس الذى استأذنه قائلاً:

- هطلع أشوفه فوق يا مولانا.

دقائق قليلة ثم يعود ليخبر مولاه:

- مش موجود فى ولا أوضه ولا حمام.

حينئذ تأكد أين سيجده فأمر خادمه قائلاً:

- إستنى فى العريه.

- أمرك يا مولانا.

يخرج ويحكم غلق الباب خلفه، ثم يتجه مولانا إلى غرفة المرحومة في الأسفل ويفتح بابها ببطء، ليجد ما لم يره من قبل يجد (القيصر) نائمًا على سريرها في وضعية الجنين وهي (قدماه مضمومتان لصدره وكفوف يديه بين فخذيه)..

كان ظهر (القيصر) هو المواجه لمولانا، حين شعر بوجوده التفت إليه ليرى الجد ذقنًا لم تُهذب منذ أيام! على الضوء المتسلل من خارج الغرفة فقط، يجلس الجد والحفيد على السرير وجهًا لوجه في صمت استغرق ثواني حتى بادر مولانا بالسؤال:

- ايه اللي انت عامله في نفسك ده..

انت لما ابوك وامك ماتوا معملتش كده.

بصوت مبحوح أجاب الحزين:

- لما ابويا وامي ماتوا مكنتش لسه وعيت ولا كنت عاشرتهم السنين دى كلها.

- بس احنا شداد ومهما يحصلنا منعملش في نفسنا كده.

- بس احنا برضه بنى ادمين وبنحس.

- محدش بيموت ورا حد، وكل حاجه في الدنيا بتتولد صغيرة وبتكبر،

إلا الحزن بيتولد كبير ويصغر..

واللى عايز يبقى مولانا لازم يتحكم في احساسه حتى مع أقرب الناس ليه.

- بس أنا مش مولانا.

- هتبقى..

أنا سايبك بقالك أسبوع أهو تعمل اللي انت عايزه، كفايه كده..

من هنا ورايح هتعمل اللي أنا عايزه.  
يقف ليتأهب للرحيل ثم يستدير لحفيده مرة أخرى، ويواجهه بسؤال  
خطر لباله فى التو:

- هو أنا لو مت هتزععل عليا كده؟  
يتحول (القيصر) بنظرة لجدة إلى الجهة الأخرى، دون رد مما أثار غضب  
الجد الذى كظم غيظه قائلاً:  
- ربنا يديم المعروف ما بينا.

\*\*\*

لأول مرة منذ سنوات يطأ (القيصر) غرفته فى منزل مولانا، بعدما أصر  
على اصطحابه معه بعد إجباره على إزالة تلك الذقن البالية، حتى لا يراه أحد  
بتلك الحالة أو الهيئة!

يفتح الجد باب الغرفة فيدخل قدر ثلاث خطوات وفى يده حقيبة صغيرة  
للملابس، أما الجد فما زال عند الباب حين أخبره بآخر التعليمات:

- المولد هيبداً بعد بكره، والليله الكبيره هتبقى يوم الجمعة الجايه..  
إنت هتفضل هنا جنبى لحد ما المولد ينفض علشان وقت ما أعوزك ألاقيك..  
مش عايزك تفكر فى حاجه إلا يوم الجمعة..  
تصبح على خير..  
يا مولانا!

يغلق الباب وينصرف، بينما يقف (القيصر) فى وسط الغرفة وحيداً!

\*\*\*



الاستعدادات للمولد هذا العالم فاقت جميع السنوات السابقة، حيث بدأت بوصول ما يتعدى عشر سيارات نقل محملة بأدوات الفراشة، والإنارة التي كست المنزل والمسجد بالكامل مع الساحة الأمامية وامتدد للشوارع المحيطة أيضًا..

أما اللافت للنظر تلك الخيمة العملاقة التي توسطت الساحة، وصممت على مستوى يضاهاى قاعة المؤتمرات جُعلت خصيصًا لكبار المدعوين فى الليلة الكبيرة..

كما بدأت جميع وسائل النقل من سيارات ملاكى وأجرة وأتوبيسات وقطارات، تنهافت من جميع أرجاء مصر سواء من وجه قبلى أم بحرى أم حتى الدلتا..

غزوا جميع المدارس الحكومية المحيطة، ومركز الشباب ومعظم المحلات الغير مؤجرة التى تحيط بالمسجد، فتلك الأيام تعد موسم رواج لأصحاب العقارات الفارغة وعمال المدارس ومركز الشباب ومحلات البقالة ومطاعم الأكل..

ولا سيما رفع حالة الطوارئ فى مديرية الأمن وانتشار قواتها فى أنحاء القرية لتأمين الحدث..

طوال أيام المولد يتهافت الناس على المقام فى توسل وتمسح وبكاء ودعاء، جميعهم ينتظر تلك الأيام من العام للآخر عدا جميع العاملين لدى مولانا اللذين يواصلون الليل بالنهار، وبالكاد تغفل أعينهم سويعات من بعد منتصف الليل وحتى قبل الفجر وعلى رأسهم جريير، المُكلف بمعظم المهام سواء تنظيم رواد المقام ومنع الهرج والمرج أم تنظيف شقة مولانا لاستقبال ضيوفًا أما أصعبهم فهى الخدمة، فى الدور الأول للمنزل المُخصص لإطعام الفقراء.



خلال تلك الأيام يكتفى مولانا باستقبال الزوار المهمين فى منزله، كفنانيين أو إعلاميين أو رجال أعمال وساسة، ولا يظهر فى المسجد أو المقام كثيراً نظراً للتراحم والتدافع من مريديه تهافتاً عليه ولتقبيل يده.. وفى الليلة السابقة لليلة الأهم على الإطلاق، وهى الليلة الكبيرة نزل لأرض الاحتفال بصحبة خادمى المقام مُلتفين حوله لتيسير حركة سيره فى ذلك الزحام..

يرى جرير يخرج من المسجد فيلوح له بيده، وما من الثانى إلا أن أتاه فى طرفة عين، لكن يتضح عليه الإرهاق والإعياء الشديد نظراً للمجهود شبه المتواصل على مدار الخمسة أيام الماضية:

- أوامرك يا مولانا.

يضع مولانا يده على كتفه، ويسحبه رويداً ليقترّب بأذنه حتى ينتبه للتعليمات وسط ذلك الضجيج:

- بكره فى الليله الكبيره، بعد ما هنتفعل..  
كل الأكابر والبهوات والمسئولين هيطلعوا البيت يتعشوا..  
مش عايز منك بكره أى حاجه تحت..  
كل اللى هتعمله بكره من بعد صلاة الجمعة لحد ليل هو تنضيف الشقه كويس..  
كنس ومسح وتلميع ورش وكله..

مفهوم؟

- مفهوم يا مولانا.  
- مش عايز تأخير ولا تقصير، علشان انى خلاص روحى بقيت فى مناخيرى.  
- عينيا يا مولانا عينيا.

\*\*\*

بعيداً عن الضجيج والزحام يقف جرير يلوح بيده ليستوقف (تك تك)،  
لكن معظمهم مشغول بالركاب نظراً للزحام الطارئ على القرية، يمر من أمامه  
أحدهم فارغاً فيصيح جرير قائلاً:

- فاضى؟

- سبعة جنيه.

هكذا طلب الشاب بعد أن وقف استجابة لطلب جرير..

يقترّب جرير منه قائلاً:

- ليه يا ابني ده بتلاته جنيه بنركبه على طول.

يتعرف عليه السائق قائلاً:

- عم جرير، اركب.

أثناء الطريق يعتذر السائق قائلاً:

- لا مؤاخذه يا عم جرير افتكرتك حد من المولدجيه.

- وانتو بتدفعوهم سبعة جنيه فى المشوار؟

- اه، ولو طولنا ندفعهم أكثر هندفعهم..

مش هما اللي غاويين موالد وبيجولها من اخر الدنيا..

تصدق وتؤمن بالله يا عم جرير..

- لا إله إلا الله.

- أنا ركب معايا ناس هنا من بر مصر كلها..

الاسكندراني والصعيدى والكفراوى والشرقاوى، كله..

بس إنت الله يكون فى عونك يا عم جرير اتلاقىك طلغان عينك.

- اه والله يا ابني.

- من غير ما تقول يا عم جرير، هو انت ايه اللي يخليك تركب الخطوه  
دى الا لما تكون على اخرك.

- ربنا يسهل وبكره ده يعدى على خير.

يصل للمنزل وبعد محاولات وقسم من هنا ومن هناك يرفض السائق  
الأجرة كرامةً لراكبه الطيب، ثم يتجه جرير لداخل المنزل فيجد زوجته على  
سجادة الصلاة، لتأدية صلاة العشاء وعلى الفور يتمدد على كنبته.

- مالك يا ابو سميه؟

هكذا سألته زوجته عقب إنهاء الصلاة وخلعها للخمار.

- تعبان أوى، باينى خدت ضربة شمس.

- ما كفايا منه الشقى ده يا ابو سميه.

- كفايه ازاي يا عيشه، ده اللي بيخلف عيال فى شبابه بيقعد طول عمره  
فى شقى وتعب لحد ما يكبرهم ويجوزهم،

شوفى انتى بقى اللي خلف على كبر هيشقى ويتعب لحد إمتى.

- منا طلبت منك أكثر من مره تسيبنى أنزل فى موسم الجمع ولا...

- متقوليش الكلام ده تانى يا عيشه، أنا طول ما أنا فيا نفس داخل خارج،  
مش هخلى حد فيكوا يخرج من البيت لشغل ابداء.

هكذا قاطعها قبل أن يستأنف باكيًا:

- وانا متأكد إن ربنا هيدينى الصحه والعمر علشان خاطر البت الغلبانه  
اللى جوه دى.

ثم يرفع يديه داعيًا:

- يا رب إديني بس القوه إني أخليها تكمل تعليمها للآخر وأسترها..  
يا رب مش عايز حاجه تاني .  
نداء عالٍ من الأم فزع الابنة فى غرفتها، فخرجت لتجد والدها مُستلقيا  
فى حالة سيئة:

- ما لك يا با ما لك، ابا ما له ياما؟!!

هكذا سألت عائشة وهى جالسة على ركبتيها، ممسكة بيد والدها الذى  
حاول تهدئتها بما تبقى لديه من وعى قائلاً:

- مفيش يا حبيبتى أنا كويس .

طلبت الأم مساعدتها قائلة:

- سنده معايا ندخله جوه .

وبالكاد استطاع الاثنتان مساعدته للوصول لسريره، وما أن استلقى عليه  
حتى أوصى زوجته بالحاح بكلمات أغلبها غير واضح، ولعثمة بسبب ارتفاع  
درجة حرارته وعينين اغرورقتا بدموعهما تنظران لسقف الغرفة:

- عيشه، تصحيني بكره قبل صلاة الجمعة علشان هنضيف البيت الكبير  
علشان الضيوف اللي هيجوا بكره..

إوعى تسيبني تروح عليا نومه..

ان شا الله لو لاقيتيني بموت برضه صحيني..

مفيش غيرى اللي هينضيف البيت، ولو ما اتنفضش مولانا هيخرب بيتى .

لم تتماسك الزوجة فانهاالت دموعها هى الأخرى قائلة:

- نام انت يا ابو سميه ما تخفش هصحيك يا خويا، هصحيك .

## الفصل الحادى والعشرون

اليوم هو الليلة الكبيرة، اليوم المُنتظر لمولانا ومريديه.. بمجرد انقضاء صلاة الجمعة، وبدلاً من أن ينتشروا فى الأرض ويتغوا من فضل الله ويذكروه كثيراً، ابتغوا من فضل سيدهم عبد الحسيب وتمادوا فى ذكره، ثم رفرت أعلام ولافتات الطريقة الهاشمية وعلت جميع الأعمده. تضاعفت الأعداد وتكدس الزوار ومرتادو المقام وانتشر التحرش والاحتكاك بين الرجال والنساء..

وتوالى النُذور النقدية التى لا تستوعبها صناديق المسجد الموجودة فيتم الدفع بصناديق إضافية، أما النذور العينية فتكون على هيئة مواد تموينية أو مواشى وأغنام محملة على سيارات نقل، ذُبِح منها الضعيف وكبير السن لإطعام المساكين والأغلبية أرسلت على الفور لمزرعة مولانا، كما وصل إيجار ما تبقى من محلات أو جراجات فى تلك الليلة فقط لألف جنيه بحجز مُسبق يتجاوز الشهر، ولا سيما أسعار الحمص وحلوى المولد المُنتشرة فى أرجاء المكان.

لم يكن ذلك اليوم فقط لمحبنى ومريدى الشيخ عبد الحسيب فقط، بل كان لصنفين من البشر أولهم من أتى بحثاً عن بعض الدجالين دائمي الحرص على حضور مثل هذه الموالد، التى يجنون من ورائها آلاف الجنيهات، وذلك رغبة فى إخراج جن، أو فك عمل، أو صنُع حجاب!



أما الصنف الآخر فهم محبو ومريدو المتعة وممارسة الجنس، وذلك عن طريق بعض القوادين المنتشرين هنا أو هناك، وبخبرتهم القدرة فى ذلك المجال يمكنهم العثور على راغى المتعة من وسط آلاف الحاضرين، وعلى حسب إمكاناته المادية يمكنه الحصول على ساقطة لم تتخط السابعة عشرة عديمه القدرات الشكلية أو الجسدية والانفراد بها لدقائق قليلة فى مدخل منزل مهجور أو تحت سلمه، أو تدفع الضعف وتحصل على خلوة أفضل فى خيمه وسط خيام المولد، أما إن كنت من أصحاب المقام الرفيع فستكون ضيف مهما، فى شقة فاخرة تطل على ساحة المولد بها أفضل بضاعتهم من الساقطات ومخدر الحشيش وبعض أنواع الخمور المضروبة.

أصوات مُنشدِين ك - (العربى فرحان البليسى، ياسين التهامى، الشيخ عليوه) تلاحقك أينما ذهبت..

رتبة لواء بصحبة عميد وعقيد بتشكيلين من الأمن المركزى، وعشرة سيارات إسعاف مُجهزه تأهبوا جميعًا من أجل كبار الضيوف.

\*\*\*

تقف سمية يملأها القلق فى انتظار والدتها التى خرجت للتو من غرفتها:

- عامل ايه دلوقتى ياما؟

هكذا سألت سمية بلهفة.

- تعبان أوى والسخنيه عماله تزيد، وعمال يخترف فى الكلام..

وكل اللى على لسانه مش عايز اتأخر مش عايز اتأخر.

- والعمل ياما الجمعه خلصت من ساعه والوقت بيعدى.

- هروح أقولهم انه تعبان، هما ايه اشترونا؟



- تتأثر سمية لأحوالهم السيئة فتدمع عيناها قائلة:
- أيوه ياما اشترونا، مولانا واللى زيه ما بيحسوش باللى زينا..
  - وحتى لو اتصرفوا، ممكن يقطعوا عيش ابويا.
  - خلاص أروح أنا أنضف البيت بداله.
  - ابا كل شويه بينده عليكى، ولو مش لاقاكى هتبقى مشكله.
  - تتجه الأم بنظرها إلى السماء من خلال الشباك طالبة العون:
  - والعمل يا رب، نعمل ايه؟
  - أروح أنا ياما؟
  - تروحي فين انتى انهبلتى؟!
  - ما هو مفيش حل غير كده، ولا حتى فى وقت أصلاً نفكر فى حل تانى،
  - أبويا كان المفروض يكون هناك من ساعتين.
  - أبوكى لو عرف هتبقى نصيبه.
  - ولو محدش راح هتبقى مصيبه أكبر.
  - بلاش يا سمية، بلاش يا حبيبتى.
  - ماتخافيش ياما، أبويا مش قالك انه مفيش حد هناك فى البيت..
  - هناخد المفتاح من ابويا وهروح أنضف البيت بسرعه وأجى.
  - ولو سأل عليكى؟
  - قوليله فى الدار بتحفظ قرآن، وربنا يسامحناع الكدبه دى.
  - قلبى مش مطاوعنى.
  - صمت من الابنة لثوان حتى تمنع نفسها من البكاء الشديد:





- تعالَى على قلبك ياماً..  
علشان خاطر لقمة العيش!

\*\*\*

يعتلى مولانا كرسيًا خشبيًا ضخماً عند قبلة المسجد، مكسواً بإسفنجة مُغطىً بطبقة قماش زرقاء اللون يشبه ما يُخصص للمقرئين فى سُرادات العزاء الكبيرة..

أمامه المسجد مكتظ بمريديه مصطفين وجهاً لوجه، فى صفوف طوله كما هو الوضع فى الساحة الخارجية..

جميعهم كأن على رؤوسهم الطير استعداداً لبدء الحضرة السنوية، التى تُبارك بحضور مولانا صاحب الطريقة الهاشمية،

يبدأ مسئول الحضرة الموكل من قبل مولانا بكلمات رثاء لمولاهم وإمامهم وحببيهم الشيخ عبد الحسيب ثم مديح فى حبه، بدأ الجميع يتمايلون ببطء يميناً ويساراً فى تجلُّ كجسد واحد!

فى الأعلى يعانى (القيصر) منذ 8 ساعات من كوابيس تُطبق صدره يُبكي فيها تارة ويصرخ تارة أخرى، لكن المشترك فى جميعها أنها تدور حول محبوبته حليلة..

فى نهاية تلك المعاناة يستيقظ بسبب كابوس فيه رأى أشخاصاً مُلثمين، أطلقوا عليها الرصاص وأردوها قتيلة فأسرع ناحيتها واحتضنها ودماؤها تسيل عليه حتى كست جسده بالكامل..

يفتح عينيه فى حالة هياج انتابته، على إثرها أطاح بمعظم محتويات الغرفة قبل أن يتوجه لدولاب الملابس وينهال عليه بنطحات من رأسه..



علت أصوات الذكر الموجودة بالأسفل وزادت التأوهات الصوفية، مما استفزه فحاول أن يشوش على تلك الأصوات بآخر أكثر إزعاجًا فكان اختياره لموسيقى ميتال من قائمة الموسيقى بهاتفه، وتوصيلها بتلك السماعات الهائلة الموجودة في غرفته مع أعلى مستوى صوت نتج عنه أزيز زجاج المنزل بالكامل..

اختلاط موسيقى الميتال بذكر المريرين، إضافة لصداع نصفى يدك رأسه خلقوا جميعًا لديه رغبة عارمة فى الانتشاء، فتوجه لأحد الأدرج وأخرج المدواخ وآخر جرعة من الماريجوانا، وأفرغها بالكامل داخل فوهة مدواخه حتى امتلأ وانسكب الفائض على الأرض، أشعل نباته الأخضر وسحب ثلاث دوخات متتالية سريعة، كن كفيلات لتترنح الأرض من تحت قدميه خاصةً أنه مُستيقظ لتوه من النوم..

لم تكن الثلاثة دوخات تلك كافيات له، فأضاف لهن من ثلاثته الصغيرة دفعة واحدة ما يُقارب ثلث زجاجة Black Label هو كل محتوياتها قبل أن يصبوها تجاه المرأة ففتشم لذرات..

لم يجد شيئًا مُتبقياً سوى فانلته فمزقها لنصفين ولم يتبق لستره سوى الشورت القصير بالأسفل..

مع اقتراب انتهاء الحضرة وبدء تساقط بعض المشاركين، بسبب الغثيان من التمدادى فى التلويح برؤوسهم، وصوت الجيتار الكهربائى الذى كاد أن يسبب له ثقب فى أذنه فى حجم ثقب الأوزون، وصل لذروته حين أخرج اثنين من صفائح البيرة ( Can ) وفتحهما ثم رطمهما معًا فتحول محتوَاهما كغشاء البحر فرفعهما لأعلى ليُفرغهما فى جوفه، فوقع فاقداً للوعى وسط الغرفة بالتزامن مع انتهاء ذكر الحضرة وضجيج الموسيقى!

تفتح سمييه باب الشقة بحرص ثم تدلف ببطء مرتدية جلبابًا أسمر اللون  
يعلوه حجاب من نفس اللون، عند وضعها لمفاتيح الشقة على منضدة السفرة  
تقع عيناها على جلباب و بجواره عباءة وطاقية، جميعهم يعودون للون الأبيض  
أحضروا خصيصًا لإمام الليلة..  
هدوء المكان طمأنها بعدم وجود أحد فتنازلت عن حجابها.

\*\*\*

فى صدر الخيمة وسط الساحة، يقف مولانا وسط حاشيته لاستقبال كبار  
المدعوين وزائرى الليلة الكبيرة..  
يأتيه عباس بعهدته تلك الليلة هاتف مولانا المحمول، ينظر فى شاشته  
فيجيب فورًا مبتسمًا:  
- سعادة الباشا..

وانت طيب يا فندم..

كان نفسى سعادتك تشرفنا النهار ده..

هو صل سلام سيادتك ليه، هبلغه سعادتك هبلغه..

دى شهادة تقدير بالنسبة له سعادتك، اه والله..

مع ألف سلامه سعادتك مع ألف سلامه فى حفظ الله..

ثم يُغلق الخط ويُعيد العُهدَة مرة أخرى.

صوت المكنسة المزعج هو ما استدعاه من غيابة هواجسه، وبيطء

سلحفاة بلغ عمرها مئتى عام فتح جفونه ورفع رأسه..

تقف سميية وسط الصالة مُستخدمة المكنسة، ترتدى بنطال بيجامة ينتهى

قبل كاحلها بشبر وبلوفر من الصوف بأكمام قصيرة بعد أن خلعت جلبابها

خشية أن يتسخ..



تتفاجأ بصوت (القيصر) يصيح خلفها قائلاً:

- ايه الدوشه دى؟

تجمد الدم داخل عروقها وارتعشت جميع أطرافها، حين التفتت فوجدته عارياً إلا من الشورت القصير..

تلجم لسانها وانسدت مخارج ألفاظها دون حراك منها.

- انتى مين؟

بالكاد استطاعت الإجابة بلعثة شديدة:

- انى، انى، انى سميه بنت جرير..

جايه أنصف الشقة.

زاد من حدة نبرته قائلاً:

- طيب مش عايز دوشه.

فازداد فزعها حين ردت:

- حاضر حاضر.

ثم يعود مره أخرى لغرفته والأرض تتهاوى من تحت قدميه من فرط السكر ثم يحضر الـ (لاب توب) الخاص به من طراز Apple وزجاجة Amstel ويتخذ من كرسي أنثريه مقعداً وممدداً الرجلين على المنضدة..

يستقر الـ (لاب توب) على فخذه ثم يُضاف له فلاشة نت، قبل أن يتم إدخال عنوان موقع إباحى مُشفر له، تطلب رقم الفيزا الخاصة بالقيصر والتي خصص إحداها للشراء عبر الإنترنت ومشاهدة الأفلام إنتاج الأسبوع قبل أى من عوام الكرة الأرضية..

لما يقرب من دقيقة ظل ينظر لخانة البحث داخل الموقع حتى قاده شهوته آنذاك لكلمة Teen وبدأ المشاهدة..



تنتهى سمية على عجل من آخر أعمال النظافة، بعدما استترت بجلبابها وحجابها وتهم نحو باب الشقة لتعود من حيث أتت فترى ظلّه قادمًا من غرفته بضخامة ظل الرجل الأخضر بعد تحوله، وذلك بعد تدفق الدم فى شرايينه وعروقه بعد أن سمح لتلك الأفلام أن تثيره، اعترض طريقها ووقف حائلًا بينها وبين الباب، ثم استوقفها قائلاً بعينين تحولتا للون الأحمر ولسان استسلم لتأثير المخدر الذى انتشر فى دمه:

- انتى عارفه..

أنا كنت فاكراى جربت كل أنواع الجنس..

لكن يظهر إنى كنت غلطان.

يمد لها يده قائلاً:

- Come On

- إنت عايز إيه؟

- عايزك.

- عايزنى إزاي؟

استجمعت كل قواها واندفعت ناحية الباب، لكنه منعها واحتضنها بيده حتى كاد أن يعترض عظامها، ثم اصطحبها وهو يحملها عنوة إلى غرفته وألقاها على أرضيتها، ثم اعتلاها جلوسًا حتى استقرت بين ركبته فبدأ بفتح الكبسولة الأولى للعباءة ثم البقية حتى جردها منها وسط صرخاتها واستغاثاتها، لكن هيهات أن يسمع أحدًا خارج حدود الشقة بفعل الضجيج والصخب واختلاط الذكر بأصوات المريدن، ناهيك عن الدور الأرضى وأصوات عامله التى تعلو لمداها حتى تُسمع بسبب صوت شعلات النار الخاصة بإعداد الطعام..



أحكم يداها بقبضتيه ليبدأ فى تحقيق خيالاته الجنسية، التى راودته بعد تأثير المخدرات واجتاحته بعد مشاهدته للإباحيات ..  
تصرخ بما تبقى لها من أنفاس بعد أن طبق على صدرها:  
- يارب.  
- مش عايز أسمع الكلمه دى.  
هكذا نهرها بجنون قبل أن يصفعها على وجهها قائلاً:  
- مش عايز أسمعها.

\*\*\*

يتوسط مولانا الصف الأول فى الخيمه التى اكتظت بالضيوف ..  
يجلس على يمينه المحافظ وبعجواره عضو مجلس النواب، أما على يساره فيستقر مدير الأمن وبعجواره مستشاران وقاض، ثم أحد نجوم السينما من الشباب ..  
فى الصف الثانى بعض رجال الأعمال وأقارب مولانا، أما بقية الصفوف فتعود للمستوى المادى والاجتماعى للضيف  
بدلته المنمقة ذات رابطة العنق الضخمة، يعتلى المسرح الواقع فى صدر الخيمة فى مواجهة الصف الأول، شاعر غنائى من شعراء الصف الأول وأشهرهم ..  
يستعد بإلقاء قصيدة المدح التى أعدها مسبقاً لمولاه الشيخ أبى هاشم عبد الحسيب دون أى نفاق أو تملق، لكن عن إقتناع ويقين تام لا يساورهما الشك بيركاته وأماراته ونسبه الشريف ..  
قبل أن يبدأ طلب العون قائلاً :  
- مدد يا عمى الشيخ أبو هاشم ..  
ثم بدأ قصيدته بـ ...



يقينى بالله يقينى ..

يقينى بالله يقينى قرآنى وفيه تمكينى فى إيمانى بربى ودينى ..  
يقينى بالله يقينى وصلاة الفروض تُرقينى وصلاة الحبيب تُسقينى ..  
يقينى بالله فيه همه فيه عظيمه وصعود اللقمه فيه شرف المجاهد كلمه ..  
ثم يشير ناحية مولانا قائلاً:

والعبد الصالح دليله .

ثم يستطرد قائلاً:

يقينى بالله فيه إرادته فيه معيه ورضاه ورياده فى عناية الكرام الساده بتقيده  
أنوار قناديله ..

يقينى بالله ييقينى فى هدايته ولا يشقيني هو ربي وحينقيني ولا بد طول  
ما أنا بدعيه ..

يقينى بالله حبيبي ومحمد ده نور حبيبي والهاشم حبيب حبيبي ده مدد  
ربى ورسوله ..

ثم يشير ناحية مولانا قائلاً:

هو زادى ونهر عطائى وعبايته دى فيها عطائى ..

هو حالى وهو مثالى ما هو كل آل البيت ألى ..

يقينى بالله يقينى !

بعد أن انتهى وكادت عيناه تدمع تأثراً بحضرة صاحب الطريقة الهاشميه،  
يطلب المدد مره أخرى قبل أن يدعوله

مدد يا عم الشيخ أبو هاشم حبيبي يا عم نظره، نظره منك بالقبول ..  
الله يعزك يا عمى ويخليك لينا على طول، الله يبارك فى عمرك يا مدد  
سيدنا الرسول ..

ثم يتوجه بكلام لكل الحاضرين قائلاً:

قولوا معايا:

الله يعزك يا عمى ويخليك لنا على طول، الله يبارك فى عمرك يا مدد سيدنا الرسول!

يعج المكان بالدعاء من جميع الحاضرين، بينما يشير مولانا لعباس الذى أتى وانحنى له:

- هو (القيصر) منزلش لحد دلوقت؟

هكذا سأله مولانا.

- لسه يا مولانا.

- طيب اطع هاته على إيدك متزلش من غيره، المغرب فاضل عليه تلت ساعه، بسرعه.

ينصرف عباس سريعاً متوجهاً للمنزل..

ينهض (القيصر) من أعلاها مُلتقطاً أنفاسه بعد أن أفرغ طوفان شهوته، أما هى فاصفر وجهها تماماً وتساقطت قطرات العرق من أنحاء جسدها بدءاً من جبهتها، فكانت شبه فاقدة للوعى من شدة مقاومتها وصراخها التى قابلهم هو بلطماته ولكماته لها حتى انتهى الحال بفض بكارتها بالإضافة لتزيف..

وفاضت دمعاتها مرة أخرى حين سمعت طرقات الباب.

- إخرسى.

هكذا نهرها (القيصر) قبل أن يتساءل غاضباً:

- ميبيبين؟

- أنا عباس يا سيدى، مولانا عايزك بسرعه، صلاة المغرب هتأدن.

- بعديبيبين، غور انت دلوقتى.





الذى استقبله بالأحضان والقبلات والابتسامة تملأ وجهه، ثم وضع يده على كتفه متوجهاً بحديثه للحاضرين قائلاً:

- أيها الجمع العظيم، اليوم فى ذكرى مولد أبى الشيخ عبد الحسيب..  
أعلن اليوم عن إعطاء الإمامه اليوم لحفيدي وقره عيني..  
مولانا (القيصر) أبو هاشم عبد الحسيب.  
تعالى هتافات المريدين جميعاً بقول: الله أكبر الله أكبر!  
يستطرد مولانا قائلاً:

- وسأقوم بتنصيبه بعد أن يؤمنا فى صلاة المغرب.  
تتكرر الصيحات ثانياً..

الهدوء، الهدوء لرفع أذان المغرب والإقامة:  
هكذا طلب مقيم شعائر المسجد من الحاضرين فى مكبر الصوت..  
بعد أن رُفِعَ أذان المغرب وتلته إقامة الصلاة مُباشرةً، يدفع مولانا حفيده  
ليؤمهم فى الصلاة..

يتقدم للصلاة فى حين اصطف خلفه الجميع، وما أن لمس بإبهاميه شحمتي  
أذنه مُطلقاً تكبيره الإحرام حتى توارد أمام عينيه خيالات ما حدث بالأعلى..  
أعلى المحراب الذى يقف أمامه تقع عينه على كلمه بالإضاءة من النيون  
الأخضر هى (يارب)..

يتذكر صرخات واستغاثات ضحيته عند قولها (يارب)، وفجأة يشعر بكل شىء  
يتهاوى من حوله، كأنها نهاية العالم أو أن زلزالاً بقوة عشرين ريختر ضرب المكان..  
دوار أصاب رأسه أفقده توازنه، لكن ما أسقطه مغشياً عليه هو ذلك  
الصداع الذى باغته كالضربة القاضية..

ينفزع الجميع من حوله وعلى رأسهم مولانا الذى هرع إليه واحتضنه!



## الفصل الثانى والعشرون

أمام المركز الطبى العالمى يصل أسطول من السيارات الفخمة، تقل بعض ضيوف مولانا تتقدمهم إحدى سيارات الإسعاف التى كانت بالمولد وخلفها سيارة مولانا..

طبيب حديث التخرج وثلاثة ممرضين أمام الباب الداخلى للمستشفى فى الانتظار، وما أن وصل (القيصر) حتى هموا المسعفين بإنزاله ثم اصطحبه الطبيب ومعاونوه لإجراء كافة التحاليل والأشعات المطلوبة..

يدخل مولانا لصالة الاستقبال مُتحدثاً فى هاتفه المحمول، ثم يتوجه لطبيب يبدو عليه الأهمية، نظراً لكبر سنه والتفاف ثلاثة أطباء حوله يستشيرونه، وبدون مقدمات يقطع حديثهم ويمد يده التى تحمل الهاتف للطبيب قائلاً:

- خد كلم.

يتعجب الطبيب لثوان من تلك الهمجية قبل أن يمسك بالهاتف ويُجيب قائلاً:

- مين؟

على الجانب الآخر من الهاتف كان وزير الصحة، الذى بدأ بسؤال المتحدث عن التعريف بنفسه فكانت الإجابة:

- مع سعادتك دكتور حلمى عوض، نائب مدير المركز يا فندم..  
ساعاتك هنقوم باللازم، طبعاً سعادتك مش هنتأخر اننا نقدمه متابعه 24 ساعه..  
تحت أمرك تحت أمرك، فى حفظ الله يا فندم.  
يُغلق الخط بعد أن أنهى المكالمة فى عجلة، ثم يعيد الهاتف لصاحبه  
الذى استأنف قائلاً:

- أنا مستعد أعمل أى شىء علشان ابنى يقوم بالسلامه.

- نعمل تحاليلنا وأشعتنا وبعدين نتكلم يا حاج.

بعد مرور ما يقرب من ساعتين مر خلالهما المريض، على جميع أجهزة  
الأشعة والرنين وخضع لجميع التحاليل..

فى مكتب الدكتور حلمى يجلس مولانا، بينما يُراجع هو جميع التقارير التى  
وردت عن الحالة ويتنقل بنظره ما بين صور الأشعة ونتائج التحاليل..

تزداد ثقة مولانا فى ذلك الطبيب العاكف على تشخيص الحالة، بعدما  
وقعت عينه على لافتة صغيرة على سطح المكتب منحوتاً عليها (أ.د/ حلمى  
عوض، أستاذ ورئيس قسم جراحة المخ والأعصاب).

يبدأ د/ حلمى كلامه دون الخوض فى تفاصيل طبية، أو التلفظ  
بمصطلحات إنجليزية لتبسيط الأمور على تلك العقلية الكامنة أمامه.

- مبدئياً يا حج، ابنك تناول أنواع مختلفه من المخدرات والكحوليات  
وبكميات كبيره..

وفى نفس الوقت إتعرض لحالة إنفعال شديده مع إرتفاع فى ضغط الدم..  
مما أدى الى جلطه فى المخ.

- جلطه!

- مش دى المشكله يا حج، الجلطه إحنا بنحاول السيطرة عليها.

- أمال ايه المشكله؟

- إبنك يا حج وهو صغير كان بيعانى من حاجه أو بيشتكى من حاجه؟

- حاجه زى ايه؟

- تشنجات مثلا، حالات أغماء.

عاد الجد بذاكرته الحادة التى لا تخطئ أبداً إلى عشرين عاماً مضت، وقتما تخطى حفيده الثمانية أعوام بأيام قليلة، حين استدعاه صراخ مدرسة اللغة الإنجليزية فى عصر يوم من أيام الربيع فهرع إلى غرفة القيصر، وبمجرد أن فتح باب الغرفة صعقه مشهد الطفل وهو ملقى على الأرض مُشنجاً مع رغاوى بيضاء تسيل من جانبيه فمه، على الفور أمر بإخلاء الغرفة ثم توجه إليه وضمه لصدره وتأكد أولاً من سلامة لسانه، ثم بدأ فى تنظيف تلك السوائل التى تسربت إلى خديه، وظل محتضنه لدقائق حتى استعاد الطفل وعيه مرة أخرى..

وبعد أن أكد بشدة للمعلمة على ضرورة سرية ما حدث ظلت تلك الحادثة غير معلومه لأحد، مع عدم استشارة أى من الأطباء لعلها تكون حالة عرضية لن تتكرر، لكن السبب الأهم أنه كيف لشخص مثل مولانا يأتية المرضى من كل ربوع الجمهورية، ليقراً عليهم أو يدعو لهم بالشفاء أن يعجز هو فى شفاء حفيده، بل ويطلب العون من الأطباء..

تكررت تلك المشكلة مرة أخرى فى وجود حليلة، وأصبح فى مآزق ما بين حبه الشديد للقيصر الذى تأكد من أنه يعانى من مشكلة ما بعدما تكررت تلك النبوة، وبين عدم ثقته فى حليلة التى يمكن أن تقدم على شىء ما يضر

بمصلحة الجد بدافع حبها لحفيده، لذلك قرر الذهاب دون علم أى أحد لطبيب فى القاهرة لم يسمع من قبل لا بمولانا أبو هاشم ولا بعالمه.. وبعد أن تذكر ما حدث فى الماضى وما أوضحه إليه الطبيب المعالج للقيصر آنذاك، أجب على سؤال الدكتور حلمى قائلًا:

- اه.

ليطلب كبير الجراحين توضيحا أكثر:

- كان يوصله إيه بالظبط؟

- فى سن تمن سنين كانت بتجيله حالات تشنج على فترات بعيدة..

والدكتور قال إن سببها كهربا فى المخ، وكتب على علاج مشى عليه فتره والتشنجات راحت.

- وما إشتكاش من حاجه لما كبر؟

- لأ.

- للأسف تشخيصه كان غلط.

- غلط إزاي؟

- الحاله دى مكتتش كهربا زياده فى المخ، كانت بدايات ورم فى المخ..

جميع علامات الإستفهام والتعجب ظهرت على وجه الجد حين تسائل:

- ورم ايه! ورم ازاي!

- والغريب فى الموضوع كله، انك بتأكدلى انه ما اشتكاش من حاجه بعدها..

والغريب أكثر ان الورم يوصل للحجم ده من غير ما تكتشفوه.

- دكتور فهمنى بالظبط إبنى عنده ايه.

- بعد كل الأشعات والتحليل اللى أتعملته..  
يؤسفنى أبلغك أنه عنده ورم خبيث فى المخ..  
والورم فى حاله متأخره..  
ولو الورم إتسبب بعد حدوث جلطه زى اللى حصلتله، حياته هتبقى جحيم..  
وبرضه العمليه هتبقى نسبة نجاحها ضعيفه!  
بالكاد يستطيع مولانا أن يلجم زمام دموعه، لكنها ظهرت فى كلماته حين  
بُح صوته كمن يعانى من تهتك فى الأحبال الصوتيه:  
- يعنى إيه، مفيش أمل..  
أنا مستعد أوديه آخر الدنيا بس يعيش..  
إبنى لازم يعيش، لازم يعيش.  
- إهدا يا حج، مبدئيا بالنسبه لموضوع السفر فالحاله حرجه ومقدرش  
أنقلها بره الأوضه حتى..  
لو عايز انت تنقلها أنقلها على مسئوليتك الشخصيه وتمضيلى إقرار بكده.  
- يعنى مفيش حل؟  
- الحل الوحيد إننا نسيطر على الجلطه الأول ونتخلص منها وتستقر  
الحاله نسبيا وده هياخد حوالى شهر..  
بعد كده نبدأ نجهزه للعمليه..  
وانا من ناحيتى هاستدعيه أفضل دكاتره فى مصر من حيث التخدير  
والجراحين والمساعدين.  
- ومن ناحية الفلوس كل واحد...  
يقاطعه كبير الجراحين:

- فلوس ايه يا حج ..
- فلوس الدنيا كلها متعملوش حاجه دلوقتي .
- يعنى أنا بكل فلوسى وقوتى دى مش قادر أعمله حاجه ..
- ده أنا الناس بيجولى من كل حته علشان أشفيهم عيالهم ..
- هكذا صاح مولانا فى وجهه غاضبًا .
- إستغفر ربك يا حج وقوم شوفه علشان مش هتقدر تشوفه لحد بعد العمليه ..
- ويمكن ماتشفوش تانى !

\* \* \*

- على سرير وسط غرفة العناية المركزة ينام (القيصر) فاقداً للوعى، عارى الجسد ملصقاً بصدرة عدد لا نهائى من الأسلاك ..
- يدخل الجد بخطوات متباطئة إلى أن يستقر بجانب السرير، متأملاً حالة حفيده الذى لم يتوقع أبداً أن يراه عليها ..
- صعود قمة إفرست قبل تلك الجلطة التى أصابته، وأردته على ذلك السرير كان أيسر عليه من فتح عينيه حينها ..
- ينحنى مولانا سريعاً كى ينتهز تلك الفرصة ليسأله:
- حاسس بإيه؟
  - بالكاد استطاع أن يُجيب بصوت مكتوم غير واضح:
  - شواكيش .
  - ايه، بتقول ايه؟
  - شواكيش بتدق فى راسى من كل الجهات .
  - تدخل ممرضه فى زيها الرسمى وتطلب من الجد:





- لو سمحت يافندم إتفضل دلوقتى ..

لكن لا يعيرها إنتبأها، فتعيد طلبها مره أخرى .

- لو سمحت يافندم إتفضل دلوقتى علشان لازم نغير له الحفاضه .

يُصعق مولانا والقيصر بعد سماع تلك الجملة، ويتأمل الجد حفيده الذى وصل لتلك المرحلة، بينما ينظر (القيصر) للحفاضة التى تمسك بها الممرضة حتى تدمع عيناه ثم يستسلم لآلامه ويغمضهما ..

يشعر مولانا بعجز تناساه منذ نصف قرن منذ لحظة وفاة والده وحتى الآن، ولم يشك أبداً أن يعاوده ذلك الإحساس بعد كل ما وصل له من نفوذ و ثروات، وبالأخص مع حفيده ذلك الرابط الوحيد بينه وبين الحياة، فكل ما كان يحتاجه هو دقائق قليلة ليعطى الإمامه لحفيده ليكمل المشوار والمليار الذى طالما ما حلم أن يتحققا على يد حفيده ..

لذلك كانت تلك لحظة انفجار بركان غضبه الخامد منذ عشرات السنين وتوجه بكلامه للسماء صارخاً:

- إنت بتعمل فيه كده ليه، لو عايز تنتقم إنتقم منى أنا هو ملوش ذنب ..

أنا اللي إختارت أعمل كده ..

انتقم منى أنا هو ملوش ذنب .

على الفور اقتحم الغرفة طبيب العناية وخلفه ممرضة وطوقا ذراعيه وأعادوه للخارج فى حين ظل مستمراً فى صيحاته التى تعالت أكثر:

- انتقم منى انا، انا، هو ملوش ذنب، ملوش ذنب .

\*\*\*

ثمانية وعشرون يومًا قضاها (القيصر) في العناية المركزة ليتعافى من تلك الجلطى التى أصابته وآثارها الجانبية..

خلال تلك الفترة خضع لمتابعة د/ حلمى بشكل يومى حتى أعده لعملية إزالة الورم الخبيث قبل أن يستشرى أكثر من ذلك وحينها يستحيل المساس به..

يقف د/ حلمى وسط غرفة العمليات مع الفريق الطبى الذى اختاره بعناية لتلك المهمة الصعبة ذات الثلاثين بالمائة نسبة نجاح، بينما يشرح كبير الأطباء خط سير العملية ومهمة كل فرد بالتفصيل، يدخل المريض ممددًا على النقالة، حيث تم نقله بعناية شديدة لسرير العملية ثم يلتف حوله الجميع ويبدأ كل منهم دوره!

ورغم خضوع (القيصر) للبنج الكلى الذى أفقده جميع حواسه إلا أنه راوده شعور واحد، وكأنه حبيس لشرنقة شديدة الحرارة ضيقة تكاد تعتصره، ظل يقاومها بالركل واللكم والصراخ حتى شعر بهواء الغرفة البارد يلامس جسده العارى فبدّل حرارته إلى جسم رطب.

أصابته قشعريرة شعر برعشتها أنه تحرر من كل قيود ماضيه وحاضره، ولم يعد حاجز الزمان أو المكان عائقًا له..

فتح عينيه فوجد خيالات غير واضحة المعالم لوجوه مكمنة تنظر إليه لم يتعرف على إحداها، نهض من مكانه فشعر بأن حركته بطيئة للغاية، وتشبه حركة رائد الفضاء داخل سفينته بعد خروجها من الغلاف الجوى وفقدتها للجاذبية الأرضية.

سبح لأعلى حتى ركن الغرفة، ثم نظر للسرير فوجد شخص بلا حراك مستسلمًا لتلك الأيدى التى تعبت برأسه كما تشاء..

لم يكن يجهل تلك الملامح، بل كان يجهل شخصيه صاحبها (اسمه، تاريخه، سنه) أية معلومة عن ماضيه..

فجأة لاحظ حالة هلع انتابت جميع المكمنين داخل الغرفة، حين نظر أحدهم إلى جهاز لم يتعرف على اسمه أو وظيفته، لكنه يحمل أرقامًا تتهاوى كبرج التجارة العالمى يوم الحادى عشر من سبتمبر.

على الفور مقبضين من الحديد بحوزة طبيب لم يعرف لهما اسمًا أو استخدامًا، إلا أنهما كلما لامسا صدر ذلك الجسد العارى انتفض من غفلته.. ظل يتكرر ذلك المشهد أمامه مرات حتى شعر أن ذلك المستسلم للنوم هناك يحتاج إلى مساعدة، فتوجه له ودنا منه حتى احتضنه، ولم يشعر بالاطمئنان عليه إلا حين رأى ملامح الهدوء عادت مرة أخرى لوجهه أو لائك الناظرين له..

مئتا دقيقة هى مدة تلك الجراحة الشاقة التى توقف القلب خلالها لشوان قبل أن يعود مرة أخرى لوظيفته..

على الرغم من القوانين الصارمة للمركز، بمنع التواجد أمام غرفة العمليات إلا أن الجد خرقها طيلة تلك المدة فى انتظار د/ حلمى للاطمئنان على صحة خليفته ووارثه الوحيد، وما أن طل الدكتور حتى هم ناحيته وقبل أن يسأله السؤال المعتاد الذى يقع على مسامع جميع الأطباء، فور خروجهم من غرفة العمليات يُبادر برد غير معتاد يتلفظ به لأول مرة:

- اللى حصل جوه ده كان معجزه..

كل شىء كان بيتم بقدره إلهيه عجيبه..

وفى النهايه الحمد لله العمليه نجحت ميه فى الميه..

إحمد ربنا!

يستنشق الجد شهيقًا طويلًا يعيد له الحياه مره أخرى، ظنًا منه أن الأمور ستؤول مجددًا لما كان يخطط له..

أما (القيصر) فتم إعادته لغرفة العناية ولا زالت آثار التخدير مسيطرة عليه.. أثناء تواجد جده وعباس أمامه حين ظل يتمم بكلمات لم يستطيعا تفسيرها..  
- هو يقول ايه؟

هكذا سأل الجد مُساعده.

- مش عارف يا مولانا.

وأثناء مرور د/ حلمى فى صباح اليوم التالى يفتح (القيصر) عينه لأول مرة، منذ جرعة المخدر بالأمس فىرى ابتسامه الطيب الهادئة، وقبل أن يبدأ الطيب بمحاورته للاطمئنان على حواسه سواء السمعية أم البصرية أم الإدراك أيضًا بادره (القيصر) بصوت مكتوم عانى فى تفسير كلماته:

- جرير، جرير.

- ما لك، عايز ايه؟

ينفعل (القيصر) قدر طاقته فى تلك الحالة البائسة قائلاً:

- إندهولى جرير، عايز أشوفه.

- طيب إهدى وانا هعملك اللى انت عايزه، بس متنفعلش.

بكل ما يحتكم من قوة فى ذلك الحين مد يده بصعوبة، ليقبض على كف ذلك الطيب الذى توسم فيه الأمانة وحفظ الأسرار:

- عايز منك خدمه، مش هرتاح غير لما تنفذهالى..

بس الخدمه دى عايزك تنفذهالى بالطبط من غير ما جدى يعرف بيها خالص، مفهوم؟

- حاضر، بس إهدى، قولى عايز ايه.

## الفصل الثالث والعشرون

بعد قضاءه إسبوعين داخل العناية المركزة دون زيارات مُطلقاً ولا لجدّه أيضاً، ينتقل لغرفة عادية لإكمال برنامج علاجه المقرر من قبل د/ حلمى الذى طرق الباب ثم دلف للدخول فى حين يستلقى (القيصر) على سريره مغمض العينين شارد الذهن، وبمجرد ولوج الطبيب للغرفة فتح عينيه مُتلهفاً ليسأله:

- عملت ايه؟

- بره.

يخرج صاحب الوعد الذى أوفى به ثم يدخل جرير بخطوات متباطئة، ويقف عند نهاية السرير متأملاً حال الشاب الذى تجبر طوال سنين حياته وكانت الدنيا بكل ما فيها من نعم وخيرات وجبال وأنهار بالكاد تملأ عيناه، ينام أمامه لا حول له ولا قوة ورأسه محاصرة بالكامل بالشاش والقطن لم ينج منهما غير وجهه فقط، وأقصى ما يمكنه فعله الآن هو أن يجول بصره فى أركان الغرفة ناهيك عن صوته المكتوم من آثار البنج الآثمة.

- إقعد يا عم جرير.

يتعجب جرير من ذلك الأدب المُستحدث، قبل أن يجلس على كرسى بجوار السرير ويبدأ حديثه قائلاً:

- طول الطريق بسأل نفسي سؤال واحد..

ايه اللي عملناه فيك علشان تعمل...

يقاطعه (القيصر) قبل سماعه لكلمات لا يتحملها:

- أبوس إيدك متكلمش، أنا كل البلاوى اللي عملتها فى حياتى كوم..

واللى حصل يومها كوم تانى..

علشان كده أنا جايبك النهار ده علشان أصلح اللي عملته..

بتتك هتبقى مراتى.

- مراتك!

هكذا رد عليه جرير بتعجب.

- أيوه، بمجرد ما اطلع من هنا وأسترد صحتى هتبقى مراتى رسمى..

ودى أقل حاجه ممكن أصلح بيها اللي حصل..

بس عايزك تسامحنى..

أنا فى اللي أنا فيه دلوقتى مش حمل دعوة ولا حسبان من مظلوم زيك عليا.

يتأوه بسبب الضغط العصبى المحذور عليه تمامًا:

- عايز أشوفها، عايز أشوفها..

ثم يغمض عينيه للتخفيف من الألم..

وبعد دقائق قليلة يفتح عينيه فى هدوء ليجد مُنتقبة، تجلس بجانب فخذه

الأيسر مواجهة له..



تكشف عن وجهها ليرى أمامه سميه كأنه يراها لأول مرة، فتأثير الكحول  
والماريجوانا أضاعا أية تفاصيل كانت تحيط به وقتها..  
بدأ يتأمل ملامح بريئة ما زالت على فطرتها التي خلقت عليها، لم تُلوث  
بعد بدنس الحياة، فتدمع عيناه متوسلاً:  
- سامحيني.

تستسلم دموعها هي الأخرى لا إرادياً.  
- إنتي أكثر حد أنا ظلمته في حياتي..  
إنتي الحاحه الوحيدة اللي حسستني بالذنب..  
أرجوكي سامحيني.

ثوان من الصمت لجمع شتات أفكاره والتخلص من حشجة صوته، قبل  
أن يضع كفه المُشعر الضخم على كفه الرقيق الناعم التي تتكأ به على السرير  
ثم يستأنف قائلاً:  
- إنتي هتبقى مراتي.

تفاجأت السندريلا من طلب الأمير ليدها الذي استطرد قائلاً:  
- وانا مش بقولك كده علشان أصلح اللي عملته بس، لأ..  
أنا عمري ما هلاقى واحده أحسن منك..  
موافقه؟

تضع كفه الأيمن فوق كفه لتحيطه بين يديها ثم تُفاجئه قائلة:  
- موافقه..  
بس مش علشان اللي حص بس، لأ..

علشان، علشان..

علشان أنا طول عمري بحبك.

- بتحبيني!

- أيوه، بحبك من قبل ما اشوفك..

بحبك من وانا صغيره من كلام أبويا عليك..

وعمري ما تخيلت اللحظه دي إلا في أحلامي بس.

- بجد!

- بجد!

تصمت ويبدو عليها الارتباك فكلما أهمت بالكلام تراجعت، حتى سألتها الحبيب:

- مالك؟

- أنا عايزه أقولك على سر خايفه أقوله لأي حد حتى أبويا وأمي .

أربعة عشر يوماً بعد تلك المقابلة، كانت هي كل ما تبقى له لإنهاء علاجه، حضر خلالها جده يومياً لزيارته، لكنه امتنع عن رؤيته متظاهراً بالنوم بسبب المرض..

يوم خروجه يدق الباب بعدما أغلق حقيبة ملابسه للتو، فيظهر السائق الموجود منذ يومين في غرفة تابعة للمركز في حالة خروجه في أى وقت..

- العربيه جاهزه سعادتك.

- لو سمحت خد الشنطه نزلها تحت.

يضيف السائق متطوعاً:

- بس مولانا في الطريق جاى على هنا ولسه موصلش.

- قتللك خد الشنطه نزلها تحت.

دون نقاش يحمل الحقيبة ويخرج من الغرفة متوجهاً للسيارة..



ينظر (القيصر) لعاكاز طبي من الحديد بجانب السرير، تم إحضاره ليتعكز عليه من آثار الجلطة المتبقية التي ما زالت تؤثر بشكل طفيف على قدمه اليمنى بخلاف نصف وجهه الأيمن الذى امتنع عن استقبال الإشارات العصبية، بسبب مشاكل بالعصب السابع..

يمسك بصديقه الجديد الذى سيرافقه، فيستند عليه أمام المرأة ويتذكر ما كان عليه من قوه و عنفوان وما وصل إليه الآن!

\*\*\*

فى طريق العودة يطلب (القيصر) من السائق طلبًا استدعى تعجبه حين أمره، بالمرور على الحوش الخاص بهم.. ثلاث ساعات استغرقتها السيارة للوصول للقرية والتوجه للحوش حيث استقرت..

ينزل (القيصر) متعكزًا على مرافقه الجديد ثم يتوجه لداخل الحوش، ويجلس على ما يشبه مصطبة من الرخام أمام قبر حليلة ممسكًا يد عكازه بكفيه وأسند وجهه عليهما ثم نظر للسماء قائلاً:

- كان نفسى اجيلك بخاطرى، لكن جبتنى على ملى وشى.  
ثم تدمع عيناه قبل أن يستأنف:

- ما أغنى عنى ماليه، هلك عنى سلطانيه!

ثم انفجر صارخًا:

- يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه!

بعد معاناة لساعات على سريره فى الفيلا، قضاها فى التفكير واستعادة الذكريات منذ طفولته، استطاع تأثير المضادات الحيوية المكثفة ومضادات الالتهابات والتورمات أن يغلب يقظته ويرغمه على الاستسلام للنوم..

وأثناء نُعاسه يرواده حلم صوتى لا يوجد به صور أو أشخاص أو حتى خيالات، هو عبارة عن آخر لقاء جمع بينه وبين حليلة فى نفس الغرفة على ذلك السرير..

- يظهر ان الواحد زهق من كتر ما بقى عنده كل حاجه..

كل حاجه مبقلهاش طعم..

حتى الحياه مبقلهاش طعم..

أعمل ايه، أعمل ايه!

- مفيش غيره يا ضنايا، مفيش غيره، مفيش غيره.

وفجأة يرن فى رأسه صوت الشيخ عبد القوى بالآية التى كان يقرأها عند وقوفه على باب مسجده وهى:

- (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق

ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم

وكثير منهم فاسقون)!

يستيقظ مفزوعاً كأنه يرد على هاتف أو مناد قائلاً:

- عرفته يا داه، عرفته!

\*\*\*

كالعاده يختمم الشيخ عبد القوى صلاة الفجر بمفرده، يلتفت فيتفاجأ بالقيصر

يعقبه بختم الصلاة، فيمد يده ليصافح الشاب الغريب قائلاً:

- حرما يا ابنى.

ينظر له (القيصر) لثوان قبل أن يجهد بالبكاء لدقائق دون أى مقاطعة أو

سؤال من الشيخ..

وبعد أن هدأ وتمالك زمام نفسه بدأ فى استرسال كل ما يضيق بصدرة  
ويجول بخاطره ويُشعره بالذنب، وبعدها انتهى من سردها جميعًا كانت أول  
أسئلته لمستمعه:

- بعد كل اللي حكتهولك ده، ليا توبة؟

ابتسامه صغيرة هادئة ظهرت على وجهه، كانت كافية لتريح قلبه قبل أن  
يُجيبه قائلاً:

- يقول الحق تبارك وتعالى:

(قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله!)  
الذين أسرفوا، مش الذين أخطئوا بس، عارف يعنى ايه أسرفوا.. عارف  
الإسراف ده معناه التماذى أد ايه فى الذنوب؟!  
- يا شيخ إنت متعرفش أنا وصلت للمعصية لدرجة ايه، انت مش متخيل  
أنا كنت بعمل ايه.

- ومش عايز أعرف.

ربنا لما يقول:

(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء...).

يبقى مينفعش بعديها نقعد نقول يا ترى ربنا هيغفرلى ولا لأ.

- طاب أنا كنت وصلت لدرجة، لدرجة كنت...

ثم يسكت، فيحثه الشيخ ليطمئنه:

- كمل ما تخافش.

- كنت بشكك فى كلام ربنا.

- ودلوقتى؟

- لأ طبعاً، ربنا سبحانه وتعالى لا يمكن يكون ظالماً أو كارهاً أبداً..

ولا يمكن يكون خالقنا علشان يعذبنا بس .

- خلاص، طالما قولت كده يبقى انت مبتشككش فى كلام ربنا..  
وبعدين مين قالك ان مفيش علماء فكروا فى حاجات من شأنها والعياذ  
بالله التشكيك فى الدين..

ولكن بعد تفكير طويل وبحث..

يرجع لربنا واليقين بيملى قلبه تانى..  
الدين ده مفيش حد شاده إلا لما غلبه.

\*\*\*

هواء نقى لم يُلوث بعد بكذب البشر أو نفاقهم، شق صدره فى الطريق  
الزراعى عند عودته للفيلا بعد شروق الشمس

وفى يده اليسرى مُصحف وسجادة صلاة وباليد اليمنى عكازه..  
يتذكر آخر نصائح الشيخ له وهى:

- لما تطلع من هنا، عايزك ما تفكرش فى ذنوبك القديمه..  
فكر ان الذنوب دى بعد توبتك بقت حسنات..  
بس تطبق شروط التوبه..

ندم على الذنوب، وقف الذنوب، عزم على عدم العوده للذنوب دى مره تانيه..  
يعود سريعاً للفيلا وشعور الراحة والطمأنينة يضىف عليه، ثم يتوجه لغرفته  
وبمجرد دخوله يضع المصحف ويجواره سجادة الصلاة ويتعكز ليحضر ال  
- (لاب توب) الذى استخدمه ليطرق موقع البحث جوجل، ثم ينظر لخانة  
البحث لدقائق يفكر حتى انتهى به الحال أن أدخل لها عنوان (ما حكم الموالد  
والأضرحة داخل المساجد)؟



فى كسور من الثانية ظهر أمامه العديء والعديء من الأبحاث والفيءيوهات  
والمقالات والأحكام الءينية، عن هذا الموضوع  
ظل لأيام متتالية فى بحث متواصل لا يقطعه إلا فروض الصلاة فى الغرفة  
ذاتها أو سويءات من النوم وءقائق للطعام، استعرض خلالها الآراء المؤيءة  
والمعارضة وما يستند عليه كل من الطرفين من حجج وأءلة، ثم انتهت تلك الأيام  
بصلاة استخارة قبل أن يتخذ قراره بالمواجهة!

## الفصل الرابع والعشرون

أمام منزل مولانا يقف (القيصر) ينظر إليه، حيث تتنابه لحظات من التردد تخلص منها سريعًا ثم توجه لأعلى..

فى غرفة نومه يجلس مولانا أمام المرأة يتعطر بمسكه، ثم يضبط طاقيته فوق رأسه قبل أن يغطيها بشاله الأبيض، فى ذلك الحين يطرق الحفيد باب الغرفة ثم يدخل ويغلق خلفه الباب نظرًا لأهمية الحوار..

ينظر له جده من خلال المرأة مُتحدثًا بهدوء:

- خرجت من المستشفى من غير ما تستنى أجي أخذك..

وبعد ما رجعت قعدت أسبوع قافل على نفسك ومفكرتش حتى ترفع سماعة تليفون عليا.

يقاطعه (القيصر) قائلاً:

- كل حاجه عملناها طول حياتنا كانت غلط.

يلتفت له فى هدوء كاظمًا غضبه تمامًا ثم يستأنف قائلاً:

- أنا اللي أعرفه ان العمليه كانت إزالة ورم من المخ..

مش إزالة المخ نفسه.

- اللي معندوش مخ هو اللي يأله حد ويبقى أمنيته انه بيوس إيده علشان  
ياخد منه بركة..

او يتمسح بحديد وفاكر انه كده بيتقرب من ربنا، او ان اللي نايم فى القبر  
جوه ده ممكن ينفعه أو يضره بحاجه.

يفاجئه مولانا بقوله:

- عندك حق..

اللى يعمل كده يبقى معندوش عقل.

- ولا دين.

يُزيد له أيضًا من الشعر بيتا بقوله:

- ولا دين..

بس أنا ما لى ومال الكلام ده؟

- ما لك وما له إزاي، أمال انت بتعمل ايه طول عمرك؟

- أنا طول عمرى بستفيد من ورا الناس المُغيبه، من ورا الناس اللي

اتولدت قلدت أبهاتهم وجدودهم من غير ما يفكروا

أنا بقى غلطت فى ايه، تزعل منى ليه؟

- بقى انت اللي بيعملوا كل ده علشانك وفى الآخر تقولى غلطت فى ايه؟

لم يتوقع الجد تجرؤ حفيده عليه لهذا الحد فوقف صائحًا بغضب:

- أيوه غلطت فى ايه؟

دى ناس بتعمل كده من قديم الأزل وما سألوش نفسهم مره إحنا بنعمل

كده ليه، محدش سأل لمره هو اللي أنا عمال أروحله واندر له ده هينفعنى إزاي

وهو نايم جوه لا حولا له ولا قوه.

ثم عاد لهدوئه المعتاد وحكمته مرة أخرى قائلاً:

- الناس دى لو مكنتش عملت معايا كده، كانوا هيقدوا يدوروا على حد تانى يعملوا معاه كده..

انما أنا إنتهزت الفرصه دى..

عارف ليه؟

- ليه؟

- علشان أنا قررت اخد شويه من حقى فى الدنيا، ولما مشيت فى أول السكه دى وعرفت إنى مش هييقالى حاجه فى الآخره..

قررت إنى أخذ كل اللى أقدر عليه فى الدنيا على حساب أى حد..

جاهل بقى مُغيب مضحوك عليه بيعمل كده بحسن نيه بيعمل كده لمصلحه شخصيه، ميهمنيش..

يشير له بسبابته مستطردًا فى حديثه:

- وخذ بالك..

ربنا لما وزع الأرزاق، محدش عجبه رزقه..

إنما لما وزع العقول، كل واحد عجبه عقله.

- انت عارف انت كده ايه؟

- عارف.

يقترّب من (القيصر) موسوسًا له فى أُذنه بصوت منخفض:

- بس الشيطان أول ما وسوس لآدم قاله كل من الشجره بس..

إنما كل الفجور والبدع والمفاسد والمعاصى اللى فى الدنيا دى، من نفوس الناس..

أنا كمان كل اللى قولته للناس إن الراجل اللى فى القبر تحت ده طيب..

وهما عملوا الباقي!



فى فجر اليوم التالى عقب الصلاة يسرد (القيصر) للشيوخ عبد القوى ما دار بينه وبين جده، فُيُفاجأ برد الشيخ قائلاً:

- عنده حق!

- عنده حق!

- ايوه، قبل أن تسأل الطغاه لماذا طغوا إسأل العبيد لماذا ركعوا..

واحد زيه الناس حاطاه فى مركز ولا رئيس جمهوريه..

هيسيب هو كل ده ويتنازل عنه..

هو من غير الناس اللي صدقته وبتجيله كان قدر يبقى حاجه؟

- لأ طبعاً.

- المشكله مش فيه، المشكله فى اللي صدقه ومشى وراه من غير ما

يحكم عقله ولا دينه..

المشكله فى الناس، أهم حاجه الناس، دول اللي لازم يتغيروا..

واوعى تفتكر ان كل البلد مصدقاه، لأ..

فيه ناس كتير أوى عارفه إنه أبعد ما يكون عن ربنا، وإن كل ده نصب

وضحك على الغلابه..

وانا أعرف ناس كتير منهم، بس للأسف يخافوا يقولوا كلمة حق، أحسن..

قبل أن يكمل يقاطعه (القيصر) قائلاً:

- عندهم حق، جدى ممكن يعمل أى حاجه فى الدنيا علشان يفضل فى

اللى هو فيه ده..

أى حاجه!

- المهم إننا نبدأ نوعى الناس دى هنا فى المسجد بليل من غير ما حد يدري..

أنا كنت ممكن أعمل حاجه زى دى من زمان..

بس للأسف لا حد كان هيستجراً يجيني ولا حد كان هيصدقني، وأسهل  
حاجه تتقال إني بنتقم منه على اللي عمله معايا..  
إنما انت لما التوعيه تيجي منك، هيصدقوها..  
مش ممكن هيصدقوا إن حفيده بيعمل كده لمصلحه شخصيه..  
أنا النهار ده هبدأ أجمع أهالي البلد اللي مش مصدقه في البدع دي ولا  
مقتنعه بيها..  
وتبدأ تكلمهم بنفسك..

بس أهم حاجه الحجج والدليل والسند..  
رغم كل ما أباح واعترف به للشيخ في أول لقاء بينهم، إلا أنه لا زال يحتفظ  
بأكثر جرائمه وشروره على الإطلاق، وهو ما ارتكبه في الليلة الكبيرة فكان طيلة  
تلك الفتره كالقابض على الجمر ومترددا لمصارحة شيخه، حتى استجمع قواه في  
تلك اللحظة وهزم تردده وبدأ اعترافه قائلاً:  
- فاضل حمل طابق على قلبي وعازيز أبوح لك بيه.

بعدها بأيام قليلة بدء توافد بعض الشباب على المسجد، بعد صلاة العشاء بساعة  
ومن ثم فتح حوار ونقاش وجدليات حول فكرة الأضرحة والتوسل بها، وأمارات  
المشايع ومن يدعون أنهم من أولياء الله وما إلى ذلك..  
استمر ذلك النقاش لخمسة أيام في كل مرة يزداد الحضور وتتوافق الآراء  
وفي آخر لقاء لهم ليلة الخميس، اتخذوا قراراً بإحياء صلاة الجمعة في الغد في  
مسجد الشيخ عبد القوى، والأهم هو دعوة أصدقائهم ومعارفهم في ذلك اليوم..  
وبعد أن انصرف الجميع وهدأ المكان، يقف (القيصر) عند أحد شبايك المسجد  
يمسك بيده أحد أسياخ الحديد الصدئة المشته على الشباك ونظره مُعلق بالقمر المكمثل  
في السماء، ولم يستدعه من رحلة بحثه هذه سوى صوت الشيخ حين سأله:

- ما لك؟

دون أن يتعد بنظره عن هدفه أجاب:

- بفكر فى بكره.

- خايف؟

- أنا عمرى فى حياتى ما كنت حاسس بسلام داخلى أد اليومين دول  
طول عمرى كان عندى كل حاجه واللى بحلم بيه بلاقيه، لكن دايمًا كان  
فيه حاجه جوايا مش محسسانى براحه.

ينفخ زفيرًا طويلًا يحمل أكبر همومه ثم يستأنف:

- أنا بس خايف على جدى، خايف حب العظمه والسلطه يقضوا عليه.

- بتحبه؟

يلتفت لمُحدثه فيصارحه بمشاعره تجاه جده رغم خلافه معه:

- ده جدى، أنا حتى مفتكرش ابويا وامى، هو اللى ربانى..

ومبيحبش حد فى الدنيا أدى.

- وبكره.

- بكره ده لله.

وهيكون أقل حاجة ممكن أقدمها لربنا يمكن يقبل توبتى!

\*\*\*

على أطراف القرية منزل من الطين بسيط جدًا لا يتعدى الدور الواحد ولا  
يجاوره منازل أخرى، هو ملك للشيخ عبد القوى الذى يعيش فيه وحيدًا بعد  
وفاة زوجته وانتقال بنتيه إلى بيوت أزواجهن..

يدخل من باب منزله فيضع عكازه الخشبى، ثم يخلع عباءته التى تعلق  
جلبابه الأبيض!



يتعالى صوت طرقات الباب فيهم بفتحه ليتفاجأ أمامه بمولانا، فبادر قائلاً:

- الشيخ ابو هاشم، إتفضل!

بلهجة القرية وفي هدوئه المعتاد أجابه:

- عايز مولانا يدخل مكان وضيع بالشكل ده؟

- عندك حق، الشيخ أبو هاشم ما يدخلش أماكن وضيعه ولا فقيره..

بس هتعمل إيه فى القبر اللي من تراب؟!

- ما يخصكش!

بتعصى ابني عليا ليه؟

- أنا؟

إرتفعت نبرته قليلاً:

- أيوه، إعملى بقى خبث الفلاحين ده!

- حفيدك يا شيخ ما جليش انا، حفيدك جه لربنا..

حفيدك ربنا نور بصيرته وشاف الحق، وهو لسه صغير قبل ما السكينه

تسرقه ويبقى زيك.

إستفزته تلك الجملة فصاح غاضباً:

- ومين قالك إن أنا السكينه سرقانى؟

- عارف إن السكينه مش سرقاك وإنك أكثر واحد فى الدنيا عارف إن إنت

على باطل..

بس مش هترضى ترجع عن اللي انت فيه ولا هتقدر ترجع عنه..

عارف ليه..

(أولئك ختم الله على قلوبهم)!

يعود لهدوئه مرة أخرى قائلاً:



- أنا مش جاى أضيع وقتى معاك فى كلام فارغ لا هيقدم ولا هياخر..  
هى كلمه واحده..  
ماتلعيش فى دماغ إبنى، وإبعد عنه..  
وإنت أكثر واحد عارف إن اللى بتفكر فيه إنت وهو ده عمره ما هيحصل..  
عارف ليه..  
علشان مفيش حد فى الدنيا يقدر يحاسبنى..  
أنا حسابى فى الآخره بس!  
فى طريقه للعوده لمنزله بسيارته بصحبة السائق الجالس أمامه على عجلة القيادة يرن هاتفه، وما إن رأى على شاشته اسم (الباشا) حتى تسارعت دقات قلبه وازداد توجسه من هذه المكالمه الطارئه..  
قبل أن يُجيب أصدر نحنحة كبيرة ليتماسك صوته ويظهر فى قوته المعتاده وتماسكه:  
- ألو.  
- إزيك يا بوهاشم.  
- بخير يا باشا.  
- حمدا لله على سلامة حفيدك.  
- الله يسلم سعادتك، ولو انها جت متأخره.  
- كل شىء فى أوانه.  
مش هطول عليك..  
بالنسبه لموضوع الجواز اللى كان سبق وحفيدك طلبه منى..  
تجددت جبهته بعدما ارتفع حاجباه حين تساءل باهتمام وإنصات، على نتيجة أهم طلب يمكن أن ينتشله مما ينتظره من مشكلات..

- أيوه .

- الطلب مرفوض ..

وبالنسبة لموضوع الأرض، فالموضوع صعب ومحدث قادر يخلصه.

بصوت مكتوم ومذبذب سأله مولانا :

- يعنى لا جواز ولا أرض؟

- للأسف..

ونصيحه منى، كن الفتره اللى جايه دى كلها وكفايه اللى إنت عملته فى

حياتك ..

سمعتك ابتدت تسمع وتوصل لفوق ..

واللى بيوقع اليومين دول، الراجل الكبير مبير حموش .

نتيجه لضيق الخناق عليه والمشكلات المتلاحقة، وشعوره بانهياء كل ما استمر

فى بنائه على مدار خمسين عامًا، بعد ثورة حفيده عليه، ينهار فيصرخ فيه قائلاً:

- ومن إمتى الكلام ده، من إمتى مبتقدرش تخلص أراضى ..

إنتو فاكرنى وقعت، إنتو فاكرين أبو هاشم وقع ..

أنا خيرى عليك وعلى اللى زيك كلهم، نص فلوسكو عملتوها من ورا

شغلى ..

وقبل أن ينهى موجة غضبه تفاجئه صافرة إنهاء المكالمة من قبل مُحدثه،

وعلى الرغم من ذلك ارتفعت صرخاته أكثر قائلاً:

- لأه، أسطورة أبو هاشم مش هتنتهى، مش هتنتهى .

ثم ينهى غضبته التى لم يسبق وأن وصلت لذلك الحد، بأن كذف هاتفه فى

أرضية السيارة وحطمه تمامًا!



## الفصل الخامس والعشرون

### صلاة الجمعة!

مسجد مولانا يكتظ بالمصلين كالعادة، بينما لأول مرة منذ عشرات السنين يتجمع في مسجد الشيخ عبد القوي لإحياء صلاة الجمعة ما يقرب من أربعين مُصلياً من شباب القرية ممن سئموا خرافات وبدع مولانا ولم يؤمنوا بها يوماً..

وبعد انتهاء الخطيب المعمم هناك في مسجد مولانا والشيخ عبد القوي هنا في مسجده من الخطبة ثم الصلاة، يتفاجأ المصلون بوقوف مولانا الذي جذب انتباههم وهدأت همساتهم رويداً رويداً حتى اختفت، يتجه إلى المنبر ببطء وهو يستعيد من ذاكرته الكلام الذي أعده لتلك اللحظة مُسبقاً، حتى وصل إليه ورفع قدمه اليسرى على أولى درجاته وأحكم قبضته اليسرى أيضاً على تلك القبة الخشبية في بدايه السور الخشبي له ثم أطال النظر للجالسين الكثر.. ينظر الشيخ عبد القوي إلى (القيصر) ويومئ له برأسه لتشجيعه، على اللحظة التي أصر عليها الحفيد رغم عواقبها الوخيمة تجاهه وتحذيرات الشيخ له خوفاً عليه..

نهض (القيصر) بتثاقل ثم اتجه للمكان الذي لم يتوقع يوماً أن يعتليه..

فوق المنبر كان المنظر مهيبا لمولانا والقيصر، فكل منهم لم يُقدم على ذلك الموقف من قبل..

بدء الجد كلامه بسؤال:

- ابن سيدنا نوح كان ايه؟

فأجابه بعض الجالسين:

- كان مشرك.

- وابو سيدنا إبراهيم كان ايه؟

حصل على نفس الإجابة مرة أخرى:

- كان مشرك.

- وعم سيدنا محمد كان ايه؟

- كان مشرك.

في حين بدء الحفيد كلامه بحديث نبوي قائلاً:

- عن ابن عباس - رضى الله عنه - قال: (لعن رسول الله ﷺ زائرات

القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج)!

ويقول الحبيب ﷺ أيضا لعل بن أبى طالب - رضى الله عنه - : (يا على لا تدع

وثنا إلا طمسته ولا تدع قبرا مشرفا إلا سويته)!

هذا بالنسبة لحكم الأضرحة والمقامات..

أما بالنسبة للذبح أو النذر الذى يفعلهم الشخص من أجل ولى ما..

فقد حذرنا نبينا ﷺ وقال: (من ذبح لغير الله فقد أشرك، ومن نذر لغير

الله فقد أشرك)!





وهناك العديد من الأدلة والأسانيد التي لا تحتاج الى رأى أو اجتهاد، ولكنها واضحة وضوح الشمس..

وكلها تؤكد حرمانية بناء الأضرحة فى المساجد وحرمانية التوسل إليها أو سؤالها فى أمر من أمور الدنيا..

فقد علم نبينا ﷺ ابن عباس فقال له: (يا غلام إنى أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك بشيء إلا قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف)!

يبدأ مولانا فى الاستشهاد بآية من القرآن ليدعم موقفه:  
- قال تعالى:

(قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً)!

صدق الله العظيم

من هم الذين غلبوا على أمرهم؟ هل هم أصحاب الكهف فقط، لا.. بل هم أصحاب الكهف وأولياء الله الصالحين، أولياء الله الصالحين الذين من الله عليهم بالإيمان والتقوى..

هل من الحرام أن نزورهم وندعى لهم؟

إستطاع بداهته أن يحصر إجابات مُنصتيه فى إجابة واحدة وهى؟  
- لا..

وبعد أن أنهى خطوته الأولى وحصل على مراده، بدأ خطوته الثانية وهى شخصنة القضية وتحويلها من قضية عامة إلى موضوع شخصى مع حاقد له، فتحول فى كلامه قائلاً:



- من يجروء أن يقول رأيه فى كتاب الله وأن هذا صحيح وهذا غير صحيح..  
وهل هذه أصبحت بدعا الآن فقط ؟  
وماذا عن الأضرحة التى بنيت منذ مئات السنين ؟  
هل طوال هذه السنوات لم يأت عالم أو فقيه يُثبت أن هذه الأضرحة حرام  
إلا الآن؟

وعلى يد من، شخص لا يكن إلا الكره لى ولكم..  
وكلنا عارفين قصته لما غلط فى سيدنا الشيخ عبد الحسيب..  
حصل ولا محصلش؟

بعض الجالسين:

- حصل!

وما زال (القيصر) يستطرد بهدوء قائلاً:

- صدقونى يا مسلمين، بيايه هايفدنا الشيخ فلان ولا الشيخ علان لما  
نسأله..

ده ربنا قال: (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا  
دعان)!

إذا دعانى أنا، مش دعا سيدى فلان ولا سيدى علان.

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - يقول: قال الله - تعالى - : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من  
عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه)!

ترضى ربنا يسبيك، ترضى إنت تسبيبه علشان خاطر سيدك عبد الحسيب  
ولا غيره..

أما بالنسبة لزيارة هذه الأضرحة والموالد..

يقول حبيبننا رسول الله ﷺ: (لا تشد الرحال إلا لثلاث مساجد المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى)!

نسأل الله أن يعيده الى أخويه الكريمين الشريفين، وأن يزيل عنه سطوة اليهود، وأن يرفع عنه الغمة ويمحو عنه الظلم حتى يعود إليه المسلمون عابدين قانتين تائبين!

هؤلاء الثلاث مساجد التي تشد إليهم الرحال، إنما رايح أزور سيدى فلان، ولا رايح مولد سيدى علان..

فهو حرام، حرام، حرام!

أفيقوا يا أمه لا إله إلا الله، أفيقوا.

شحن المريدين كان آخر نوايا مولانا فأثار عاطفتهم واستفزهم قائلاً:

- ترضوا إن حد يهد مقام سيدنا الشيخ عبد الحسيب؟

فكان من الطبيعي أن تعلو الأصوات وترجر الحناجر قائلة:

- إزاي ده، ولا يحصل أبداً لو هنموت فيها، ده احنا نفديه برقبتنا.

ثم يصرخ فيهم من أعلى المنبر كصيحة قائد لجنوده ليُشعل حماسهم فى

المعركة:

- المقام ودونه الرقاب، ودونه الرقاب، ودونه الرقاب!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

كانت تلك الجملة هى المتفق عليها لبيدأ عباس دوره، وهو أن يقف

ويهتف مستميتاً:

- لا إله إلا الله ومولانا حبيب الله!

فنجح في أن يتبعه الجميع مهللين بنفس الإحساس والتأثر:

لا إله إلا الله ومولانا حبيب الله!

نظرة من عين مولانا لعباس فيبدأ الخطوة الثانية، بأن يقود الناس وراءه ويتجه بهم إلى مسجد الشيخ عبد القوى، بعد أن أعماهم غضبهم وأصبحوا مهيئين لتنفيذ أى شىء دون تفكير وبقناعة تامة..

داخل مسجد الشيخ عبد القوى يعتصر الشاب (القيصر) حضناً، مهئناً إياه على شجاعته وبلاغة رأيه قائلين:

- الله يفتح عليك، ايوه بقى عايزين الناس تفوق..

ربنا يجزيك خير، اتوكل على الله واحنا معاك.

صوت سقوط زجاج أحد الشبايك على الأرض أفرعهم، قبل أن تتوالى عليهم بعض الحجارة الأخرى من قبل بعض الفتيان من دون الخامسة عشرة، يهدئ (القيصر) من روعهم قائلاً:

- إهدوا، إهدوا..

كله يوطى علشان ما يتصابش.

اقترب الغاضبون من المسجد وعلى رأسهم عباس، فهم (القيصر) ليستوقفهم عند باب المسجد حتى لا يقتحموه وتحدث مُشادات كلاميه أو بالأيدى داخله..

عباس ورفاقه أمام باب المسجد مباشرةً وفى مواجهةهم فى الداخل (القيصر) وخلفه الشيخ عبد القوى وباقى المُصلين ولا يفصل بينهما غير ذراع فقط.

بدأ (القيصر) بسؤال عباس المُتحدث الرسمى باسمهم:

- عايز إيه؟

- مش أنا اللي عايز، مولانا اللي عايز.

- تُو، أنا اللي عايزه..

إمشى دلوقتي وأنا هجيله.

عارضه بلهجة حادة لم يجروُ أبداً وتكلم بها مع سيده قائلاً:

- رجلى على رجلك.

يرمقه سيده بنظرة حادة استعاد فيها سريعاً ما كان عليه يوماً، ثم جذبته من

ملابسه مُحذراً إياه:

- انت نسيت نفسك ولا إيه؟

ثم يطلق صراحه بدفعة للخلف قبل أن يأمره:

- خد الناس وامشى.

لثوان يفكر عباس هل انتهت أسطورة (القيصر) للأبد فيمكن الاستخفاف

به وكسر أوامره أو من المحتمل أن يعود لكنف جده مرة أخرى ويستعيد

سطوته وحينها سيكون الموت أقصى أمانيه؟

انتهى به الحال بأن استسلم لأوامر سيده وتراجع قائلاً:

- ماشى، يلا يا رجاله نرجع لمولانا!

فينصرف الجميع عائدين لمولاهم.

يجلس (القيصر) والشيخ وحيدين بالمسجد، بعدما تسلل رفقاؤهم

عائدون لمنزلهم واحد تلو الآخر لعدم حدوث اشتباكات مع أنصار مولانا.

- طاب أجبى معاك أنا والناس ليعملوا فيك حاجة؟

هكذا ألح عليه الشيخ لمرات عديدة قبل أن يُجيبه (القيصر) بإصرار:

- مينفعش، ممكن الناس تشتبك مع بعضها وتبقى مجزرة، بلاش..  
أهم حاجة اللي قولت لك عليه..  
أشوف وشك بخير يا شيخ عبد القوى.  
يقف (القيصر) ويستدير متوجهاً ناحية الباب فيُفاجئه الشيخ قائلاً:  
- الست حلیمه بتسلم عليك.  
يلتفت مُتَعَجَبًا:  
- حضرتك تعرفها منين؟  
- أعرفها عز المعرفه.  
يعود مرة أخرى ويجلس ثانيةً ثم يسأل:  
- تعرفها عز المعرفه إزاي؟  
بابتسامته الهادئة استرسل قصتها معه قائلاً:  
- الست حلیمه كانت هي الوحيدة اللي أحياناً بتيجي المسجد هنا من  
سنين طويلة..  
وعمرها ما كانت مرتاحة لجذك ولا للي بيعمله، وده بدافع إلهي كده من  
غير ما تكون عارفه سند أو دليل..  
وكل اللي مصبرها على وجودها معاها، هو إنت بس وحبها ليك..  
وكانت دايمًا بتدعيلك إن ربنا بيعدك عن الطريق ده وينجيك منه..  
وكانت دايمًا بتطلب مني أدعيلك في صلاة الفجر إن ربنا ينور بصيرتك  
ويردك ليه..  
وكانت بتسألني دايمًا يا ترى فيه أمل إن ربنا بيعدك عن الطريق ده..



كنت أقولها مفيش حاجه فى الدنيا ولا فى الاخره بعيده على ربنا..  
وامبارح بعد صلاة الفجر زارتنى فى المنام وقالتلى أبلغك السلام،  
وبتقولك إنها مستنياك..

تدمع عينا (القيصر) قبل أن يقف ويطلب منه:

- لما تجيلك المره الجايه فى المنام سلملى عليها، وقولها دعواتك ليه  
قعدتله.

يلتفت فيمسح الدموع التى بللت خديه..

- بس أنا خايف عليك منه.

هكذا عبر الشيخ عن قلقه حيال مواجهته لجده، فأجابه مكتفياً بلفت  
وجهه قليلاً تجاهه دون أن يلتفت له:

- ما تخافش يا شيخ، ده جدى، أنا لحمه ودمه!

أمام منزل مولانا ازدادت أعداد المحتشدين، ولا سيما غضبتهم بسبب  
الأقاويل التى نشرها عباس ورفاقه عن عزم (القيصر) والشيخ عبد القوى لهدم  
المقام..

يصل الحفيد أمام منزل جده، فتتوجه أنظار الجميع له فى صمت، يتقدم  
فى خطوات بطيئة فيتنحى الواقفون رويداً رويداً ليتسع له طريقاً ضيقاً بينهم..  
وأثناء مروره فى تلك القناة التى تسعه بالكاد، بدأ شخص ما بإثارة  
الجماهير المحتشدة - بالضبط كما وصفه العلامة الفرنسى (جوستاف ليموه)  
- بأن بدأ بسبه قائلاً:

- إنت يا كافر عايز تهد مقام سيدنا الشيخ عبد الحسيب؟

حرّكت تلك الجملة المياه الراكدة، فتعالى السباب وتعدى الأمر لأن باغته أحدهم بكيس للقمامة، ألقاه من بين الصفوف فى صدره، أما المحيطون به يسارًا ويمينًا فكان يسيرًا لهم أن يمطروه بصقًا، دون أية رد فعل غير حسرته على ما وصل له أولئك البشر الذى خلقهم الله وكرمهم وجعلهم خلفاء فى الأرض.. يصل لبوابة المنزل التى يقف أمامها عباس الذى رمقه بنظرة تشفّ عن كل الإهانات التى تلقاها فى حياته من ذلك القيصر، ثم أفسح له الطريق حتى يصعد وتبعه إلى الشقه وهو ينتوى له كل شر!

\*\*\*

يجلس الجد على كرسيه داخل غرفة الصالون، حين دخل عليه حفيده وخلفه عباس!

- إنزل إنت تحت مع الناس، ومحدث يفضل فى البيت كله.  
هكذا أمر مولانا عباس قبل أن يخرج ويغلق باب الغرفة ويترك (القيصر) واقفًا فى منتصف الغرفة.

بدء الجد معاتبًا حفيده قائلاً:

- عجبك اللى حصل فى البلد ده، عجبك اللى الناس دايره تقوله عليا ده؟  
- إنت خايف من كلام الناس؟

استفزت غروره تلك الجملة فأجاب غاضبًا وبصوت عال:  
- كلام الناس عندى زى التراب، لو الهوا مطير وش، أبو هاشم يدوس عليه.  
ثم يقف ليقطع الخمس خطوات التى تفصل بينهم، ويقف فى مواجهته مباشرةً ويضع يديه على كتفيه ويستأنف حديثه بعد أن استعاد هدوءه مرة أخرى:



- إنا ايه اللى وصلنا لكده؟  
 إنت طول عمرك حته منى ..  
 إنت ابنى، أنا اللى رببتك وأنا اللى علمتك كل حاجه فى الدنيا.  
 بادله (القيصر) نفس الشعور قائلاً:  
 - وانت أبويا وأنا حته منك ..  
 وأنا علشان بحبك خايف عليك، والله خايف عليك، خايف عليك من جهنم.
- وإنت شايف العمل ايه؟  
 - التوبه.  
 ينزل الجد ذراعيه ليستقرا جانبه ثم يستطرد قائلاً:  
 - التوبه مميمم ..  
 التوبه من إيه ولا إيه ولا إيه ..  
 أنا من يوم ما كبرت وأنا كل أكلى حرام، وكل قرش صرفته حرام ..  
 ليا توبه بعد كل ده؟!  
 - طبعاً.  
 - طيب، أنا معاك واحده واحده ..  
 الناس اللى اتظلمت منى دول أتوب من ذنوبهم إزاي؟  
 - رد المظالم لأهلها.  
 - واللى ماتوا؟  
 - ردها لأهلهم.  
 - واللى ظلمتهم ومعرفهوش، واللى ظلمتهم وماتوا وملهوش حد؟

شعر (القيصر) بتضييق الخناق من جده فتساءل:

- إنت عايز تقول ايه؟

- عايز أقول إن كل اللي بتفكر فيه ده وهم، وهم عمره ما هيبقى حقيقه..

أنا مينفعش أرجع فى اللي بعمله، مينفعش أرجع فى اللي الناس بقالها  
سنين مصدقاه..

إنت فاكِر إن أنا لو قلت للناس اللي انتو بتعملوه ده وهم ومفيش من وراه  
فايده، وانا واحد عادى زيكو والشيخ عبد الحسيب ده لا بينفع ولا بيضر،  
هيصدقونى؟

لو مصدق كده بيقى انت متعلمتش حاجه فى حياتك، ولا تعرف حاجه  
عن المولدجيه والمريدين.

أنا لو عملت كده..

أول حاجه هتحصل إنهم هيموتونى وهيولعوا فى البيت بالمقام باللى  
فيه..

تانى حاجه لو فلتّ منهم، هتستلمنى بقى الحكومه وهاتسجن وهياخدوا  
كل فلوسى..

تالت حاجه لو فلتّ منهم ومن الحكومه، مش هفلت من الغيلان الكبار  
اللى بتعامل معاهم واللى هيتلطوا فى الموضوع..

ريح نفسك يا بنى وارجع لجدك ولملكك..

ارجع عيش ملك تانى.

- يجى ايه كل ده جنب إنك ترضى ربنا؟

ينظر له الجد ثوان دون كلام، حتى أطلق زفيره الذى نفذ معه صبره فأجابه

فى هدوء..



- مدام ما تعرفش إيه اللي بينى وبين ربنا يبقى ما تتكلمش عنه ..  
ثم يمد يده يرجوه:

- ارجع لجدك.

- كان نفسى، كان نفسى يا جدى نرجع لربنا سوا..

لكن ربنا قادر فى يوم من الأيام يردك إليه زى ما ردى إليه.

بعد أن أيقن ولم يعد يراوده الشك أبدًا فى عودة حفيده له، بقى له أهم  
شئ يشغله الآن فتساءل عنه:

- والناس؟

- الناس أنا هفضل أنصحهم وأوعيهم طول ما فى نفس..

أنا ماشى يا جدى ومش هتشوفنى تانى..

ولو مت قبلك..

مش عايزك تصلى عليا ولا تمشى فى جنازتى..

ولو انت مت قبلى..

هغسلك بنفسى وهصلى عليك وهدعي لك.

لم ينه الحوار فقط حين التفت وطرقت خطواته أرض الغرفة متوجهًا  
للباب، بل أنهى كل ما سعى إليه الجد طيلة خمسين عامًا من أموال طائلة  
ونفوذ وأسطورة ظلت تتردد أمارتها وبركاتها، لنصف قرن فى أرجاء جمهورية  
مصر العربية!

آخر نداء استدعاه كان بصوت جهور لجدته لم يتنام لأذنه هذا الصوت من  
قبله مُطلقًا:

- قيصر!

يلتفت بعينين دامعتين ثم يهرول ناحيته ويحتضنه بدموع طفل ضل عن والده لسنوات حتى التقاه، ثم يتوسل إليه باكيًا:

- أبوس إيدك يا جدى، اسمع كلامى، اسمع كلامى وانت على أعتاب الموت!

اسمع...

وفجأه تتسع مُقلتاه حتى كادت أن تخرج عيناه من تجويفهما، وتدمع عينا الجد التى لم تعرف للدموع شكلاً منذ وفاة والده وحتى الآن، ولكن كيف لها ألا تدمع بعد أن طعن قررة عينه وحفيده بخنجره الأثرى طعنة قاتلة اخترقت الكبد، سقط على إثرها أرضاً مُثبِتاً بجده الذى جلس وأحاطه بيديه..  
يئن حفيده باكيًا..

- الشيخ عبد القوى قالى بلاش تروح لوحدك ليئذيك!  
قلته متخافش..

ده جدى أنا لحمه ودمه..

زادت دموع الجد لتساقط على صدر حفيده حين أجابه.  
- إنت لحمى ودمى.

بس مكنش ممكن أسبيك تضيع كل الفلوس والممتلكات، اللى عملتها فى حياتى اللى باسمك.

وكمان تاخذ منى اللى ممكن أعمله بعد كده بعد ما تقلب الناس عليا.

- حفيدك ولا ملكك؟

- الملك ده أنا سييت ربنا علشانه..

مش هيهون عليا أسبيك انت!

- عندك حق، هو ده اللي كنت براهن عليه..  
 اللي يسبب ربه علشان حاجه، يسبب أى حد فى الدنيا علشان الحاجه دى..  
 بس كنت بكذب نفسى طول الطريق واقول مش ممكن يعمل معايا أنا كده..  
 أنا (القيصر)..  
 علشان كده عملت حسابى..  
 وملكك اللي إنت هتموت عليه ده مش هيرجعلك..  
 أصعقه حفيده بوابل من المفاجآت أولها..  
 أنه عقد قرانه على سمية ابنة جرير بواسطة الشيخ عبد القوى نفسه..  
 فى تلك الأثناء وقبل أن يتخذ الجدة فعل واحده كان جرير وزوجته  
 وسمية بناءً على طلب زوج ابنتهم يهرولون خارج أطراف القرية مُتجهين إلى  
 محطة القطار ثم إلى مكان لن يعلمه أحد!  
 ثم يباغته (القيصر) بالضربة القاضية، وهى ما اعترفت به سمية له أثناء  
 زيارته فى المركز الطبى، وهو ذلك الجنين الكامن فى رحمها والذى ستتقل  
 إليه جميع ممتلكاته التى تنازل عنها بإرادته لحفيده..  
 - إبنى اللي فى بطن سمية بنت جرير هو اللي هيبورث الملك ده كله!  
 وهيصرفه فى الخير!  
 إنت خسرت الدنيا والآخرة!  
 بصراخ شخص تلتهمه النار يستغيث مولانا صائحًا:  
 - عباس!

مَثَّ

## بعض الحقائق الأخرى

- أكثر من 2850 مولدًا للأولياء في مصر، يحضرها عشرات الملايين من سكان الدولة.

- حصيلة صناديق النذور التابعة لتلك الأضرحة تبلغ سنويًا عشرات الملايين لا يعلم مصيرها أحد.

- يبلغ الأمر أنه يوجد أضرحة بلا رفات يتوجه لها الناس أيضًا للتبرك بها.  
- "الكحريته" هي ظاهرة معروفة في قرية بنى حميل مركز البلينا محافظة سوهاج! وهي عبارة عن أرض مسطحة مستوية، يقصدها المئات من الأهالي خاصة السيدات من أجل الحمل، والرجال للتخلص من آلام العظام والظهر والمفاصل. يقوم المريض أو المريضة بالنوم على الأرض المستوية، ويقوم بعدة درجات متتالية لينتهي به المطاف في الناحية الأخرى.

- ضريح باسم الشيخ (أبو عمره) يقع في مدينة جرجا، لا تتم أى زيجات هناك إلا بعد قيام العريس والعروسه وأسرتيهما بالدوران حول الضريح 7 مرات.  
- هناك قرابة 300 ألف شخص يعملون في مجال الدجل والشعوذة، وينفق بعضُ المصريين الذين يؤمنون بتلك الخرافات والدجل والكرامات قرابة 10 مليار جنيه سنويًا.

والسؤال:

إلى متى سيظل بعضنا يؤمن بتلك الخرافات؟!  
وإلى متى سيظل بعضنا منقادًا لهؤلاء المستغنين مُدعى التدين؟!

## شكر خاص

الكاتب / د. باسم الخطيب.

الكاتب / أحمد عادل.

المخرج / أحمد ماج.



-  elhadaf.publisher2017@gmail.com
-  <https://www.facebook.com/elhadaf.publisher>
-  Elhadafpub2017
-  elhadafpublisher
-  01064405228
-  01156292096